

BOBST LIBRARY

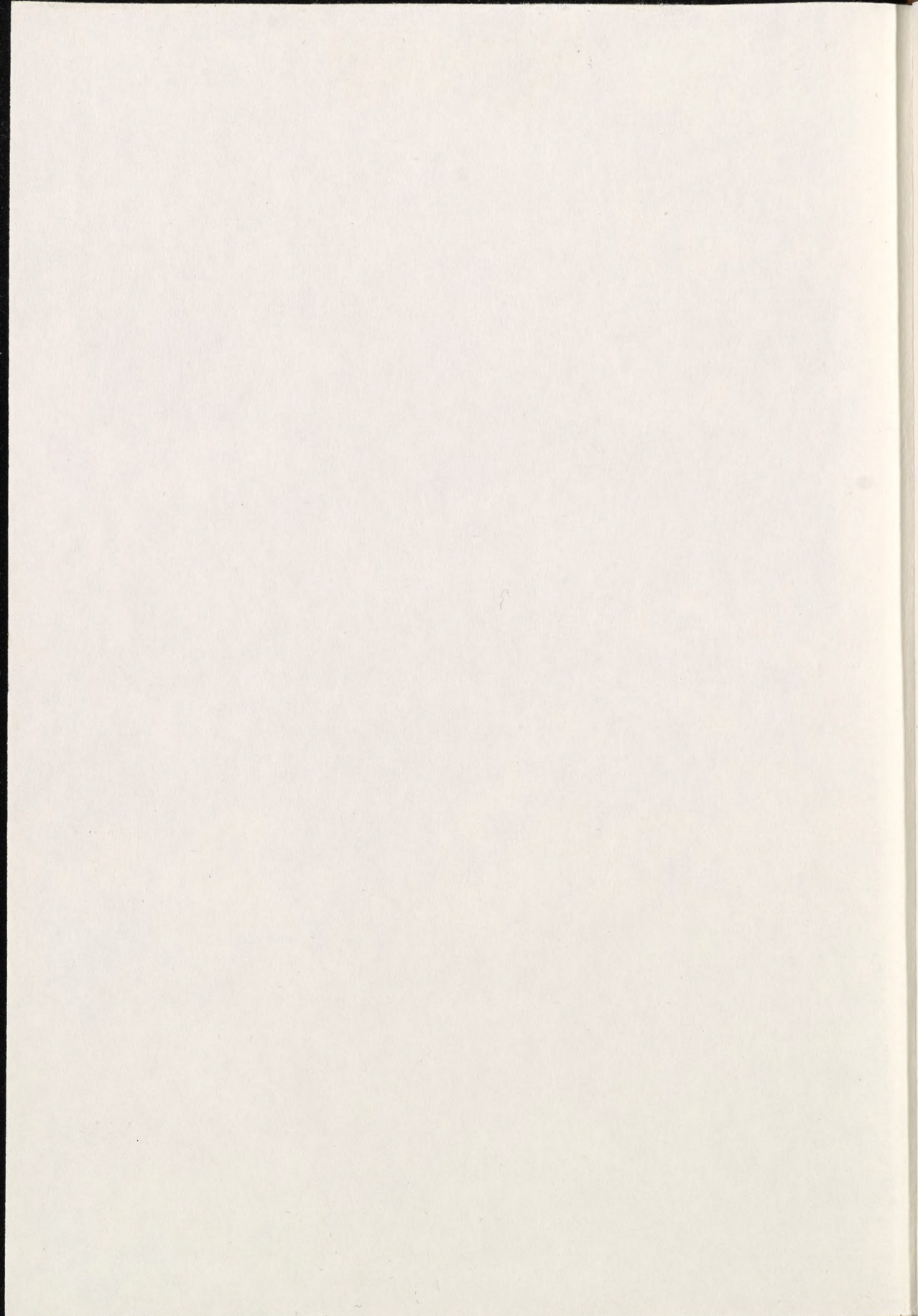


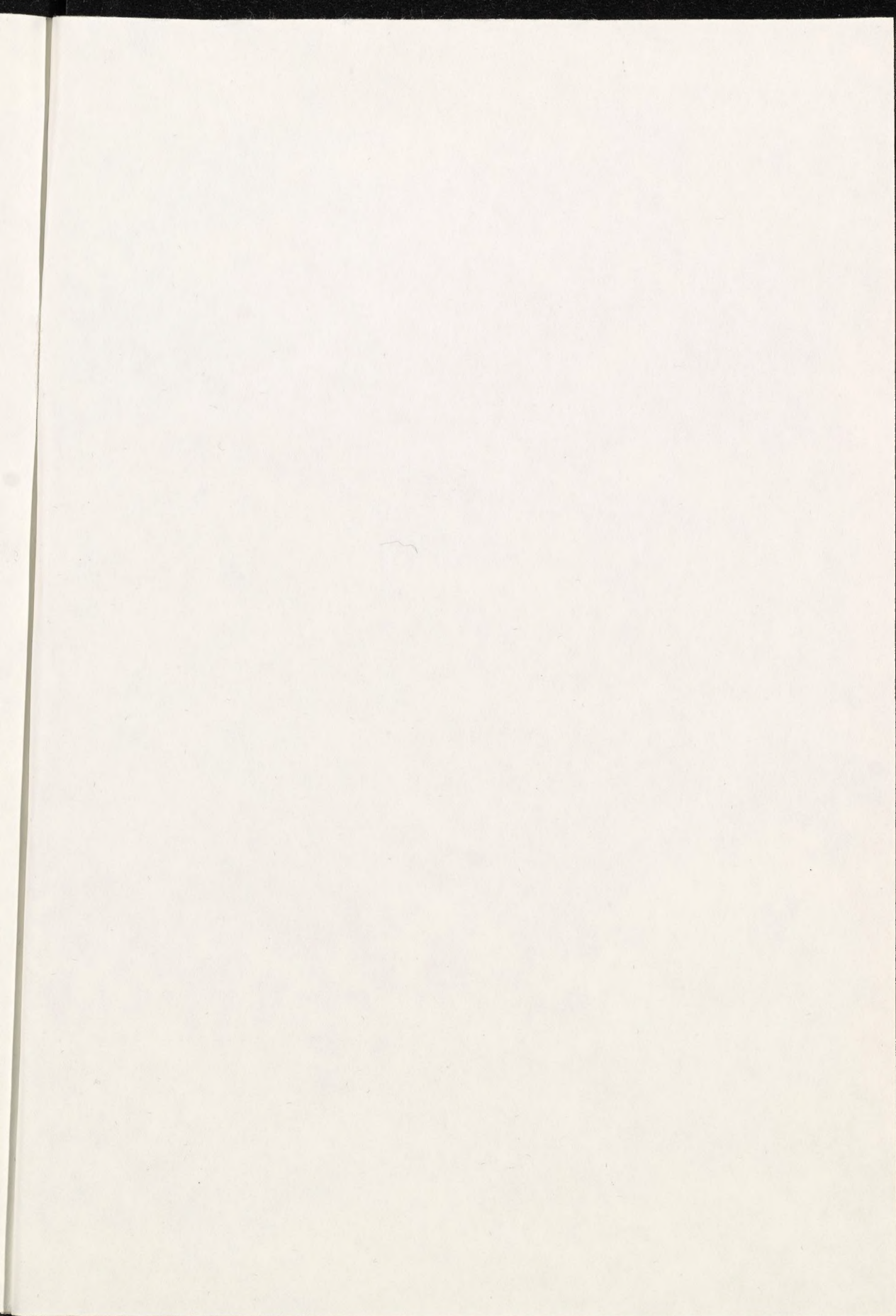
3 1142 01725 0930

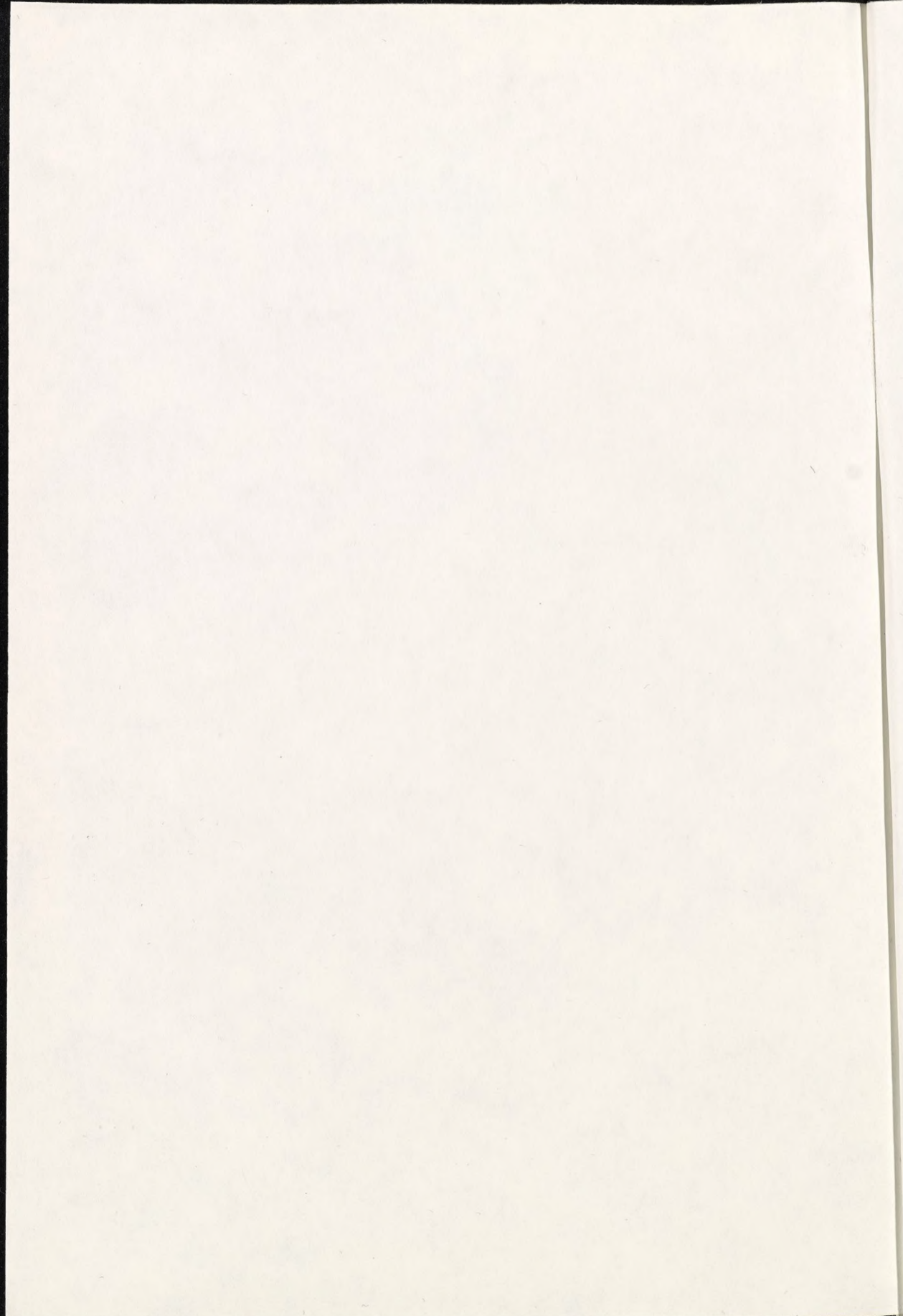


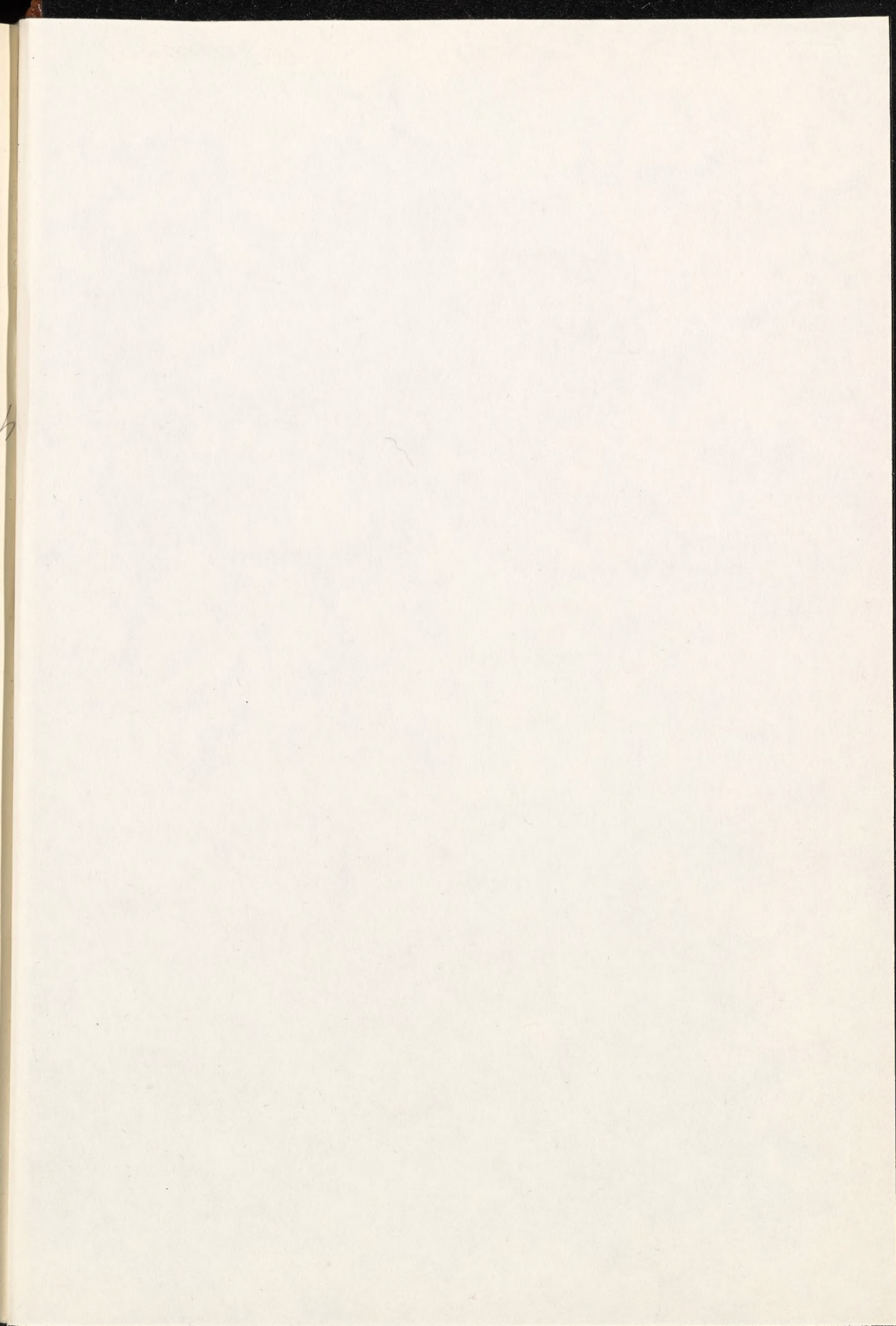
**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**









Tawfiq, Muhammad Muhammad

٥٥٥

المعلقة الإسلامية

فتاوى

الكعبة والمسجد الحرام

al-Mu'allagat al-Islamiyah fi tarikh

al-Kabah

نظم

wa-al-Masjid al-Haram

البيروني محمد بن محمد توفيق

شرح

محمد أمين التميمي

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

حق الطبع محفوظ للناظم والشارح

PJ

7642

'Z5

T38

1955

C.1

طبعت

على نفقة المحسن الشعبي السعودي الموفق
حضرة صاحب المعالي وزير الدولة السيد حسن الشربتلي

NYU BOBST - PRESERVATION
L-0124 JN 10 93

01725 0930

الإهداء

مُعَلَّقَتِي ! وَالشَّرْحُ شَرْحُ « تَيْمِمٍ » ^(١) !
 إِلَى مَلِكٍ يُهْدِيكَ جَدُّ عَظِيمٍ . .
 هُوَ الْأَمَلُ الْمُبْسَامُ فِي غُرَّةِ الْحَمَى
 وَيَحْكُمُ بِالْقُرْآنِ حُكْمَ حَكِيمٍ
 وَشَرْحُ « أَمِينٍ » ^(٢) زَادَ شِعْرِي مَكَانَةً
 وَنَجَّاجَ بَيْتِي مِنْ مُحِيطٍ عَلِيمٍ
 وَثَوْبَهُ رَبُّ رَعِي كَعَبَةِ الْوَرَى
 بِخِدْمَةِ مَلِكٍ مُؤْمِنٍ وَكَرِيمٍ
 أَقُولُ لِجِيلٍ بَعْدَ جِيلٍ وَغَايِرٍ
 أَفِيمَا مَضَى وَالْآتِي صَنُوءَ نَظِيمِي ؟
 بَزَزْنَا بِهِ أَنْهَجَ الْأُولَى عَلَّقُوا الْهَوَى
 وَمَا افْتَخَرُوا - وَالشُّعْرُ شِعْرُ حُسُومٍ ^(٣)

(١) و (٢) هو الأستاذ محمد أمين التميمي شارح هذه المعلقة .
 (٣) حُسُوم : أى شُوم ، لأن المعلقة كانت فى عهد الجاهلية والكفر ،
 أما هذه المعلقة فأسلامية .

مُعَلَّقَةً لِلدِّينِ ، طَالَتْ ، وَغَيْرُهَا
يُقَصِّرُ عَنْ رَقْمٍ لَدَى رَقِيمٍ
فَإِنْ كُنْتُ يَا « حَسَنَاءُ » أَرْضَيْتُ خَالَتِي
فَهَلْ لِي حُسَانٌ فِي دِيَارِ نَعِيمٍ ؟
وَأَنْتَ « سَعُودَ » الْعُرْبِ ! فَأَقْبِلْ هَدِيَّةً
إِلَى عَاهِلِ الْمُسْلِمِينَ ، زَعِيمٍ .. !

يَا طَوِيلَ الْعُمُرِ ..!

سَلِ الْمَلَامَ وَالْمُهْجَ الذَّكِيَّةَ
وَتَمَّ « مُعَلِّقَاتُ » جَاهِلِيَّةَ
بِهَا خَرُّهُ .. هَوَى .. فَخَرُّهُ .. قِتَالُ
وَمِنْ كُفْرِ وَحْيٍ مَبْسُوتَةٍ
أَجَازَ - وَذِي « مُعَلِّقَتِي » ، وَفَاقَتْ
سِوَاهَا ، فَهِيَ شَاخِخَةٌ ، قَوِيَّةٌ ..
وَطَالَتْ ، فَهِيَ فِي عَدَدِ كَسْبِجٍ ^(١)
مِنْ الشَّعْرِ الَّذِي بِهِرَ الْبَرِيَّةِ
وَمَا فَصَحَ لَهُمْ مِثْلِي اقْتِدَارُ
عَلَى تِلْكَ الْكُنُوزِ « الْيَعْرُيَّةِ »
أَقُولُ : أَجَازَ تَعْلِيْقُهُ لِشِعْرِي
عَلَى أَسْتَارِ « كَعْبَتِنَا » السَّنِيَّةِ ؟
فَإِنْ يَكُ جَائِزًا جِئْنَاكَ نَسْعَى
وَعَلَّقْتُ « الْمُعَلِّقَةَ » الْجَوِيَّةَ ..

(١) ذلك أن معلقة « اليعربي » تزيد في عدد أبياتها على المعلقات السبع مجتمعة .

وَجِئْتُ مَعِيَ إِمَامًا حَبَّ رَبًّا
وَمُرْسَلَهُ ، وَكَعْبَتَهُ الْعَلِيَّةُ
تُسَرِّفُنِي .. تُسَرِّفُ شِعْرَ دِينِ
وَتُثَبِّتُ عَظْفَ أُسْرَتِكَ التَّقِيَّةُ !
فَإِنَّكَ خَادِمٌ « لِلْبَيْتِ » تَرْجُو
بِخِدْمَتِهِ جِنَانًا أُخْرَوِيَّةَ

تعريف التّشارح

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، والصلاة والسلام على النبي العربي الأُمّي محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد فكم كان يحزّ في نفسى أن أسمع بأن مستشرقاً خرج من دياره في أوروبا بحملة علمية مجهزة بالزاد والعتاد وآلات التسجيل متجهاً إلى واحة « سيوه » أو غيرها من واحات مصر لدرس لهجات العرب ، وأن مستشرقاً آخر جاب القطر المصري لتسجيل لهجات سكان مختلف المديرّيات في صعيد مصر ودلتا النيل والصحراوين الشرقية والغربية ، مع أن اللغة لغتنا واللهجات لهجاتنا . ذلك أن القوم قدروا قيمة التخصص في العلوم الفنية والأدبية فبدلت حكوماتهم وشخصياتهم البارزة المساعدات السخية، وهيأت للتخصصين أسباب التفرغ للعلم والأدب فسوّزوا إنتاجهم وصارت أوطانهم وحكوماتهم وشعوبهم مجلّسية في مضمار الحياة العملية . أما نحن معشر العرب فما أسرعنا إلى قتل النبوغ ودفن العبقرّيات ووأد الفطنة والسخرية بالاجتهاد حتى استغنى النباه واختفى الأذكىاء فنذر الإنتاج وصرنا في مؤخرة القافلة يجرنا الأقوياء المتقدمون أو يدفعنا الأجراء المستخرون .

وهذه الملحمة الشعرية التي سماها ناظمها — بحق — « المعلقة الإسلامية » ، إن هي إلاناحية من نواحي التخصص الأدبي في الشعر واللغة والتاريخ، إذ استهدف صاحبها إحياء المندثر من الكلمات البليغة الدالة على السكنوز الدفينة الثمينة في اللغة العربية ، نائجاً على منوال شعراء الجاهلية الأولين ، بازاء لهم في كونها شعر تاريخ ودين ، علاوة على ما احتوته من غزل رزين .

ومما يرفع من شأن هذه الألياذة وناظمها أن دافعاً ذاتياً من الإيمان القوى

بالله والحب الشديد لدينه ونبيّته وكعبته هو الذى دفع الرجل إلى التفرغ لمثل هذا الإنتاج العظيم من النظم الرصين المتين دون أن يوهب، ما يشجعه على التصدى لذلك لامن جهة رسمية ولامن شخصية ثرية .

وقد يدهش القارئ إذا علم أن الأستاذ «اليعربى» الذى نظم — علاوة على هذه المعلقة — ألفيصة فى تاريخ «وادي النيل» ومطوّلة فى وصف «الصحراء»، — ولم يقدّر لهما الطبع حتى الآن — والذى نظم قصيدة أخرى طبعت مندسنتين مطبوعة دار المعارف بالقاهرة بعنوان «أمدوحى فى المملكة العربية السعودية» . والمنسّم بحب الحكمة المعظمة ، والمتغزل بالصحراء ، والمتفنى بأجداد العرب ، والمبجل لأولياء أمور هذه الديار لتنفيذهم حكم الشريعة الإسلامية ، لم تظأ قدمه الأرض المقدسة ولارأت عيناه أى جزء من هذه المملكة . ولكن دهشة القارئ لا تلبث أن تزول حين يعلم أن للأستاذ «اليعربى» صلة روحية بهذه البلاد الطاهرة ، إذ أنه من مواليد المدينة المنورة قبيل الحرب العالمية الأولى . كان والده تاجراً رحالة بين الحجاز والحشة ومصر وغيرها من البلاد . ولما استقر فى مصر كان الناضم طفلاً فترعرع فيها ونشأ وتعلم ، وحصل على ليسانس فى الآداب من الجامعة المصرية ، واشتغل برهة فى الصحافة مع دار الهلال ، ثم عين زميلاً فى ترجمة الوثائق التاريخية التركية بدار المحفوظات العمومية بالقلعة المصرية حيث اقتبس من وثائقها موضوع رسالة نال بها درجة «ماجستير» فى الآداب بعنوان «مصطلح الوثائق التاريخية» . واستقال من وظيفته منذ عشر سنوات للتفرغ للمطالعة والإنتاج الأدبى . واختير أخيراً أستاذاً بمعهد الوثائق والمحفوظات بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

ولمى القارئ وحده يرجع أمر تقدير الوقت والمجهود الشاق الذى بذله الأستاذ (اليعربى) فى نظم هذه الألياذة ، والوقت والمجهود الذى بذله هذا العاجز فى شرحها والتعليق عليها .

وقبل أن أفكر جدّياً فى طبع هذه المعلقة عرضتها على كثير من شعراء العالم

العربي وأدبائه فكان الاجماع على الإعجاب بها والطرب لها ووصفها بأنها إلياذة إسلامية ، وكانت الرغبة في طبعها حفظاً لها من الضياع ، وكان السعى الحثيث لذلك حتى تم التوفيق بأخراجها إلى العالم الإسلامي بهذا الثوب القشيب .

فإلى أنصار المدرسة القديمة ، وإلى متذوقي اللغة العربية ، وإلى عشاق الأدب العربي ، وإلى كل مسلم يهتم بالإسلام بتاريخ الكعبة والمسجد الحرام حيث يولّى وجهه شطره خمس مرات كل يوم أقدم هذه المعنقة الإسلامية ؟

محمد أمين التميمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاطِلِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ،
وأشرف الخلق أجمعين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .
أما بعد فإن صديق الحميم الأستاذ محمد أمين التميمي يصرّ على مقدمة نثرية منى لهذه
المعلقة الإسلامية التي يرجع إليه فضل الإعجاب بها والدعاية لها وشرحها والتعليق
عليها والعمل على طبعها وتصحيحها بنفسه ، وإخراجها للعالمين العربي والإسلامي
بهذا الرداء البراق والشكل الجميل .

قلت : سمعاً وطاعة .. وكتبت على القرطاس أني محمد محمد توفيق المدني مولداً ،
المصري نشأةً وجنسية ، المسلم ديناً ، السلفي عقيدة ، الجامعي ثقافة إلى درجة
الأستاذية ، غير أن المؤهلات — في نظري — أرخص المدخرات إذا اعتمد
حاملها عليها دون مواصلة طلب العلم مصداقاً للحديث الشريف : (اطلبوا العلم من
المهد إلى اللحد) واتباعاً للحكمة القائلة : « يظل الإنسان عالماً ما طلب العلم ، فإن
ظن أنه قد علم فقد جهل » . وكتبت على القرطاس أني « اليعربي » لساناً وبياناً
لأنه لسان القرآن وبيان الذكر الحكيم ، وأنّي العربيّ السعودي فوذاً لأن متّميقي
جاثمة في أقدس بقعة من المملكة العربية السعودية بل في أظهر مكان من الدنيا .
رأيت الناس يمجّدون المعلقة الجاهلية مع أنها خمر وهوى ونخر وقتال ،
وكل فضلها أنها علقت على الكعبة لجودة بيانها وفصاحة لسانها دون أن يكون
للكعبة حظ من شعرها ، وعجبت أن أحداً من شعراء العرب أو المسلمين لم يتصد
لإنصاف الكعبة المقدسة في إلياذة إسلامية النزعة والعقيدة ، تاريخية الحوادث ،
جاهلية اللفظ والأسلوب ، فاعتزمت أن أكونه ، وتوكلت على الله تعالى ، والتزمت
ببقي وتفرغت ، ونظمت لحبيبتى — ليلي الخلود — بأفصح مقول سمع « الأخشبان »

و«أُحِد» ما لم يسبقنى ولا أظنه يلحقنى فى نظمه أحد، فكانت هذه المعلقة وهى أطول من المعلقات السبع بمجموعات فى العدد، وأسميتها «المعلقة الإسلامية فى تاريخ الكعبة والمسجد الحرام»، واختصت بأهدائها حضرة صاحب الجلالة الملك الكريم «سعود بن عبد العزيز آل سعود» لأنه خادم الحرمين الشريفين، ولأن الله تعالى أرغد عيش أهلها فى عهده الزاهر السعيد، وفى عهد والده الراحل العظيم، ولأنه منفذ لأحكام دين رب البيت العتيق ولأن هذا البيت مستظل بعد الله بحمايته، ولأن كل من فيه من عاكف وباد وكل من حوله فى مختلف المسكن والوهاد آمن فى ظل رايته.

فاللهم أعز من خدم بيتك الحرام، وانصر من حمل لواء الإسلام، واجعل ثواب مدحى لكعبتك وحبى لناصرى شريعتك حسنة فى الدنيا وحسن العاقبة فى الآخرة، إنك على كل شىء قدير.

غرة شعبان سنة ١٣٧٤
الجزيرة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٥٥

«الشيخ فهد محمد بن محمد بن فهد»

كَوْنُهَا مُعَلَّقَةٌ

عَلَى جَاهِلِيٍّ اللَّفْظِ إِتَّجَرْتُ آمِنًا
وَمِنْ لَهْجَاتِ الْعُرْبِ سُقْتُ الْأَحَاسِنَا
أَيْمَدَحُ بَيْتُ اللَّهِ بِالْعَثِّ إِنْ يَكُنْ
سَمِينٌ وَقَدْ بَزَّ الْمَكَانُ الْأَمَاكِينَا ؟
وَفِي جَاهِلِيٍّ مِنْ زَمَانٍ وَمُسْلِمٍ
حَيَاةٌ لَهُ تُرْوَى قَدِيمًا وَرَاهِنَا . .
وَعَلَّقْتُهَا قَدْ عُلِقَ الشَّعْرُ قَبْلَهَا
وَأَطْمَعُ أَنْ أَحْيِيَ لِنَا الْبَيْتَ مَا هِنَا^(١)
وَأَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ الْمَدِيحَ مَثُوبَةً
وَشَاعِرُهُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ سَاكِنَا

(١) المأمن : الخادم والعبد .

كَمْ مِنَ الْعُمْرِ تَبَقَى ؟

أَعْطَيْتُهَا أَلْفَيْنِ مِنْ أَعْوَامٍ
عُمُرًا . . . وَقَدْ تُعْطَى جِبَاءَ دَوَامٍ !

وَأَظَلُّ فِي عَرْشِ الصِّدَارَةِ آيَةً
وَالْتَّاجُ لَأَلَاءِ مِنْ الْإِلْهَامِ . .

وَأَظَلُّ تُسْكِرُنِي بِنَشْوَةِ حُومِهَا^(١)
حَتَّى تُعَيِّبَ فِي التُّرَابِ عِظَامِي

فَأَعْبُ مِنْ خَمْرِ هُنَاكَ لَذَّةٍ
وَأَبُتُّ حُورًا فِي الْجَنَانِ غَرَامِي ...

(١) الحوم : الخمر التي تدور في الرأس .

حَدَاءُ الْمَطَى

لَمْ أَقْصِدِ الصِّيتَ لَمَّا نَاجَيْتُ كَعْبَ الْخُلُودِ
لَكِنَّهَا النَّفْسُ تَظْمَأُ وَالشَّعْرُ حُلُوُ الْوُرُودِ

حَسَنَاءُ قَامَتْ بِبَيْكَ تَحْدُو الْهَوَى مُقْلَتَاهَا
وَالنَّفْسُ كَالْمُزْنِ تَبْكِي مِنْ لَأَعِيجَ قَدْ أَتَاهَا

فَقُلْتُ يَا نَفْسُ مَهْلَا الشَّعْرُ فِيهِ دَوَاكِ
تَلْقَيْنِ فِي الشَّعْرِ أَهْلًا وَمَوْنِلًا مِنْ هَوَاكِ

لَمْ أَدْرِ أَنِّي سَأُرْبِي بِالشَّعْرِ نِيرَانَ حُبِّي
رُحْمَاكَ رُحْمَاكَ رَبِّي رَفَقًا بِنَفْسِي وَقَلْبِي !

رَمْتُهُ الْحَبِجَّ..

حُجَّاجَ يَبْتَ اللهُ

لَا ثَرَوَةَ... لَا جَاهَ

الْكُلِّ فِي أَخْرَاهُ

طُوبَى لَكُمْ حَبِجَّ..

فِي مَلَبَسِ الْإِحْرَامِ

دُنْيَا مِنَ الْأَقْوَامِ

سَامٌ يُوَافِي حَامَ

وَالطُّرُقُ تَرْتَجُ..

ذَنْبُ الْوَرَى مَغْفُورُ

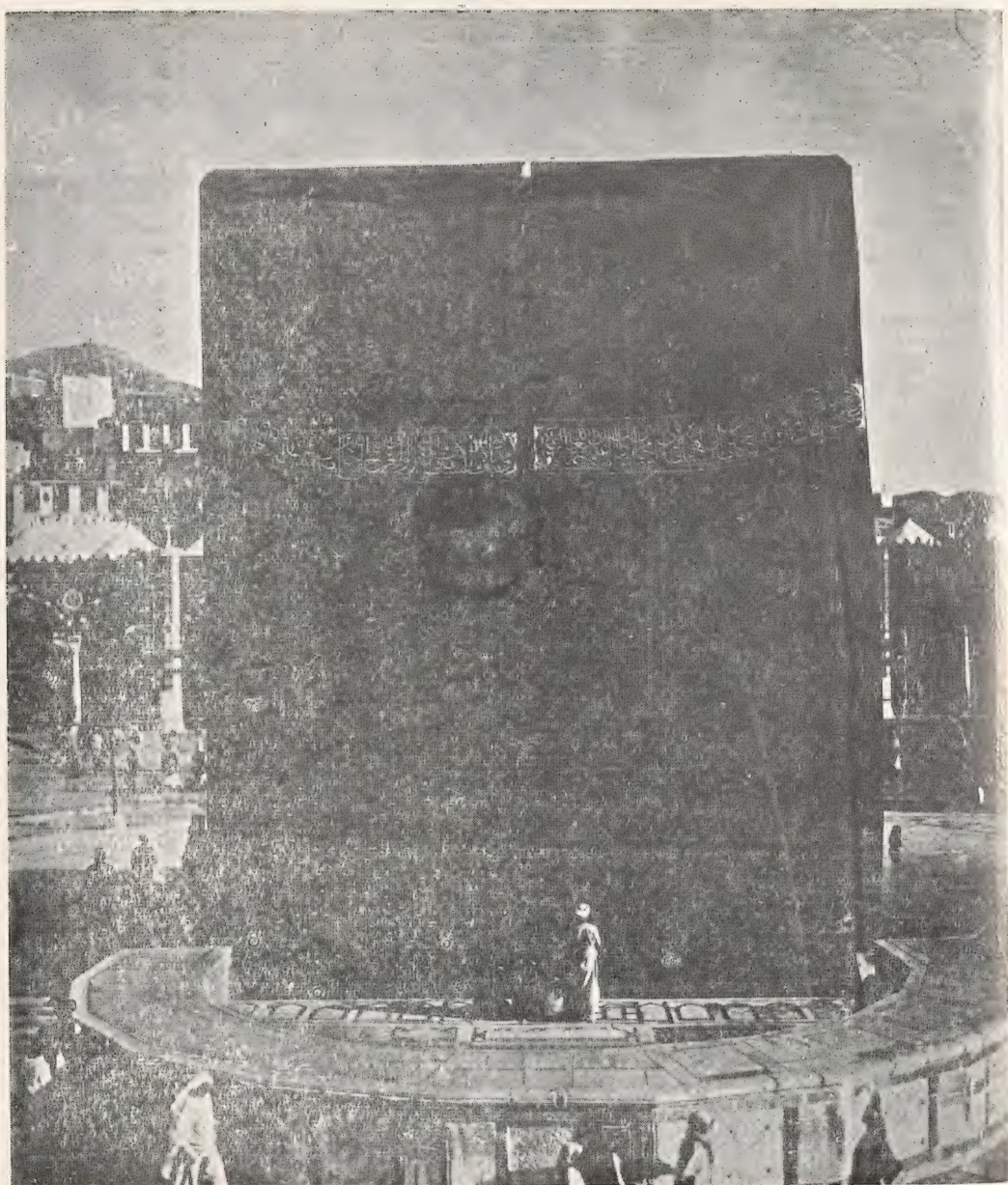
وَالنَّفْسُ فِيهَا نُورُ

يَبْتَ هُنَا مَعْمُورُ

يَعْلُو بِهِ الْعَجْجُ..

يَا أَيُّهَا الْإِبْرَازُ
صَلُّوا عَلَى الْمُخْتَارِ
فِي جَنَّةٍ لَا نَارَ

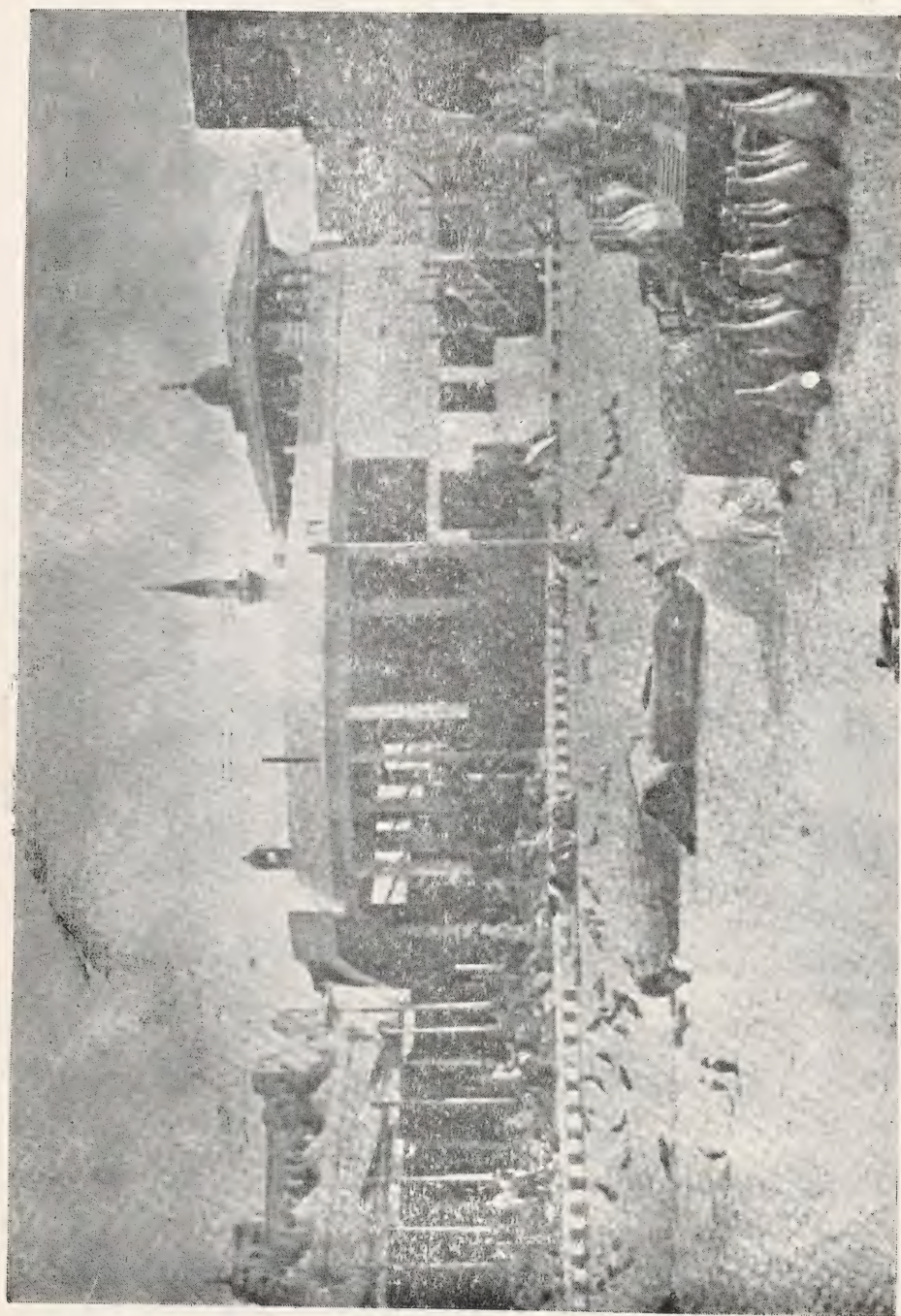
يَمْنَى بِكَ فَجْءٌ..



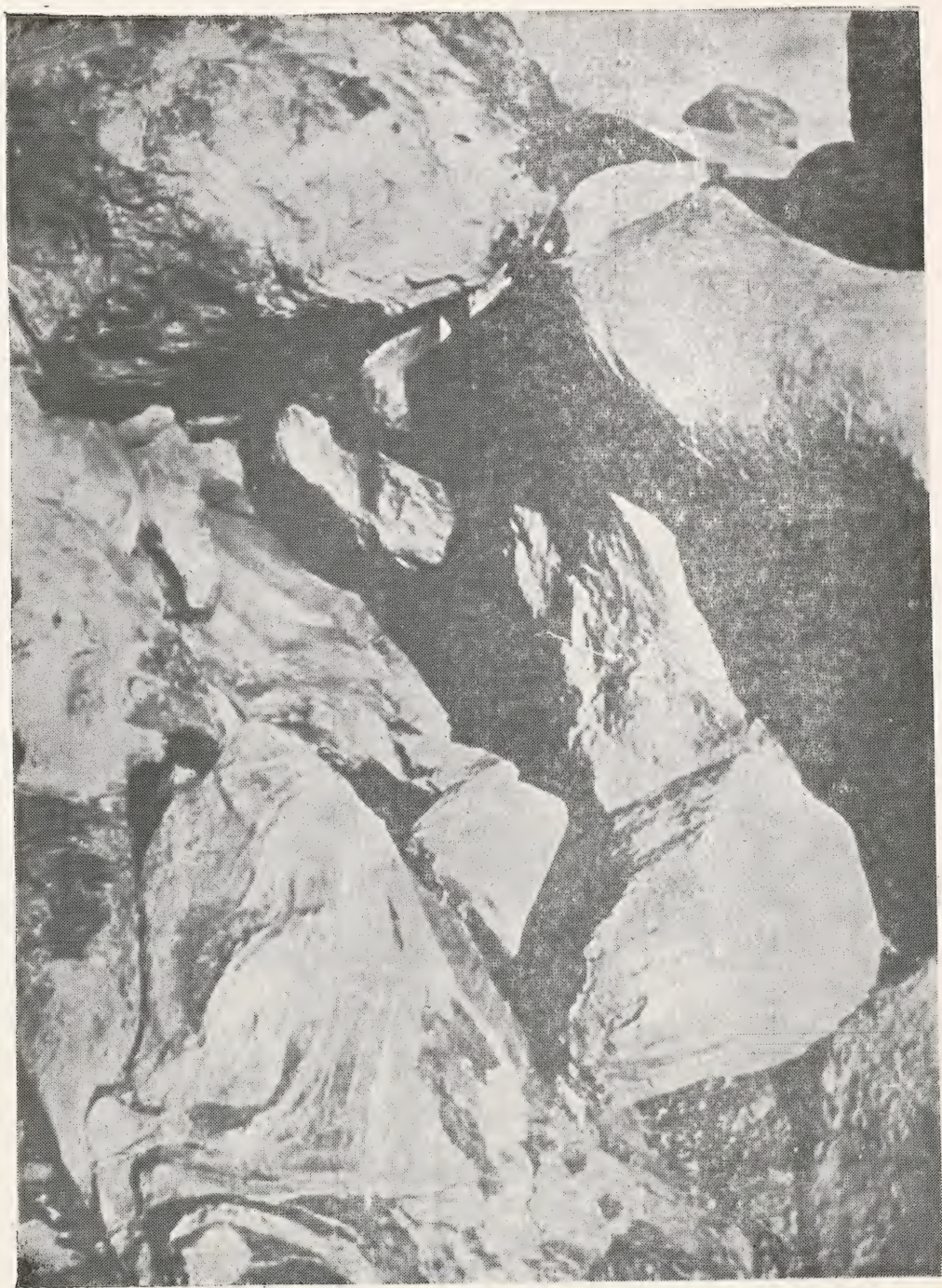
حجر اسماعیل



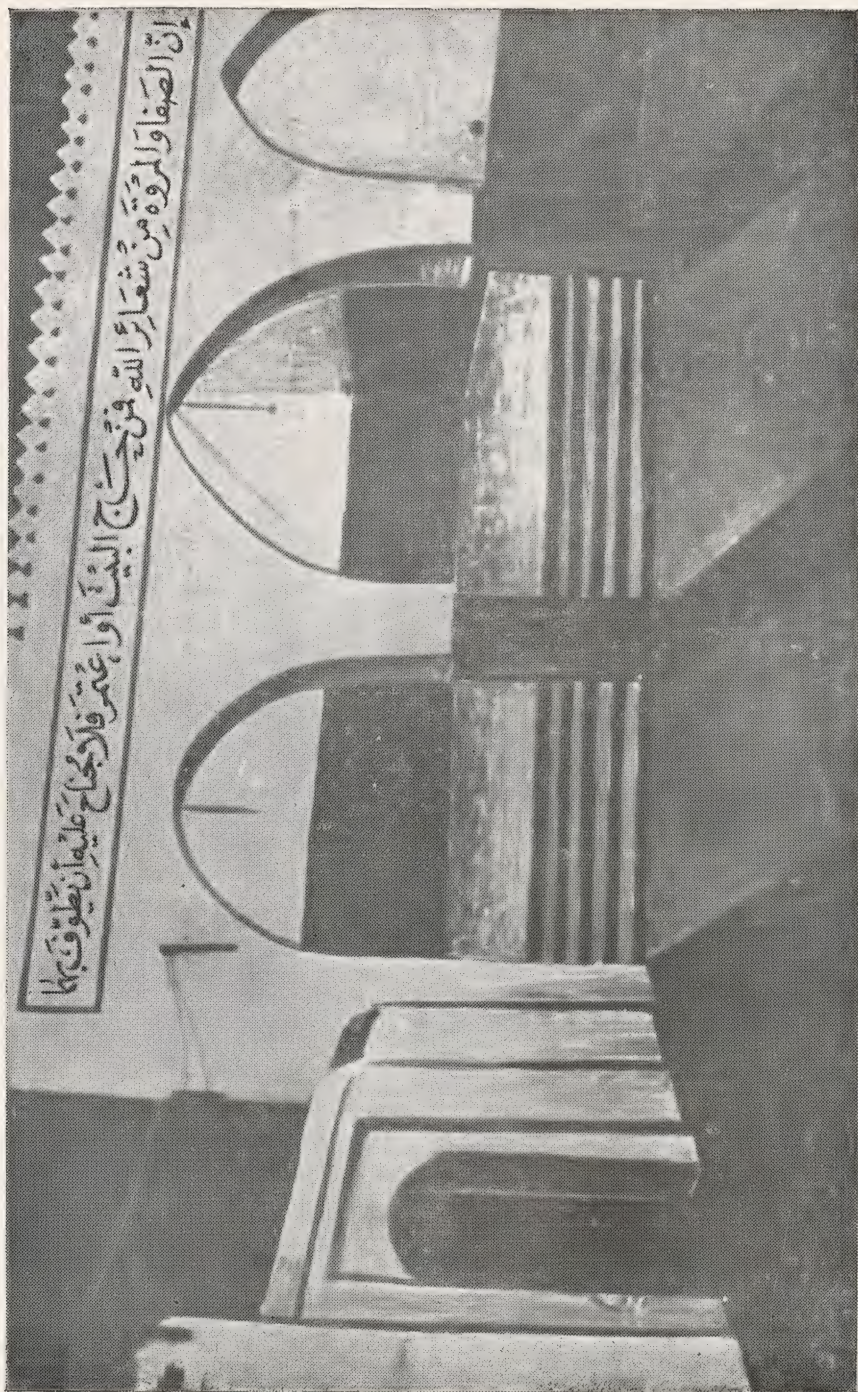
الحجر الأسود



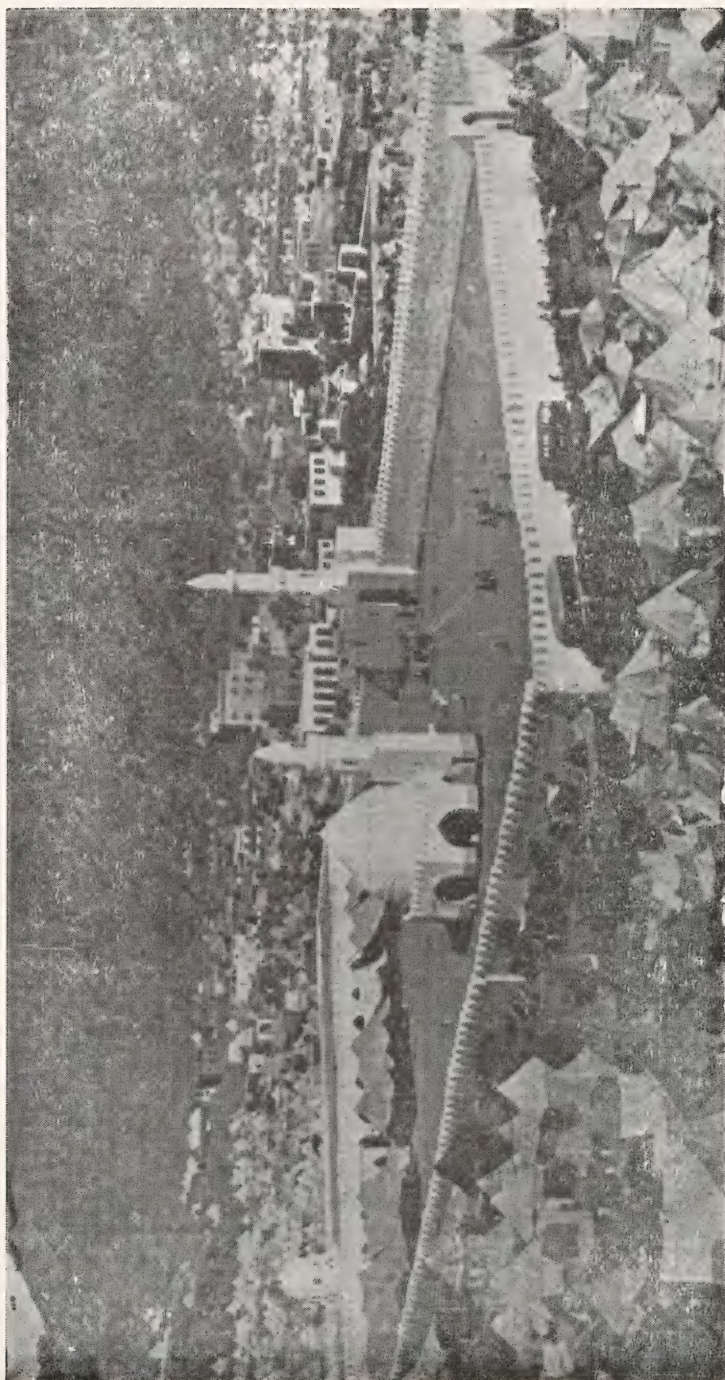
پیر زمزم



غار حراء مهبط الوحي



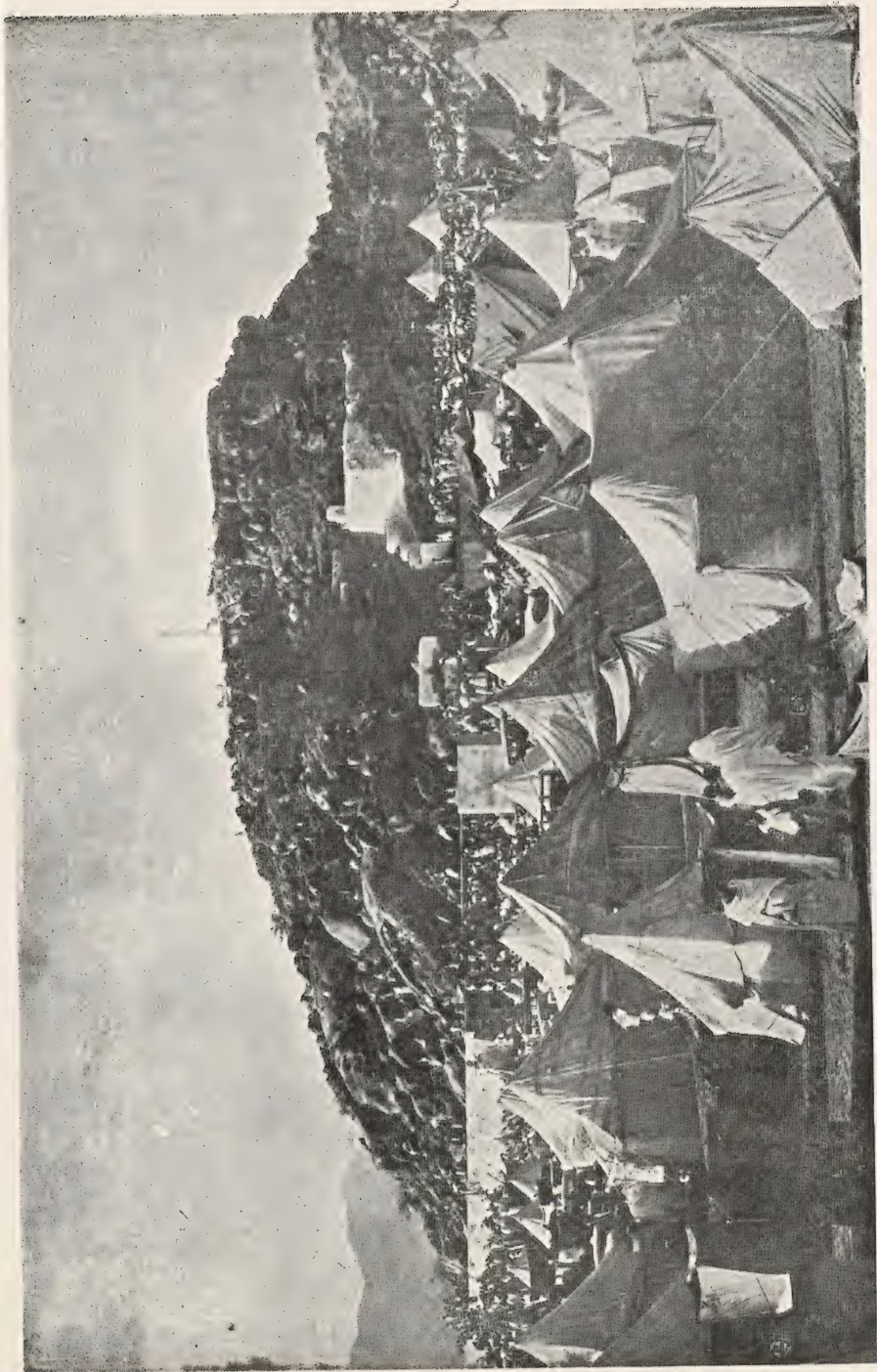
الصفاء



مسجد الحيف بني



المشعر الحرام بمزدلفة



جبل الرحمة بعرفات

إِهَامِ الْكَعْبَةِ

أَعُوذُ بِرَبِّ غَافِرٍ مِنْ تَزِيدٍ^(١)
وَأَنْهَلُ مِنْ رَاحِ الْقَرِيضِ بِمِرْفَدٍ^(٢)
بَلَى إِنِّي فِي خَلَّةِ الشَّعْرِ شَاعِرٌ
أَقُولُ لِدَاتِ الْبَرْقِ أَبْرَقْتَ فَأَرْعُدِي
وَقَدْ طَافَ بِي مِنْ عَبَقَرٍ طَيْفٍ^(٣) صَاحِبِ
مِنْ الْجَنِّ ذِي ضَرْبٍ مِنَ السَّيْرِ مُرَوِّدٍ^(٤)
يُعَلِّمُنِي مِنْ شِعْرِهِ مَا يَرُوقُهُ
وَيَرْقُصُ فِي رَوْقِي^(٥) بِثَوْبٍ مُزَنَّدٍ^(٦)
وَيَفْجَعُنِي فَيَا وَعَى الْقَلْبُ مِنْ هَوَى
إِذَا النَّفْسُ ضَلَّتْ أَيْكُهُ لَمْ أُغَرِّدْ

(١) التزید فی هذا الصدء : الكذب وتكلف الزیادة فی الكلام .

(٢) المرفء كمبر : القءء الضءم .

(٣) قولهم طیف من الشیطان : كقولهم لمم منه .

(٤) أرود فی السیر فهو مرود : رفء .

(٥) الروق والرواق : سقف فی مقدم البیت .

(٦) ثوب مزند : قلیل العرض .

فَإِنْ شِئْتَ يَا نَفْسِي تَنَاسَيْتِ بَغْيَهُ
زَكَاةً وَإِعْذَاراً وَإِنْ شِئْتَ فَأَعْبَدِي ^(١)
هِيَ ^(٢) طَائِفِي إِلَائِي مُقِيمٌ عَلَى الْقَبْلِ
وَأَسْتُ بِسَالٍ فِي وَصَالٍ فَأَنْشِدِ
وَأَنْتِ الَّتِي مِنْ وَجْهِكَ الشَّعْرُ يُجْتَلَى
لَقَدْ كَانَ لِي سَيْحٌ ^(٣) مَعَ الْفَنِّ فَأَقْعُدِي
وَهَاتِي رَوِيًّا ^(٤) يَدْفُقُ الْآدَ ^(٥) إِنَّنِي
إِذَا أَصْلَدَ ^(٦) الشَّادُونَ ^(٧) لَسْتُ بِمُضِلِّدِ
١٠ وَلَا تَطْلُبِي مَالاً فَإِنِّي مُعَسَّرٌ
وَحَيْرُ الْهَوَى مَا فَاضَ مِنْ قَلْبٍ مُزْهِدِ ^(٨)

-
- (١) عَبَدَ : غضب وأنف ، والأسم : العَبْدَة .
(٢) هِيَ : من حروف النداء وأصلها : أيا .
(٣) السَّيْحُ : الذهاب في الأرض كالسياحة ، وكان ذلك فيما مضى بقصد العبادة والزهد .
(٤) الرَّوِيُّ : حرف القافية في الشعر .
(٥) يَدْفُقُ : يصب ، والآد بالمد : القوة .
(٦) أَصْلَدَ الرجل : صلد زنده أى صوت ولم يخرج نارا .
(٧) الشَّادَى وجمعه الشَّادُونَ : الذى أخذ طرفا من العلم أو الأدب واستدل به على البعض الآخر .
(٨) المزهد : القليل المال . وفى الحديث الشريف : «أفضل الناس مؤمن مزهد» .

بِرُوحِي مَهَاً^(١) سُودَتْ أَيَّ سُودُودٍ
 أَقَامَتْ عَلَى قَوْسَيْنِ مِنْ مَهْدِ أَحْمَدِ
 دَعَوْتُ الْأَسَى^(٢) فِي حُبِّهَا فَأَنْبَرَى الْأَسَى^(٣)
 يُسَهِّدُنِي حَتَّى جَفَا النَّوْمُ رَفْدِي
 وَسَاخَتْ فِيهَا كُلَّ صَبٍّ يَزُورُهَا
 وَغَيْرِي مِنَ الْمُشَاقِّ فِي الْحُبِّ يَعْتَدِي
 يَمْلَأُودُنِي مِنْهَا أَنَا^(٤) وَلَمَّةٌ
 وَلَبِّي كَمَا يَدْرِي الْوَرَى غَيْرُ مُفْنِدٍ^(٥)
 ١٥ وَتَدْنُو فَلَا تَرْنُو وَتَقْضِي بَعِيدَةً
 وَقَدْ جَرَّرْتَ أَذْيَالَهَا فِي تَأْوُدٍ
 وَمَنْ يَكُ فِي تَيْمٍ^(٦) مُقِيمٍ وَعَائِدٍ
 مِنْ الْوَجْدِ يَعْنُو كَالْأَسِيرِ الْمُصَفَّدِ

(١) المهابة: البهامة، وهي أيضاً: البقرة الوحشية وكانوا يشيرون بها بالجمال عينها، وما ندرى أيهما أراد الشاعر.

(٢) الأسى هنا: الصبر الجميل.

(٣) الأسى هنا: بمعنى الحزن.

(٤) الأنان: لغة في الأنين.

(٥) الفئند: الكذب وضعف الرأي من الهرم، والفعل منه أفند.

(٦) التيم: هو أن يستعبد الرجل الحب. عن الثعالبي.

وَمَنْ يَكُ ذَا حُبٍّ فَيَهْتَفْ بِرَبِّهِ
أَنْ ارْحَمْ قَتِيلَ الْحُبِّ يَا رَبُّ يَزِدْ!
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَأَعْجَبًا لَيْسَ يَنْقُضِي
وَشَوْقًا يُذِيبُ الْكَبَدَ^(١) غِبَّ التَّوَشُّدِ
أَخَافُ وَجِيبَ^(٢) الْقَلْبِ إِنْ جِئْتُ دَارَهَا
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي وَثِيقُ التَّجَدُّدِ
٢٠ وَفِي الْحُبِّ قَدْ يَسْأَلُو مُحِبُّ حَبِيبِهِ
سِوَايَ ، فَجَبِّي ذَاهِبٌ فِي تَجَدُّدِ
وَمَا ذَاكَ^(٣) إِلَّا أَنَّهَا كَعَبَةُ الْوَرَى
وَقِبْلَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ
يُدِي^(٤) لَهَا عِنْدَ الْأَنَامِ وَأَنْعَمُ
وَلَيْسَ بِهَا فِي الرَّفْدِ شَكْوَى الْمَكْبَدِ^(٥)

(١) الْكَبَدُ : لغة في الْكَسَبِ .

(٢) وَجِبَ الْقَلْبِ : خَفَقَ ، فَوْجِيبَ الْقَلْبِ خَفَقَانُهُ وَاضْطِرَابُهُ .

(٣) وَمَا ذَاكَ : أَيْ وَمَا هَذَا الْحُبُّ وَالْعَذَابُ وَخَوْفُ الْعِقَابِ إِلَّا لِأَنَّهَا كَعَبَةُ الْوَرَى الخ . . .

(٤) يُدِي : جَمْعُ كَثْرَةٍ ، بِمَعْنَى الْعَطَاءِ وَالْإِحْسَانِ وَالْمَعْرُوفِ .

(٥) الرَّفْدُ : الْعَطَاءُ وَالصَّلَاةُ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ خِصَالِهَا قِيَاسُ الْكِرَامِ وَالْإِرْفَادِ
أَنْ تَشْتَكِيَ مِمَّا تَحْتَمِلُ فِي سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ الْوَافِدِينَ مِنْ أَتْحَاءِ الْمَعْمُورَةِ .

فَمَا مِنْ مَّصَلٍّ فِي خُيُوطٍ ^(١) كَلِمَةٍ
مِنَ الْفَجْرِ أَوْ فِي غَشِيَةٍ ^(٢) مِنْ تَهْجِدٍ
وَلَا رَاكِعٍ أَوْ قَائِمٍ فِي جَمَاعَةٍ ^(٣)
وَلَا تَقَرٍّ فِي وَقْدَةِ الظُّهْرِ مُسَجِّدٍ
وَلَا بَلَدٍ يُحْيِي لِعَبِيدٍ صَلَاتَهُ ٢٥
وَرَاءَ إِمَامٍ مُطْرِفٍ ^(٤) الثَّوْبِ مُسَجِّدٍ ^(٥)
وَلَا أُمٍّ إِلَّا تَوَلَّتْ وَجْهَهَا
إِلَى وَجْهِ هَذَا السَّرْمَدِيِّ الْمُتَلَدِّ ^(٦)
يُطِلُّ عَلَى الْأَرْجَاءِ فِي أَوْجِ عِزِّهِ
مِنَ الرَّهْوِ ^(٧) مَرْتَبًا لَدَى كُلِّ مَوْرِدٍ ^(٨)

- (١) خيوط : جمع خيط . والخيط : السلك أو الخيط المعروف ، ولكنه هنا بمعنى الخط الدقيق الذي يفصل الظلام عن النور عند بزوغ الفجر .
- (٢) غشية التهجد : تأخذ المصلي في جوف الليل والناس نيام ، فيبدو من فرط وجده كالمغشي عليه في نجواه .
- (٣) في جماعة : أى صلاة جماعة .
- (٤) مطرف الثوب : أى جديده وطريفه ، وأطراف الرجل : جاء بطريقة .
- (٥) أسجد فهو مُسجد : طأطأ رأسه وانحنى ، وهى هيئة المصلي أثناء وقوفه بين يدي الله .
- (٦) المتلدد : القديم . قال صاحب المحيط : وخلق متلد كمُعظم : قديم .
- (٧) الرّهو : المكان المرتفع .
- (٨) الوارد والمورد : الطريق .

هجرة الخليل بهاجر واسماعيل

بَنَاهُ خَلِيلٌ^(١) اللَّهُ زُلْفَى لِإِلَهِ^(٢)

وَقَامَ عَلَيْهِ مُرْفِدٌ^(٣) بَعْدَ مُرْفِدٍ^(٣)

عَلَى كَثَبٍ مِنْ زَمَزَمٍ - طَابَ مَاؤُهَا

وَسَاجِمَةٌ^(٤) فِي الْغَارِ كَهْفِ التَّزْهَدِ

٣٠ وَفِي بَطْنِ وَادٍ أَوْبَقٍ^(٥) الزَّرْعَ وَالْحَلَى^(٦)

لَدَى كَلْدٍ^(٧) مِنْ حَرَّةٍ^(٨) لَمْ تُهَدِّ

(١) خليل الله : هو سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

(٢) الأل : هو الله عز وجل . لغة في الله .

(٣) مُرْفِد : عظيم أو أمير أو خليفة أو ملك يصل الناس والحجاج ويعطيهم .

(٤) الساجمة : أراد بها حمامة أو يمامة تسجع أى تهتف وتهتف وترنم

في غار حراء الذى كان كهف التزهد لنبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم :

(٥) أوبق : أهلك .

(٦) الحلى : الرطب من النبات .

(٧) الكلد جمع كلد : وهى القطعة الغليظة من الأرض .

(٨) الحرّة : أرض ذات حجارة سود .

أَرَادَ لَهُ الرَّحْمَنُ رَقْشًا^(١) فَسَاقَهَا
 طَرِيدَةً غَيْرِي أَخْرَجَتْ إِثْرَ مَوْلِدِ^(٢)
 يَسِيرُ بِهَا بَعْلٌ - سَقَى اللَّهُ أَرْضَهُ
 إِلَى شَعْبٍ^(٣) قِيٍّ مِنْ عُرَيْنَةٍ^(٤) مُبْعَدٍ
 وَيُسَلِّمُهَا لِلْأَزَلِ^(٥) فِي «الْحَجَرِ»^(٦) وَالشَّجِي
 قِيًّا خُذَهَا التَّصْعَاقُ مِنْ جَوْرِ مُلْهَدٍ^(٧)
 بِقِيٍّ رُبَّةٍ مَاءٌ جَفَّ إِلَّا ثُمَالَةً
 وَبِضْعَةٍ تَمَرٍ فِي تَلَافِيْفٍ مَزُودٍ

-
- (١) الرقش : الزخرف : أى أراد الرحمن أن يزخرفه بالأهال والعمران .
 (٢) طريدة غيرى : هى السيدة « هاجر » رضى الله عنها ، وقد كان أهداها
 فرعون مصر لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، فتسراها ، فحملت منه
 بإسماعيل عليه السلام ، فلما وضعت غارت منها سينتها « سارة »
 زوج إبراهيم الخليل ، فطردتها من بيتها ، نتيجة تلك الغيرة لأن « سارة »
 كانت عاقراً .
 (٣) الشَّعْب : الطريق فى الجبل ونحوه . والقي : الأرض إذا كانت قفراً .
 (٤) عَرَيْنَةٌ : موضع بين منى وعرفات ، ولعل عريئة لغة فيها أو تصغير .
 (٥) الأزل : الضيق والشدة .
 (٦) الحجر : هو الموضع الذى أنزل فيه إبراهيم زوجته « هاجر » وابنه
 « اسماعيل » بوادى مكة غير ذى الزرع .
 (٧) أُلْهَدَ فهو مُلْهَد : ظلم و جار .

٣٥ وَعَيْنٍ سَخَتْ مِنْهَا شُئُونٌ^(١) سَكِيمَةٌ
 وَقَلْبٍ كَسِيرٍ سَاعَةِ الْبَيْنِ مُقَرَّدٌ^(٢)
 مُعَذَّبَةٌ يَفْرَى^(٣) حَشَاهَا مُعَذَّبٌ^(٤)
 مُمَدَّدَةٌ فِي حَقْفٍ^(٥) طِفْلِ مُمَدَّدٍ
 وَيَضْرِبُ فِي تِيكَ الْمَفَازَاتِ آفِلًا
 إِلَى مَوْطِنٍ بَعْدَ الرَّمِيضَاءِ^(٦) أَرْمَدٌ^(٧)
 لَكَ اللَّهُ يَا أَخْتَاهُ ! هَلْ ذَاكَ مَوْعِدٌ
 مَعَ اللَّهِ .. ؟ أَمْ هَلْ جِئْتَ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ !

-
- (١) الشُّئُونُ : الدموع . وأصلها مواصل قبائل الرأس وملتقاهها ومنها
 تجيء الدموع .
 (٢) أقرد فهو مُقَرَّد : سكت وسكن وذلك و تماوت .
 (٣) يفرى : يقطع .
 (٤) معذب : هو ولدها اسماعيل عليه السلام .
 (٥) الحقف : المعوج من الرمل ، كأنه عليه السلام كان يضرب بيديه
 ورجليه الرمل فيتعوج تحته .
 (٦) الرمضاء الحجارة الحامية من حرّ الشمس ، صُغرت لصغر رمضاء مكة
 إذا قيست برمضاء الصحراء إطلاقاً .
 (٧) أرمَد : نعت ديار إبراهيم عليه السلام بالارماد لاحتاطها بالبيد سافيات
 الرمال فكأنها عين رامدة .

وَمَا ذَنْبُ طِفْلِ صَاغَهُ اللَّهُ آيَةً
 مِنَ الْحُسْنِ فِي هَذَا الْبَلَاءِ الْمُؤَكَّدِ
 ٤٠ ضَرَبَتْ عَنِ الظُّلَمَاءِ صَفْحًا وَعَكَّرَهَا^(١)

وَأِعْرَاسِ حَفْلٍ مِنْ بَنِي الْجِنِّ مُرْعِدِ
 لَهُمْ طَنْبٌ^(٢) مَأْثُورَةٌ عَنْ جَهَنَّمَ
 وَجَرَجَرَةٌ^(٣) مِنْ ذَوْدِ^(٤) إِبْلِ^(٥) مُدَوْدِ^(٦)
 وَفِيهِمْ عَمِيْدٌ جَائِمٌ فِي تَلَهَّبِ
 لَدَى طَلَلِ^(٧) مِنْ سَاعِرِ النَّسِجِ^(٨) مُوتَدِ

-
- (١) عكرها : منهها الردىء وأهوالها السيئة .
 (٢) الطنب : جبل الخبء أو السراق ، وتبد .
 (٣) الجرجرة : صوت يردده البعير من حنجرتة .
 (٤) الذود : من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر ، وقيل إلى خمس عشرة ،
 وقيل إلى عشرين أو ثلاثين ، وقيل ما بين الاثنين والتسع . مؤنث
 لا يكون إلا من الإناث .
 (٥) الإبل : لغة فى الآبل .
 (٦) مدود : مُساق ومطروود . وذاد الإبل : ساقها وطردها .
 (٧) الطلل : من الدار الدكائة يُجلس عليها ، ومن السفينة جلالها وهو غطاء
 تغشى به كالسقف للميت .
 (٨) ساعر النسج : ملتهبه : كأنما نسجوا له خيوطاً من اللهب . وموتد :
 من أوتدت الوتد فهو موتد وموتود لغة .

فَهَلْ فِيكَ يَا زَوْجَ النَّبِيِّ بَقِيَّةٌ
تُجَاهِدُ مَا هَمَّتْ بِهِ الْيَدُ فِي غَدٍ ؟

رَمَزٌ

عَلَى ظَرْبٍ ^(١) قُرْبَ الصَّفَا ثُمَّ مَرْوَةَ
وَشَمْسُ الْفَلَاحِ تَرْمِي بِوَقْدٍ مُطَرَّدٍ ^(٢)
٤٥ تَهَاوَى عَلَى الْبَطْحَاءِ ^(٣) حَتَّى كَأَنَّهُ
سَيَاطُ أُعِدَّتْ مِنْ لَهْيَبٍ مُقَدَّدٍ ^(٤)
شَجَاهَا الشَّجَى ^(٥) لَمَّا أَنَّى ^(٦) الدَّمْعُ وَكَفَا ^(٧)
وَأَسْبَلَتْ الْعَيْنَانِ جَفْنَ التَّسَهَّدِ

(١) الظرب : الرابية الصغيرة .

(٢) المطرد : تقول أطرده وطرده بالثقيل بمعنى أخرجه . فالوقد المطرد
معناه المخرج من الشمس .

(٣) البطحاء والأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

(٤) المقدد : الذي مشوى على النار حتى أوشك على اليبس .

(٥) شجاها : حزنها . والشجى : الهم والحزن .

(٦) أنى : حان .

(٧) وكف الدمع : سال قليلا قليلا .

فَرَّاحَتْ تَهِيلُ الْأَرْضَ مَا بَيْنَ مَرْوَةٍ

وَبَيْنَ الصَّفا عِنْدَ السَّبِيلِ الْمُعَبَّدِ

وَتُطْلَقُ إِعْوَالًا عَصِيًّا^(١) سَمَاءُهُ

فَقَدْ يَبْسُتُ أَطْرَافُهَا مِنْ تَجَمُّدِ

رُؤْيَدِكَ يَا أُخْتَاهُ! كُنِّي وَكَفِّكِنِي^(٢)

وَمُدِّي بَنَانِ^(٣) الشُّكْرِ لِلَّهِ وَأَسْجُدِي

٥٠ فَهَذَا أَمِينُ اللَّهِ جَبْرِيلُ وَقِفْ

وَفِي يَدِهِ قَارُورَةٌ مِنْ مُبَرَّدِ^(٤)

يَمْدُ جَنَاحًا مِنْ عَقِيقِ مُقَوَّسٍ

وَيَضْرِبُ فِي الرَّمَضَاءِ ضَرْبَةً مُنْجِدِ^(٥)

(١) عصيباً : شديداً على النفس .

(٢) أى كفى عن هذا الصياح وكفكفى من دمعك .

(٣) البنان : الأصابع أو أطرافها . جعلها هنا فى موضع الكف لأنها هى التى ترتفع فى الدعاء .

(٤) مبرّد : مبالغ فى تبريده .

(٥) ضربة منجد : أى ضربة من جاء خصيصاً لنجدة الأمّ المعذبة ، فهى لذلك ضربة قوية .

فَيَبْلُجُ^(١) مَاءٍ ... إِنَّهُ مَاءٌ زَمْزَمُ
 بِحَرَمٍ^(٢) الْفَلَا يَنْسَابُ فِي ظِلِّ أَكْتَدٍ^(٣)
 تَحُطُّ^(٤) عَلَيْهِ قُبَرَاتٌ وَدِيعَةٌ
 وَتَضْحَكُ فِيهِ صَفْحَةٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ^(٥)
 كُلِّي وَاشْرَبِي فِي الْقَاعِ^(٦) وَاسْتَلْهِمِي الرُّبَا
 نَشِيداً بِتَسْبِيحِ الْإِلَهِ الْمُجَدِّ
 ۵۵ فَهَذَا مَثَابُ^(٧) الْبَيْتِ مِنْ عَهْدِ آدَمَ
 وَلَيْسَ يَضِيرُ الْبَيْتَ إِطْعَامُ مُعْتَدٍ

-
- (١) بليج : أضاء . أى فينبع ماء وضئ .
 (٢) الحرم لغة في الحرام .
 (٣) الكتد : جبل بمكة بطرف المُخَمَّس ويحییء أيضا بمعنى مجتمع الكتفين
 من الانسان . والأكتد : المشرف الكتد . وقد سمي الشاعر الجبل
 بالصفة المشتقة من اسمه .
 (٤) تحط : تنزل .
 (٥) كناية عن نمو العشب في المكان فهو صفحة ضاحكة من خضرة
 كالزبرجد .
 (٦) القاع : كل مستو من الأرض .
 (٧) مثاب الحوض : وسطه الذي يثوب إليه الماء — أى يرجع ؟ ومثاب
 البيت : وسطه الذي يثوب إليه الحجاج والعاكفون والركع السجود .

وَجُوبِي بِإِسْمَاعِيلَ فِي الْحَزَنِ ^(١) إِنَّهُ
عَنَانٌ ^(٢) وَكِيعٌ ^(٣) الْعَيْسِ، فِي خَطْوٍ عَجْرَدٍ ^(٤)
لَهُ شَعَرٌ لَمْ تُرْسِلِ الشَّمْسُ مِثْلَهُ
شُعَاعًا عَلَى لَيْجٍ مِنَ الْبَحْرِ مُزِيدٍ
وَعَيْنَانِ زَرْقَاوَانٍ فِي هُذْبٍ عَسَجَدٍ
وَجَبْهَةٍ رُبَّالٍ ^(٥) وَإِقْبَالٍ مَسِيدٍ
مِنَ الْخَيْلِ ^(٦) يُدْعَى - وَهُوَ مِنْهُمْ زُرِّيَّةٌ ^(٧)
رَهَا ^(٨) ثُمَّ فِي دَهْيٍ ^(٩) مِنَ الْعَقْلِ مُوَحَدٍ ^(١٠)
يُرْوَضُ وَحَشَى الْجِيَادِ وَقَبِيلُهُ
عَدَوْنَ وَحُوشًا يَبْنَ أَثْلٍ وَإِجْرَدٍ ^(١١)

-
- (١) الحزن : ما غلظ من الأرض .
(٢) العنان : السحاب أو الذي يمسك الماء منه واحدة عناة . و « إنه عنان »
أى يسخو كما يسخو السحاب . (٣) الوكيع : الشديد المتين .
(٤) العجرد : الخفيف السريع . (٥) الرُّبَالُ الأسد .
(٦) الخيل هنا : الفرسان . فهو يدعى فارساً . قال تعالى : « واجلب
عليهم بخيلك ورجلك » .
(٧) الزبية : الرابية لا يعلوها الماء . أى وهو منهم على المكانة .
(٨) رها : سكن من (السكون) والسكون من شيم الأفاذاذ .
(٩) الدهى كالدهاء : جودة رأى .
(١٠) الموحد : واحد زمانه من قولك أوحده الله .
(١١) الأثل : شجر . وهو نوع من الطرفاء . والاجرد : نبت يدل على =

وَعَنَّ^(١) بِأَصْـدَاءِ لِيَمِيدٍ وَأَنْجِدْ
يُرَدِّدُهَا مَا بَيْنَ حَلْقٍ وَحَرْقِدٍ^(٢)
يَبْكَ بِهٍ الْعَرْبَاءُ أَزْهَتْ فَصَاحَةً
وَصَاغَتْهُ أَوْزَانًا بِصَوْتٍ مُجَسَّدٍ^(٣)
وَبِالْقَوْسِ مِنْ صُنْعِ الْخَلِيلِ^(٤) لَهُ دَدٌ^(٥)
فَرَمَى^(٦) بِأَنْبَالٍ^(٧) عَلَى ظَهْرِ حَيِّدٍ^(٧)

الكمة . وقد ورد في المأثور أن اسماعيل عليه السلام كان أول من
ركب الخيل وكانت قبله من الحيوانات المتوحشة ، ومن ثم قيل لها
« العراب » . وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اركبوا
الخير فانها ميراث أبيكم اسماعيل عليه السلام » . وكان ترويضه لها
بأجساد من أحياء مكة المكرمة .

(١) الغنّة : جريان الكلام في اللهاة — أعنى الهنة المطبقة في أقصى سقف
الفم . والفعل منها غن يغن بالفتح .

(٢) الحرّقد : أصل اللسان . وفي الحديث : « أول من فتح لسانه بالعربية
البيّنة اسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة » .

(٣) الصوت المجسد : المرقوم على نغمات .

(٤) ذلك أن إبراهيم عليه السلام صنع لولده إسماعيل قوساً للصيد ، وكان
أول قوس يستعمل في البادية . ثم تعلم إسماعيل عليه السلام صنع
القيسيّ بيده وعنه أخذت العرب وفي الحديث : « ارموا بني إسماعيل
فان أباكم كان رامياً » .

(٥) الدد : اللعب .

(٦) الأنبال : جمع نبل أو نبلة وهي السهام .

(٧) الحيد من الدواب والخيل هو الذي يحمي عن ظله نشاطاً .

وَيَضْرِبُ فِي الْأَرْجَاءِ فَرَسًا^(١) فَيَمْنُثِي
بِصَيْدٍ مِنَ الْغَزْلَانِ جَمًّا^(٢) مَرَجَّدٍ^(٣)
يُؤْكِرُمُ^(٤) مَا شَاءَ الْقَرَى مِنْ مَحَافِلِ ٦٥
وَسَا بِلَّةَ عُرْبٍ وَكَيْسٍ^(٥) مُوَكَّدٍ^(٦)
رُءُوسٍ وَأَقْيَالٍ عَلَيْهِمْ مَهَابَةٌ
وَبَضْمَةٌ فَخَذٌ مِنْ قَبِيْلٍ عَمْرَدٍ^(٧)
بِقَلْبٍ نَبِيٍّ وَأَنْبِعَاثٍ مُلْهَمٍ
وَمِنْجَةٍ ذِي تَبَاجٍ وَأَلَاءٍ مُنْفِدٍ^(٨)

-
- (١) الفرس : كل قتل . والفراس : الأسد . وفرس فريسته يفرسها : دق عنقها . فالفرس أيضا دق العنق .
(٢) رجَّد ترجيدا : ارتعش . فالمرجد : المرتعش . أى أن صيده من الغزلان آت لساعته فلا يزال لجه يرتعش .
(٣) يؤكرم : يكرم .
(٤) الكيس : العقل والرجاحة . والموكد : مثل موكد .
(٥) العمرد : الشرس الخاق القوى والحديث الداهية .
(٦) أنفد : أفنى . وآلاء منفد أى نعم من يفنى ماله إفناء .

رَفَعُ الْقَوَاعِدِ مِنَ الْبَيْتِ

وَإِذْ يَرْفَعَانِ ^(١) الْبَيْتَ : هَذَا خَلِيلُهُ
وَذَلِكَ ابْنُهُ يُشَدُّوْا بِذِكْرِ ^(٢) مُرَدِّدِ
قَوَاعِدَ جَبِّ الْأَخْشَبَانِ ^(٣) صَلَاتَهَا
وَمَا لَبِثَا أَنْ أَخْلَدَا أَيَّ مُخْلَدٍ
٧٠ وَأَسْنَمَةً ^(٤) خُضْرًا أَجَاءَ ^(٥) لِأَسْنَمِهِ
إِذَا قَدِحَتْ نَارَتْ ^(٦) بِنَارٍ وَأَزِيدَ ^(٧)

(١) أى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مصداقا لقوله تعالى (وإذا يرفع إبراهيم

القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .
وذلك عند عودة إبراهيم عليه السلام لزيارة ابنه وقد بلغ مبلغ الرجال .

(٢) الذكر هنا : القرآن أو كتاب الله . أى يترنم بدعاء أورده الله تعالى
فى القرآن المجيد .

(٣) الأخشبَان : جبلا مكة « أبو قيس » و « قعيقعان » .

(٤) ورد فى تواريخ الكعبة ما نصه : وفى أساس الكعبة وضع إبراهيم

حجارة خضرا كالأسنمة — أى أسنمة الابل . وقيل فى رواية أخرى

أنها حمر ، وذلك عندما كشف عن أساسها حين إعادة بناء الكعبة فى

عهد عبد الله بن الزبير .

(٥) أجاءه : جاء به . (٦) نارت : أضاءت .

(٧) وأزيد : من الزيادة أى إذا قدحت تلك الحجارة أضاءت بمثل ما تضيء

النار أو أكثر . وقد جاء فى السير أنها عند ما أزيل عنها البناء عند

إعادة بناء الكعبة قيل الوحى واصطكت بها المعاول صدر عنها

ما ارتعدت له الفرائص فرقا وهو لا .

وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي كُنْتُ إِذْ ذَاكَ شَاهِدًا
 تَأْتِيهَا لَمَّاحَةٌ فِي الْمَجَرِّدِ^(١)
 زَبَرَجْدُ جَنَّاتِ لَاسَّاسِ^(٢) جَنَّةِ
 وَيَنْعُ حِجَارِ^(٣) عِنْدَ صَفْوَانَ أَجْرَدِ^(٤)
 عَلَا أَذْرَعًا تَسْمَا وَلَا سَقْفَ فَوْقَهُ
 فَلَيْسَ خَلِيلُ اللَّهِ يَنْلُو بِمَحْكِدِ^(٥)
 وَلَكِنْ يَرْمِضُ الصَّخْرَ رَصًّا لِكَعْبَةِ^(٦)
 وَيَسْعَى خَفِيفَ الْحَاذِ^(٧) فِي حَفْدِ^(٨) جُرْهَدِ^(٩)

(١) تقول: امرأة بضة الجردة والمجرّد والمتجرد أى بضة عند التجرد من ثيابها .

(٢) آساس : جمع أسس ، والأسس جمع الأساس .

(٣) الحجار كالأحجار : جمع الحجر .

(٤) أجرد : لا نبات فيه .

(٥) المحكد : الملبأ : أى أنه لا يبنى ملبأ أو حصناً .

(٦) ذلك أن خليل الله لم يبن البيت بِمَدَرٍ ولكن رصه رصاً .

(٧) الحاذ : الظهر .

(٨) الحفد : الخفة في العمل .

(٩) الجرهد : السيار النشيط .

٧٥ وَمِنْ خَلْفِهِ نَجْلٌ هُوَ الشَّرْقُ^(١) غُرَّةٌ

يُنَاوِلُهُ الْأَحْجَارَ مِنْ جَنْبِ جَمْعِدٍ^(٢)

عَلَى مِائَةِ أَرْبَى^(٣) خَلِيلٌ مُحَبَّبٌ

وَلَمْ يَكُ مِنْ قَرْنٍ بِمَحْنِيٍّ أَجْرَدٍ^(٤)

عَلَى مِائَةِ أَرْبَى وَلِلْوَجْهِ نُورُهُ

وَلَيْسَ عَلَيْهِ ظِلَّةٌ مِنْ تَجَمُّدٍ

وَأَبْلَقَ^(٥) أَبَا شَادَهُ بَعْدُ تَبَعٌ

وَتَبَعَ مُلْكُ رَافِيهِ فِي التَّرَادِ^(٦)

فَلَمْ يَبْنِهِ إِلَّا الْعَمَالِيقُ بَعْدَهُ

وَجَرُّهُمْ فِي لَيْنٍ مِنَ الْعَيْشِ أَخْضَدٍ^(٧)

(١) الشرق : الشمس .

(٢) الجمعد : الحجارة المصفوفة .

(٣) ورد في بعض الروايات أن إبراهيم عليه السلام عند ما بنى الكعبة كانت سنه مائة عام وقيل أكثر من ذلك .

(٤) الأجرد : الظهر . تقول رمى على جرده وأجرده أى على ظهره .

(٥) أبلق : فتح . فإن إبراهيم عليه السلام جعل للبيت باباً لاصقاً بالأرض غير مرتفع ولم ينصب عليه باباً يقفل وإنما جعله تبّع الحميري بعد ذلك

(٦) تراد : اهتز نعمة ومنه الترأد .

(٧) الأخضد : المتثنى .

٨٠ أَنَابَهُمُ الرَّحْمَنُ مُلْكًا وَأَنْعَمًا

فَلَمَّا طَغَىٰ ذَاقُوا وَبَالَ التَّخَدُّدِ^(١)

بِذَرٍّ مَشَىٰ فِيهِمْ^(٢) - وَلِلذَّرِّ بَأْسُهُ

فَمَزَّقَ مِنْهُمْ كُلَّ نَحْرٍ وَنَحْرِدِ^(٣)

وَقَامَ خَلِيلُ اللَّهِ يُرْجَىٰ دُعَاؤُهُ

وَقَدْ وَسَّلْتُ^(٤) نَبْرَاتُهُ فِي تَوَادٍ^(٥)

يقول : لَقَدْ أَنَسَلْتُ^(٦) يَارَبَّ أُمَّةٍ

لَدَى الْبَيْتِ فَكَأَلَهُمْ بَرَغْسٍ^(٧) وَزَغَبَدٍ^(٨)

(١) تخدد لحمه : هزل ونقص — ومنه التخذد .

(٢) ورد في تواريخ مكة أن العماليق هم الذين بنوا البيت بعد إبراهيم ، ومن بعد العماليق بنته جرهم . وكانوا — أى جرهم — فى أول أمرهم أهل ذهب وفضة وأنعام . فلما طغوا وتظاهروا بالآثام والمعاصى سلط الله عليهم الذر حتى أخرجهم من الحرم ففترقوا وهلكوا والذر فى النمل كالزنبور فى النحل . ثم بناه قصى جد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم البناء المعروف قبل بعثته .

(٣) المحرد : مفصل العتق . (٤) وسلت : رغبت وتقربت .

(٥) تواد تواداً مثل اتأد . فالتواد : التأنى والتثبت .

(٦) أنسلت : كان لى نسل .

(٧) الرغس . النماء والخير والنعمة .

(٨) الزغبد : الزُّبْد .

وَدَارِي شَطُونٌ^(١) فِي اخْضِرَارٍ وَدَارُهُمْ
 جَدُوبٌ فَلَا زَرْعَ لَدَيْهَا وَلَا وَدِي^(٢)
 ٨٥ فَذَرَهُمْ يُقِيمُوهَا صَلَاةً تَقِيَّةً
 تُبَارِكُ فِي رِزْقٍ لَدَى الْبَيْتِ مُورِدًا
 تَرَامِي إِلَيْهِ الْوَحْيُ : قَوْمًا^(٣) فَطَهَّرَا
 مَكَانِي إِنْ الْبَيْتَ رَمَزُ التَّعَبُّدِ
 يَحِجُّ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ تَاهِمٍ^(٤)
 مِنَ الْأَرْضِ ذِي رُبْعٍ^(٥) وَمِنْ كُلِّ مُنْجِدٍ
 فَلِلْمُجْمِ مِنْ غَشِيَانِهِ بَعْضُ غَايَةٍ^(٦)
 وَلِلْعُرْبِ فِيهِ مَقْصِدٌ أَيْ مَقْصِدٍ
 وَإِنْ تَكُنِ الْحُسْنَى فَلِلنَّاسِ أَجْمَعِ
 حَجِيجٌ إِلَى هَذَا الْحَبِيبِ الْمُشِيدِ

(١) شطون : بعيدة .

(٢) الودي : صغار الفسيل (وهي خلائف النخل) الواحدة وديّة .

(٣) الخطاب هنا والأمر لكل من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

(٤) تاهم : منخفض . ومنه تهامة لأنها انخفضت عن نجد .

(٥) الربع المنزل والمسكن . والمنجد : المرتفع الجبلي .

(٦) أي الحج فحسب .

٩٠ مَقَامٌ لِإِبْرَاهِيمَ فِي بَعْضِ حَضْنِهِ^(١)
وَكُسُوتُهُ^(٢) الرِّقَاشُ مِنْ وَشَى عَسَجَدِ
أَعَدَّ لَهَا عَدْنَانُ^(٣) مِنْ حُرٍّ مَالِهِ
وَمِنْ أَدَدٍ^(٤) ثَوْبًا رَصِيغًا بِمَحْفَدِ^(٥)
وَأَلْبَسَهُ مَلِكُ الْيَمَانِينَ تَبِعَ^(٦)
مُسُوْحًا وَأَنْطَاعًا^(٧) وَأَشْبَاهَ مُجَسَدِ^(٨)

- (١) أى فى جانب منه ، لأن الحَضْنَ معناه هنا جانب الشيء وناحيته .
(٢) الكسوة بضم الكاف كالـكسوة بكسرها — وهى واحدة الكسا أى ما يتكسّى به .
(٣) قيل إن عدنان هو أول من كسا الكعبة منذ عهد إبراهيم عليه السلام .
(٤) أدد : والد عدنان . أراد الناظم أن يقول : ومما ورث عن أبيه أدد .
(٥) المحفد : وشى الثوب .
(٦) تبع : إما أن يكون إسمًا للملك من ملوك اليمن . وإما أن يكون علمًا على كل ملك يبنى كفرعون لمصر وكسرى لفارس والنجاشى للحبشة . ورد فى المحيط : « التبابعة ملوك اليمن ، الواحد كسكسر ، ولا يسمى به إلا إذا كانت له حمير وحضر موت » . وتبع هذا الذى كسا الكعبة لا بد أن يكون غير تبع الأول الذى كان ينوى هدمها كما ورد فى مكان آخر من هذه الملحمة .
(٧) الأنطاع . جمع الأنطع بكسر النون وفتحها وبالتحريك وكعـنـب وهو بساط من الأديم .
(٨) المجسد : المصبوغ .

وَصَائِلَ حُمْرًا حَمِيرًا نَسِيجُهَا
 مُطَرَّزَةً فِي زَيْنَةٍ مِنْ حَفَنْدٍ^(١)
 وَبِئْرٍ^(٢) لَهُ يُلْقَوْنَ فِيهَا نَذُورَهُمْ
 وَقَدْ بَزَغُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَأَنْجَدِ
 ٩٥ ذُهَبًا^(٣) وَطِيبًا لَيْسَ فِي الْعُرْبِ مِثْلُهُ
 يُقَرَّبُهُ الْحَجَّاجُ مِنْ كُلِّ مَرْتَدٍ^(٤)

(١) الحفندد : صاحب المال الحسن القيام عليه . وقد جاء في كتب التاريخ أن كسوة الكعبة في زمن الجاهلية كانت من المسوح والأنطاع . وكان أول من كساها تبع الحميري — وقيل عدنان بن أدد — كساها الأنطاع ثم كساها الثياب الحميرية . وفي رواية كساها الوصائل ، وهي برود حمر موصولة فيها خطوط خضر تصنع باليمن . ثم كانت قريش تشتري في كسوة الكعبة حتى نشأ أبو ربيعة بن المخيرة فقال لقريش : أنا أ كسو الكعبة سنة وحدي وجميع قريش سنة . وقيل كان يخرج نصف كسوة الكعبة كل سنة ففعل ذلك إلى أن مات فسمته قريش « العدل » لأنه عدل قريشاً وحده في كسوتها . ويقال لبنيه « بني العدل » واستمر ذلك إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم فكساها الثياب اليمنية .

(٢) عن كتب السيرة : وكان الناس يلقون الحلي والمتاع كالطيب الذي يهدى إلى الكعبة في بئر داخلها عند بابها على يمين الداخل منه أعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة . فأراد شخص في أيام جرهم أن يسرق من ذلك شيئاً فوقع على رأسه وانهارت البئر عليه فهلك وفي رواية فسقط عليه حجر فخبسه في تلك البئر حتى أخرج منها وانزع المال منه .

(٣) الذهب : جمع الذهب . (٤) المرتد : الرجل الكريم .

وَقَرْنَانِ^(١) لِلْكَبْشِ الَّذِي كَانَ فِدْيَةً
 مَضَى الْكَبْشُ وَاهْتَزَا كَعُودِ مُجَرَّدِ^(٢)
 وَثُمَّ نَدَى^(٣) لِلذَّبِيحِ وَأَهْلِهِ
 تَمِيلُ إِلَيْهِ الْعُرْبُ فِي وَلِي^(٤) زُهْدٍ
 فَتَقْمِشُ^(٥) مِنْهُ فِي قُنُوتٍ سَدَادَهَا
 مُوَحَّدَةً فِي اللَّهِ بَعْدَ التَّبَدُّدِ
 وَصَحْوَةِ يَوْمٍ كَانَ قُدْسًا^(٦) دُعَاؤُهُ
 وَنَاضِحَةً أَفْوَاجُهُ^(٧) بِالتَّشَهُدِ
 ١٠٠ أَفَادَ عَرَاهُ اللَّهُ فَيْدًا^(٨) فَرَّاشَهُ^(٩)
 بِقَطْعٍ مِنَ الصَّخْرِ السَّمَاوِيِّ^(٩) أَسْوَدِ

- (١) كان هذان القرنان — وهما قرنا الكبش الذي فدى به إسماعيل عليه السلام — معلقين بسقف الكعبة . وظلا كذلك حتى احترقت الكعبة على عهد عبد الله بن الزبير . وقيل نزعا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لئلا يكون في البيت ما يشغل المصلين عن الصلاة . وهو الصواب فيما نعتقد . (٢) المجرد : المقشور . (٣) إسماعيل عليه السلام . (٤) الولي : القرب والدنو . (٥) تقمش : تجمع من هنا ومن هناك . (٦) القدس . الطهر . (٧) أفاده أعطاه . والفيد من قولك فأدت فائدة فيدأ وهي الزيادة تحصل للانسان . والعرا مقصوراً بالآلف : الفناء والساحة . (٨) راشه ريشاً : أناله خيراً . (٩) أراد الحجر الأسود .

يَقْبَلُهُ السَّاعُونَ تَقْبِيلَ وَامِقٍ
إِذَا هُمْ أَفَاضُوا مِنْ طَوَافٍ مُعَدِّدٍ
بِهِ نَعَمْ إِنْ جِئْتَهُ فِي مَزَارِهِ
لَدَى شَفَقٍ ^(١) شَامٍ ^(٢) الْوَرَى فِي تَأْيِيدٍ
وَيَشْفِي نَفُوسَ الطَّائِفِينَ بِنَفْحَةٍ
إِلَهِيَّةٍ تَسْرِي بِعَرَفٍ مُنْدَدٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا خِلَّ رَبِّهِ
وَمِنِّي عِدَادُ الرَّمْلِ مِنْ قِيلٍ بَدِيدٍ ^(٣)
١٠٥ بَنَيْتَ لَنَا دِينًا وَأَعْلَيْتَ مَنْسَكًا
وَخَلَدْتَ صَرْحًا مِنْ فَخَارٍ مُؤَطَّدٍ ^(٤)
بِهِ مَلَكَوْتُ اللَّهِ إِنْ قَالَ قَائِلٌ
أُرُونِي مَلِيحًا هَشًّا مِنْ تَحْتِ أَبْرَدٍ ^(٥)

(١) الشفق : الشفيق وهو الكعبة ، لأن الحجر الأسود مودع في أحد أركانها .

(٢) شام : رقب .

(٣) بد بد : كلمة استحسان مثل بخ بخ .

(٤) أطد فهو مؤطد : مثل وطد .

(٥) أبرد : جمع البرد وهو ثوب مخطط — أراد كسوة الكعبة .

وَيُغْفَرُ ذَنْبُهُ عِنْدَهُ كَانَ آيسًا
وَتُفْتَحُ جَنَّاتُ لِقَابَالٍ وَفِدٍ
وَمَدْخَلُهُ أَمْنٌ وَإِنْ كَانَ حَوْلَهُ
دِمَائِهِ تَعَالَى مُوْجُهَاً بِالتَّحْقُدِ (١)
وَمِنِّي إِلَى مَنْ مَدَّ لِلذَّبْحِ نَحْرَهُ (٢)
وَلَمْ يَكُ تِلْقَاءَ الرَّدَى بِالْمُسْخَدِ (٣)
١١٠ رِثَاءُ الَّذِي يَبْكِي وَيُنْكِي قَرِيضَهُ
وَحَسْبُكَ ظِلٌّ مِنْ عَتِيقٍ مُسْنَدٍ! (٤)

(١) التحقد : الحقد ،

(٢) يريد إسماعيل عليه السلام .

(٣) المسخد : الخائر النفس والمصفر .

(٤) سند تسنيداً : لبس السند وهو ضرب من البرود . أى وحسبك في رقدتك الأبدية ظل الكعبة ، لأن إسماعيل عليه السلام دفن في الحجر وقيل في غيره — ولكن في حرم الكعبة على كل حال . وذكر المحب الطبري أن البلاطة الخضراء التي رآها بالحجر هي قبر إسماعيل عليه السلام .

أَصْنَامُ إِبْلِيسَ

وَلَمَّا صَفَا الْإِيمَانُ فِي الْبَيْدِ وَالنُّهَى
 وَرَتَّلَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ الْمُرْدَدِ
 وَأَسْفَرَتِ الْحَالَانِ شَتَّانَ مَاهُمَا^(١)
 هَوَى صَعِقًا إِبْلِيسُ مِنْ رَجْمٍ فَرَقَدِ!
 وَلَكِنْ قَدْرًا^(٢) سَابِقًا عِنْدَ رَبِّهِ
 أَرَادَ لَهُ نَشْرًا بِأَجْبَالِ^(٣) شَهْمِدِ
 لِيَنْزَغَ بَيْنَ النَّاسِ نَزْفًا^(٤) مُضِلًّا
 وَيَزْنَأَ^(٥) لِلْإِيمَانِ فِي كُلِّ مَصْعَدِ
 ١١٥ فَأَوْتَهُ أَغْرَابَ هَوَاءٍ قُلُوبُهُمْ
 أَبَوًا هَوَجًا بَاحَاتِ رَبِّ مُوَحِّدِ^(٦)

(١) أى انجلت حال الإيمان وحال الكفر التى مضت . وقوله شتان ماهما

أفصح من شتان ما بينهما .

(٢) القدر : لغة فى القدر بفتح الدال .

(٣) الأجبال : جمع جبل وشهد : موضع من مواضع العرب .

(٤) نزغ الشيطان بين القوم : أفسد .

(٥) زنا فى الجبل : صعد .

(٦) موحد : موصوف بأنه واحد . تقول أحده وثناه الخ .

يُرِيدُونَ أَرْبَابًا مِنَ النَّضْرِ ^(١) وَالصَّفَا
تُطِلُّ عَلَيْهِمْ فِي دِمَقْسٍ مُعْضَدٍ ^(٢)
وَتَقْضَىٰ بِمَا يَقْضُونَ مِنْ غَضَبٍ حَقَّةٍ ^(٣)
وَطَرَقِ سَبِيلِ جَا حِدِ الْكَفْرِ مُعْصَدٍ ^(٤)
كَأَنَّ إِلَهًا فِي السَّمَوَاتِ أَعْقَدُ
وَمَا صَنَعُوا مِنْ بَاطِلٍ غَيْرُ أَعْقَدٍ ^(٥) ..
كَأَنَّ إِلَهًا فِي السَّمَوَاتِ مُقْعَدُ
وَمَا صَنَعُوا مِنْ بَاطِلٍ غَيْرُ مُقْعَدٍ !
١٢٠ كَذَّابٍ يَهُودٍ أَشْرَبُوا الْعِجْلَ قَبْلَهُمْ
وَمَنْ عَبَدُوا بِالْعِجْرِ ^(٦) أَوْثَانًا عِلَكِدٍ ^(٧)

-
- (١) النضر ؛ الذهب أو الفضة .
(٢) المعصد من الثياب . الذي له علم في موضع العَصْد .
(٣) الحققة كالحق بل هي أخص منه في المعنى .
(٤) معصد : مَلَوَى مُلِتَو . وأعصده : لواه كعصده .
(٥) الأعقد هو الذي به عقدة في اللسان .
(٦) العجج : رفع الأصوات بشدة .
(٧) العلكد : القصيرة اللحيمة الحقيرة القليلة الخير أو العجوز الداهية .

وَمَنْ نَحْتُوا صَخْرًا وَقَالُوا : إلهنا .. !
وَمَنْ نَظْمُوا بِالْذُرِّ أَحْدَاقَ أَسْوَدٍ ^(١)
وَكَانَ إِسَافٌ ^(٢) فِي غَرَامٍ مُوَلَّهِ
بِنَائِلَةً تَمْشِي ضُحَى فِي تَخَوُّدٍ ^(٣)
فَقَبَّلَهَا فِي الْبَيْتِ - بَلْ قِيلَ نَالَهَا
سِفَاحًا ، فَظَلَّ فِي مُقَامٍ مَعْلُودٍ ^(٤)
وَقَالَ إِلَهُ الْعَرْشِ كُونَا حِجَارَةً
وَفِثْنَةً ذِي قَرْنٍ مِنَ الْجِنِّ ثَوَهْدٍ ^(٥)
١٢٥ فَكُلُّ مُحَمَّدٍ ^(٦) عَنْهُمَا آخِذٌ هَوَى
وَكُلُّ عُتْلٍ مِنْ شَبَابٍ مُرَدَّدٍ ^(٧)

(١) الأسود : الحية العظيمة . وكانت تعبد في مصر في عهد الفراعنة ولدى

قبائل كثيرة في الحبشة وغيرها .

(٢) إساف بالكسر والفتح : كان رجلاً فاجراً في عهد جرهم ، ويدعى

إساف بن يعلى والمرأة نائلة بنت زيد من جرهم . وكانا من أهل

الين . فحجا وكان أحدهما يحب الآخر فوجدا خلوة في البيت فأتاها .

(٣) التخود : الشئ من قولك تخوّد الغصن تخوُّداً .

(٤) علود فهو معلود : لزم مكانه فلم يقدر أحد على تحريكه .

(٥) الثوهد : السمين التام الخلق المراهق .

(٦) العمد : الشاب الممتلئ شباباً .

(٧) المردد : الجائر البائر .

وَلَمَّا أَقِيَا^(١) عِنْدَ زَمَزَمَ مَعْلَمًا
 وَصَلَدَحَ^(٢) كُفْرٍ مِنْ لَبَاةٍ وَأَعْقَدَ^(٣)
 صَفَا لَهُمَا الْحُجْبَا حَتَّى تَمْسَحُوا
 بَوَجْهِهِمَا بَعْدَ الزَّكَاءِ مِنْ تَطَوُّدِ^(٤)
 وَإِنْ نَسَكُوا^(٥) لِلَّهِ فَالذَّبْحُ فِيهِمَا^(٦)
 لَدَى حَبَشَى مُشَخَّنٍ^(٧) ضَفْنَدِ^(٨)

- (١) قيل الذى أقامهما عند زمزم بعد ما كانا منصوبين على الصفا والمروة ليكونا عبرة هو عمرو بن لحي وقد جعلنا فى وجه البئر.
- (٢) الصلَدَح : الحجر العريض .
- (٣) الأعقد : الكلب والذئب المتوى الذئب . فكأن نائلة أصبحت كاللبوة وإسافاً كالكلب . وهو نعت للأهانة والتحقير .
- (٤) الزكاء مقصوراً : الشفع من العدد . والتطود من قولك تطوّد أى طوّف كطود فقد صار من يطوف بالبيت الحرام يتمسح بهما ، فيبدأ بإساف ويختم بنائلة . وذلك قبل أن يجيء عمرو بهبل وغيره من الأصنام كما سيأتى . ولما ظهر الاسلام وكسرت الأصنام ، كره المسلمون الطواف أى السعى بين الصفا والمروة ، وقالوا : يارسول الله ، هذا كان شعارنا فى الجاهلية لأجل التمسح بالصنمين . فأنزل الله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله . » الآية ،
- (٥) نسك لله : ذبح نسيفة — وهى الذبيحة — تقرباً إلى الله أو إلى أحد الآلهة فى زمن الكفر والجاهلية .
- (٦) أى فى معبدهما أو حريمهما .
- (٧) المشخنن : المتغضب .
- (٨) الضفند : الرخو البطين .

وَلَا بَنٍ حَيٍّ - وَاسْمُهُ عَمْرُو^(١) - زَوْرَةٌ
لِجِيلٍ مِنَ الْبَوْشِ الْعَمَالِيقِ^(٢) قَمَهْدٍ^(٣)
١٣٠ تَفَرَّقَ فِي الْأَرْضَاتِ^(٤) مِنْهُمْ قَبَائِلُ
طَوَالٌ ، وَفِيهِمْ مِنْ قَمِيٍّ وَأَسْجَدٍ^(٥)
طَوَالٌ كَانَ النَّخْلَ فَخَذَ لِشَعْبِهِمْ^(٦)
وَبَمْشُونَ فِي ضَرْبٍ مِنْ الْخَطْوِ مُعَمَّدٍ^(٧)
وَأُخْرَى^(٨) لِإِخْوَانٍ لَهُمْ عِنْدَ سَبَسَبٍ
يُحْدِثُ نَدُّوا مِنْ قَبِيلٍ مُعَمَّدٍ^(٩)

-
- (١) هو أول من نصب الأوثان في الكعبة كما سيأتي .
(٢) البوش : الجماعة من الناس المختلطين . والعماليق أو العمالقة : قوم
تفرقوا في البلاد من ولد عمليق أو عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام
ابن نوح .
(٣) القمهد : اللثيم الأصل والتبجح الوجه .
(٤) الأرضات : جمع للأرض .
(٥) الأسجد : المستفخ الرجل .
(٦) الأصل في الشعب أنه القبيلة العظيمة .
(٧) المعمد : الطويل .
(٨) أي وزورة أخرى .
(٩) المتعبدة : الشارد . وعبد تعبيداً . ذهب شارداً .

وَكَانُوا اسْتَعَارُوا جَنَّتَهُمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ
 تَمَائِيلَ مِنْ قِطْرِ لَنْجِدِ النَّدَدِ^(١)
 وَمِنْ آتِكَ^(٢) جَوْنٍ وَصَخْرٍ مُبْرِقَشٍ
 عَلَى صُورِ الْأَعْلَاجِ^(٣) مِنْ كُلِّ جَلْسَدٍ^(٤)
 ١٣٥ وَعَمَرُو شَحَا^(٥) فِي الْجُودِ فَتَحَّامِنَ التَّوَى^(٦)
 وَأَطْعَمَ مِنْ أَمْتٍ^(٧) النَّدَى كُلَّ مَزْرَدٍ^(٨)

- (١) الندد : بين الخصومة شديد اللد . قال ابن قتيبة : ولم يأت على أفنعل الا حرفان قالوا النجح والندد من الد .
 (٢) الآتك : لغة في الرصاص . والجون : الأسود .
 (٣) الأعلاج : عظماء الرجال . والظاهر أن منشأ الأصنام أنها كانت تماثيل لعبادة أو ملوك أو تحوهم . كما كانت تمثل بعض مظاهر القوة والحياة الطبيعية .
 (٤) جلسد : اسم صنم .
 (٥) شحا : فتح .
 (٦) التوى مقصوراً : هلاك المال ، وبابه صدى . كان عمرو بن لحي كبير خزاعة التي أجلت جرهما عن ولاية البيت . وهو ابن بنت عمرو بن الحرث الجرهمي آخر ملوك جرهم . وقد ظل هو وذريته في ولاية البيت خمسمائة سنة . وكان آخرهم « حليل » الذي تزوج قصي ابنته .
 (٧) الأمت : المكان المرتفع .
 (٨) المزرد : الحلق : ذلك أن عمرو بن لحي هذا قد بلغ في العرب من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده في الجاهلية . وهو أول من أطعم الحج بمكة سدائف الأبل ولحمتها على الثريد . وذهب شرفه في =

وَلَبَّى بِأَصْنَامٍ ^(١) نُهَاقَ ^(٢) دُعَاؤَهَا وَأَفْتَى بِأَكْلِ الْمَيْتِ ^(٣) إِفْتَاءً مُفْسِدٍ

= العرب كل مذهب حتى صار قوله ديناً متبعاً لا يخالف وفي كلام بعضهم : صار عمرو للعرب رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم ، وربما نحر لهم في الموسم الواحد عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة .

(١) كان عمرو بن لحي أول من أدخل الشرك في التلبية . فإنه كان يلي بتلبية إبراهيم الخليل عليه السلام : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك » فتمثل له الشيطان في صورة شيخ يلي معه ، فلما قال عمرو لبيك لاشريك لك قال ذلك الشيخ : إلا شريكاً هو لك ... فأنكر عمرو ذلك . فقال له الشيخ : تملكه وما ملك ، وهذا لا بأس به . . . فقال ذلك عمرو وتبعته العرب على ذلك ، فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملسكها بيده . قال تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » . وهو أيضاً — أى عمرو — أول من وصل الوصيلة وحمل الحامي . (٢) النهاق كما النهيق .

(٣) قيل أن عمرو بن لحي هذا هو أيضاً أول من أحل أكل الميتة ، فإن كل القبائل من ولد إسماعيل لم تزل تحرم أكل الميتة حتى جاء عمرو فزعم أن الله تعالى لا يرضى بتحريم أكل الميتة ، وقال : كيف لا تأكلون ما قتل الله وتأكلون ما قتلتم ؟ . وروى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال « رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ورأيت عمرو يجر قُصْبَه في النار . » والقصب لغة الظهر والمعنى . وقال صلى الله عليه وسلم لا كُثم بن الجون الخزاعي : « يا أ كُثم ، رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فما رأيت رجلاً أشبه من رجل منك به ولا بك منه . . . » فقال أ كُثم : فعسى أن يضرنى شبيهه يا رسول الله . قال : « لا . إنك مؤمن وهو كافر » .

فَسَالَ^(١) : وَمَا تِلْكَ الْأَهَاوِيلُ وَيَحْسَكُم ؟
 فَقَالُوا : هُمُ الْأَرْبَابُ يَا عَمْرُو فَاعْبُدْ^(٢) !
 تَأْمَلْ تَرِ الْعُزَّى عَزِيزًا مَكَانَهَا
 وَقَدْ نَهَضَتْ تُعْطِي عَطَاءَ التَّوْحُدِ
 وَتِلْكَ مَنَاءٌ . . كَمْ لَهَا مِنْ فَضَائِلِ !
 وَقَاصِدُهَا يَرْنُو إِلَيْهَا كَانَ قَدِ^(٣) . .

(١) سال : لغة في سأل .

(٢) تخط الرواة في شأن رحلة عمرو إلى أرض العاليق وغيرهم وما اكتنفها من شئون تتعلق بادخال عبادة الأصنام إلى مكة . وخلاصة الرأي أن العاليق — وكان منهم فريق بأرض البلقاء في طريق قريش إلى الشام — رأى عندهم عمرو بن لحي أصناما كثيرة منها هُبْسَل الذي أعطوه إياه فقدم به مكة فنصبه في بطن الكعبة . وقيل أيضاً أنه أتى به من أرض الجزيرة . كما قيل أنه كان له تابع من الجن — وما الجن إلا هو — فقال له : إذْهَبْ إِلَى مُجَدَّة وَأَتِ مِنْهَا بِالْآلِهَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْبُدُ فِي زَمَنِ نُوْحٍ وَإِدْرِيسَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَهِيَ : وَدُوسُوعٌ وَيَغُوثٌ وَيَعُوقُ وَنَسْرٌ ، وَقَدْ ذَهَبَ وَأَتَى بِهَا إِلَى مَكَّةَ وَدَعَا إِلَى عِبَادَتِهَا ، فَانْتَشَرَتْ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ فِي الْعَرَبِ ، فَكَانَ وَدٌّ لَكَلْبٍ . وَسُوعٌ لَهْمَدَانَ — وَقِيلَ لَهُذِيلٌ — . وَيَغُوثٌ لِمَذْحِجِ أَبِي قَبِيلَةَ مِنَ الْيَمَنِ ، وَيَعُوقٌ لِمُرَادٍ — وَقِيلَ لَهُمَدَانٌ — ، وَنَسْرٌ لِحَسِيرٍ ، وَيُقَالُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ لَحْيٍ هُوَ الَّذِي نَصَبَ مَنَاءَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِمَّا يَلِي قَدِيدَ ، وَكَانَ الْأَزْدُ يَحْجُونَ إِلَيْهِ وَيَعْظُمُونَهِ وَكَذَلِكَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ وَغَسَّانُ .

(٣) أى كأن قد تشبث نظره بها ، أو كأن قد نال منها كل ما يريد .

١٤٠ فَإِنْ وَهَلَ^(١) الْإِنْسَانُ فَالَلَّتْ نَعْبَهُ^(٢)

مِنَ الْأَمْنِ فَاخْلَعْ ثَوْبَكَ الشَّعْرَ وَاهْجُدْ

وَوَدُّ الْمُعَلَّى رَبُّ كَلْبٍ وَجَرْمُهَا^(٣)

وَذَا هُبْلُ الْمَكْحُولِ مِنْ غَيْرِ إِثْمٍ^(٤)

عَقِيقٌ لَهُ وَجْهٌ سَنِيٌّ وَأَذْرَعُ

وَقَدْ أَنْطَقَتْهُ صَنْعَةُ الْمُتَعَتِّدِ^(٥)

وَنَمْرًا قَدَدْنَا مِنْ لُجَيْنٍ لِحِمِيرٍ

قَوَادِمُهُ شِيزَى^(٦) .. وَإِنْ شِدَّتْ فَازْدَدِ

فَهَذَا يَغُوثُ الْغَوْثِ تَدْعُوهُ مَذْحِجٌ^(٧)

يَجْهَشُ^(٨) فَيَمْضِي فِي حَدِيدٍ مُعَقَّدٍ

(١) وهل : فزع ،

(٢) النعبة : الجرعة .

(٣) الجرم بالكسر : الجسد واللون .

(٤) الاثم : الكحل .

(٥) المتعبد : المتأنيق من تعبد أى تأنيق .

(٦) الشيزى : خشب أسود يستعمل للأثاث وغيره .

(٧) مذحج : قبيلة كانت تسكن أعمال اليمن .

(٨) الجهش : أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو يريد البكاء .

١٤٥ وَسَرُّوْ^(١) سُوَاعِ يُسَمِّنُ الْمَالَ^(٢) سُوْلَهُ

وَمِنْ غَيْثِهِ نُفَذَى بِرٍّ مَسْمَدٍ!

فَقَالَ لَهُمْ عَمَّرُوْ: ذَرُونِيْ أَكُنْ لَكُمْ

رَسُوْلًا لَدَى قَوْمِيْ وَأَخْدَانِ مَوْلَدِيْ

فَإِنِّيْ أَرَاهُمْ فِي ضَلَالٍ وَجَنَّةٍ

يُنَادُونَ يَبْتَغَا مِنْ قَدِيدٍ^(٣) مُصْعَدٍ

أَبْنٌ بِهِ الْعَصْرَانِ^(٤) لَا يَبْرَحَانِهِ

وَبَادَ يُودَا مِنْ طَوَافٍ وَعُوْدٍ

فَمَا ضُرُّهُ إِنْ جِئْتُهُ بِابْنٍ إِثْمَدٍ^(٥)

وَمِنْ بَعْدِهِ الْأَصْنَامُ مِنْ كُلِّ جَلْعَدٍ^(٦)

١٥٠ يُوثِقُهَا الْأَسْرَبُ^(٧) حَتَّى كَانَهَا

تَهَاوِيلُ قَامَتْ حَوْلَهُ فِي تَجَسُّدٍ

(١) السَّرُّوْ: السخاء في مروة.

(٢) المال عند أهل البادية: النعَم أو الماشية.

(٣) أراد بالتقديد هنا صفة الحجر المشقوق طولاً.

(٤) أبن به: استقر به. والعصران: الغداة والعشى.

(٥) هو هُبَل الذي نعته الشاعر بأنه مكحول من غير إثمَد.

(٦) الجلعَد: الصلب الشديد.

(٧) الأسرَبُ: لغة في الرصاص.

وَيَعْبُدُهَا الْأَعْرَابُ فِي عَقْرِ^(١) دَارِنَا
وَفِي ذَلِكُمْ سُودٌ^(٢) لِقَوْمِي وَمَعْبَدِي !

أَيَا رَبِّ ! هَلْ تَرْضَى لَيْتِكَ آيَةً
مِنَ الْكُفْرِ تَمْحُو آيَةً مِنْ مُوَحِّدٍ ؟
أَيُضْبِحُ يَنْتُ اللَّهُ فِي لَوْذٍ^(٣) أَحْجَرٍ
تُقَامُ لَدَى أَظْلَالِهِ كَالْمُعْجَدِ^(٤) !
لَقَدْ ظَفَرْتَ تِلْكَ التَّصَاوِيرَ وَالْذُمَى
بِلَبِّ^(٥) فِتْنَيْنِ الْعُرْبِ مِنْ غَيْرِ مُرْشِدٍ
١٥٥ فَقَدْ ذُوالِهَا الْأُتُوبَ وَاسْتَنْبَطُوا الْحِلَى^(٦)
وَقَامُوا لَهَا بِالْحَمْدِ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ

(١) عقر الدار بفتح العين وضمها في لغة أهل الحجاز : أصلها أو أساسها أو عتبتها

(٢) السود كما لسودد : السيادة والعلاء والرفعة .

(٣) في لوزه : في صحبته وكنفه . والأحجر : الأحجار .

(٤) الأظلال : جمع الظل كالظلال . والمعجد : الغضوب الحديد أي الحاد في غضبه .

(٥) الفئون : جمع الفئة وهي الطائفة والجمع من الناس .

(٦) الحلية بكسر الحاء : الصفة . وتجمع على حُلَى بكسر الحاء وضمها وهي الصفات .

فَمِنْ طَائِفٍ يَمْشِي سَهْلًا ^(١) مُرَدِّدًا
تَرَانِيمَ شَيْطَانٍ وَبَلْبَالَ صَرَخَدٍ ^(٢)
وَمِنْ آيِبٍ مِنْ بَعْدِ إِيْلَافِ رَحْلَةٍ ^(٣)
يَرُشُّ دَمًا مِنْ ضَيُّونٍ ^(٤) فَوْقَ مِقْلَدٍ
وَيَشْدُبُ ^(٥) رَأْسَانَا لَهَا الْوَعْتُ وَالشُّرَى ^(٦)
لَدَى هُبْلٍ شُكْرًا لِمَا مَدَّ مِنْ يَدٍ
وَرَبِّهِمْ يَشْتَوِ لَدَى اللَّاتِ إِنْ شَتَا ^(٧)
وَالصَّيْفِ عَزَى عِنْدَهَا عُشْبُ جَلِيدٍ ^(٨)

- (١) يمشي سهلاً : يجرى ويذهب في غير شيء .
- (٢) البلبال : وسواس الصدر والهم . والصرخد : اسم للخمر .
- (٣) من قوله تعالى : (لا يلف قريش إيلفهم رحلة الشتاء والصيف) .
- (٤) الضيونة : القبط . والمقلد : مفتاح كما المنجل والجمع مقابليد ، فكان القط المذبوح مغروز في المقلد وهذا من خيال الشاعر وتصويره جهلهم وإيمانهم بالخرافات وفسوق الكهان
- (٥) كل شيء هتأ بئتة بفتح ما زاد عن المطلوب منه فقد شدَّ بئتة من باب ضرب وشدَّ بته بالتشديد . فقوله يشدب رأساً أى يحلقها .
- (٦) الوعث : الطريق الوعر . والشُّرى جمع سُرية بالضم والفتح وهى سيرة الليل .
- (٧) شتا : أقام فصل الشتاء .
- (٨) الجليلد : أتان الضحل أى مقام المستقى على فم البئر من الصخر يركبه الطُّحْلُبُ فيصير أملس . هكذا زعم لهم عمرو بن لحي . ولذا كانوا يعظمون هذين الصنمين ويهدون إلى العُزَّى كما يهدون إلى الكعبة .

١٦٠ كَمَا بَجَرَمُوا^(١) عَيْسًا وَقَالُوا بِحَيْرَةٍ^(٢) !

مَقَالَةٌ خَرَاصٍ جَهُولٍ ضَفْنَدَدٍ^(٣)

وَسَائِبَةٌ^(٤) فِي لَا حَبِّ الطَّرْقِ أَطْلَقُوا^(٥)

نَجَتْ أَبَدًا مِنْ دَرَّةٍ الْمُتَعَيِّدِ^(٦)

(١) البحر: شقُّ الأذن. ومنه البحيرة. كانوا إذا نُتِجَت الناقة أو الشاة

عشرة أبطن بِسَحَرِهَا وتركوها حرّةً ترعى وحرّموا لحمها إذا ماتت -

على نساءهم وأكلها الرجال. أو التي خُلِيت بلا راع. أو التي إذا

نُتِجَت خمسة أبطن والخامس ذكر نخروه فأكله الرجال والنساء.

وإن كانت أنثى بحروا أذنّها فكان حراماً عليهم لحمها ولبنها وركوبها،

فإذا ماتت حلت للنساء. أو هي ابنة السائبة وحكمها حكم أمها. أو

هي في الشاء خاصة إذا نُتِجَت خمسة أبطن نخرت. وهي الغزيرة أيضاً

(٢) قيل أن أول من بسَحَرَ البحيرة رجل من بني مُدَلِجٍ - وهم قبيلة من

كنانة - كانت له ناقتان، فجذع أذنّيهما وحرّم ألبانهما. قال عنه

رسول الله صلى الله عليه وسلم: « رأيت في النار يخبطان به بأخفافهما

ويعضّانه بأفواههما ».

(٣) الضفندد: الضخم الأحمق.

(٤) السائبة: البعير يُدرِك نتاج نتاجه فيُسَيِّب أي يُترك لا يركب. والناقة

كانت تسيَّب في الجاهلية لنذر أو نحوه، أو كانت إذا ولدت عشرة

أبطن كلهن إناث سُيِّيت، أو كان الرجل إذا قدم من سفر بعيد أو

نجت دابته من مشقة أو حرب قال هي سائبة. أو كان ينزع من ظهرها

فقارة أو عظماً. وكانت لا تُسَمَّع عن كئلا ولا ماء ولا تُركب.

(٥) اللاحب: الطريق الممهّد.

(٦) الدرة: التي يضرب بها كالسوط ونحوه. والمتعبد: الظلوم والغضبان

والمتجنّي والمهدّد.

فَإِنْ قَطَعْتَ وَجَنَاءَ^(١) أَشْطَانَ مِرْبَدٍ
أُعِيدَتْ كَمَا كَانَتْ بِأَشْطَانِ مِرْبَدٍ^(٢)
وَإِنْ طَارَتْ الْغِدْفَانُ^(٣) عَنْ أَشْمَلٍ لَهُمْ
وَقَدْ نَهَضُوا فَالْحَظْرُ فِي كُلِّ مَرْصِدٍ^(٤)
وَتَوْهَبُ لِلْأَصْنَامِ مِنْهُمْ أَجْنَّةٌ
يَرُومُونَ مِنْهَا بَدَّةً^(٥) الْمُتَعَهِّدُ
١٦٥ وَفِيهِمْ قِدَاحٌ^(٦) عِنْدَهَا الْأَمْرُ كُلُّهُ
تَقُولُ: نَعَمْ! إِنْ صَادَفَتْ بَعْضَ مَقْصِدٍ

-
- (١) الوجناء : الناقة الشديدة . وقيل العظيمة الوجنتين . والأشطان : الحبال . والمرَبَد : من مرابط الأبل ،
(٢) أى أن الناقة إذا قطعت حبالها وضلّت في الصحراء ، تعود برحمة الأصنام وبركتها إلى موضعها .
(٣) الغدقان : جمع غداف وهو الغراب . وقيل هو غراب القيظ أو الغراب الكبير . والأشمل جمع الشال . وهذا الاعتقاد هو المسمى بالطيّرة .
(٤) المرصد : طريق الارتقاب والانتظار .
(٥) كانوا يهجون الطفل أو يجعلونه خادماً للصنم . والبدة : النصيب
(٦) كان عند هُبل مثلاً سبع قداح : قدح مكتوب فيه « العتقل » (لعنله الدية) إذا اختلفوا فيمن يحمله منهم ضربوا به ، فعلى من خرج حمله . وقدح مكتوب فيه « نعم » . وقدح مكتوب فيه « لا » وذلك الأمر الذى يريدونه . وقدح مكتوب فيه « منكم » . وقدح مكتوب فيه « مُلصق بكم من غيركم » ، وذلك إذا اختلفوا فى ولد هل هو منهم أم لا . الخ . الخ . . .

وَكَاثِنٌ مِنَ الْكَهَّانِ حَمُوا^(١) عُقُولَهُمْ
بِرُوعٍ مِنَ الْأَصْنَامِ بَاغٍ مُعَرِّدٍ
وَمَا نَهْيَةً^(٢) قَامَتْ لَدَيْهِمْ تَذَوُّدُهُمْ
عَنِ الْهَجْرِ^(٣) فِيمَا زَيْنُوا كَالْتَعَبُودِ
فَقَدْ قَصَلُوا^(٤) بِالْكَفْرِ وَالْجَهْلِ دِينَهُمْ
وَمَا وَسِعُوا إِيْمَانَهُمْ مِنْ تَقَعُّدٍ^(٥)
وَسَكَّةٍ تُؤْوِي مِنْ حَجِيحٍ وَسَامِرٍ
فَمَا تَقَضَّتْ بِالزَّادِ عَهْدًا لِمُلْحِدٍ
١٧٠ سَقَى اللَّهُ أَرْضًا أَشْبَعَتْ كُلَّ كَافِرٍ
وَأَوَّلَتْ جَنَانًا لِلنَّدِيِّ غَيْرِ مُرْجَدٍ^(٦)

(١) حَمَّ الماء وغيره : سَخَّنَه .

(٢) النَّهْيَةُ : الْعَقْل لِأَنَّهَا تَنْهَى عَنْ كُلِّ فِعْلٍ قَبِيحٍ .

(٣) الْهَجْرُ : الْفَحْشُ مِنَ الْقَوْلِ .

(٤) قَصَلُوا : قَطَعُوا وَدَاسُوا .

(٥) التَّقَعُّدُ : عَدَمُ طَلْبِ الشَّيْءِ وَالتَّوَانِي فِيهِ .

(٦) أُرْجِدَ فَهُوَ مُرْجَدٌ : أُرْعِدَ . يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ مَكَّةَ ظَلَّتْ تَقْرَى
سَاكِنِيهَا وَلَمْ تَرْتَعِدْ فَرَقًا مِنْ اللَّهِ أَنْ يَسْأَلَهَا لَمْ أَشْبَعْتَ الْكَافِرِينَ !

دُعَاةِ إِبْرَاهِيمَ ^(١) بَيْتَاهُ رَبُّهُ
مُقِيمٌ لَدَى هَذَا الْبَقِيعِ ^(٢) الْمُوَيْدِ

عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَإِعَادَةُ حَفَرِ زَمَرِهِ

وَزَمَرُمُ ... مَاءِ اللَّهِ .. وَالْحَفَرُ حَفَرُهُ
عَلَى يَدِ جِبْرِيلِ مِنَ الرُّسُلِ أَيْدٍ ^(٣)
وَكُوْتَرُ بَيْتِ اللَّهِ ... جَفَّتْ شُئُونُهَا
كَضَرْعِ حَبِيدٍ ^(٤) دَرُّهُ ^(٥) مِنْ تَجَدُّدِ ^(٥)
بَكَتْ حَزَنًا فِي ذَاتِ يَوْمٍ وَلَمْ تَزَلْ
تُبْتُ شَكَاةً لِلْعَهِيدِ ^(٦) الْمَخْلَدِ

(١) بَيْتَاهُ : اعتمده بالتحية . قاله الأصمعي . وقال الأحرار إن معناه بَوَّاهُ منزلاً . وله معان أخرى لا تخرج عما أوردنا .

(٢) الْبَقِيعُ : كل مكان متسع .

(٣) الْأَيْدُ : القوي .

(٤) الدَّرُّ : اللبن .

(٥) تَجَدُّدُ الضَّرْعِ : ذهب لبنه .

(٦) الْعَهِيدُ : المعاهد والقديم ، أراد البيت العتيق .

١٧٥ أَلَمْ يَكْ إِسْمَاعِيلُ أَوَّلَ شَارِبٍ ؟

(١) فَمَا بَالُ قَوْمٍ مِنْ قَبِيلٍ مُرْهَدٍ

يَلِجُونَ فِي كُفْرٍ كَمَا لَجَّ قَبْلَهُمْ

(٢) أَنْاسٌ كَثِيرٌ بَيْنَ بَادٍ وَمُصْعَدٍ

وَهَلْ زَمَزَمَ تَسْقِي مِنَ النَّاسِ فَاجِرًا

(٣) وَمُتَمِّمًا فِي دِينِهِ وَإِنْ مِسْرَدٍ ؟

لَقَدْ غَاضَ مِنْهَا الْمَاءَ حَتَّى كَانَتْهَا

خَرَابَةٌ شَيْطَانٍ وَجُحْرَانٍ (٤) أَرَبَدٍ

وَجُرْهُمُ طَمَتْهَا وَكَانُوا جَبَابِرًا

(٥) وَكَانُوا جِسَامًا فِي مَطْيٍ سَمَّهَدٍ

(١) رَهْدٌ فَهُوَ مُرْهَدٌ : أَتَى بِالْحَافَةِ الْعَظِيمَةِ . يَقْصِدُ جُرْهُمَا لَمَّا طَفَتْ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَكَعْبَتِهِ .

(٢) الْبَادَى : الْخَارِجُ إِلَى الْبَادِيَةِ . وَالْمُصْعَدُ : الْقَادِمُ إِلَى مَكَّةَ :

(٣) ابْنُ مِسْرَدٍ : ابْنُ أُمَةٍ أَوْ كَيْسَنَةٍ وَهُوَ شَتَمَ

(٤) الْجُحْرَانُ كَالْجَحْرِ وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ تَحْتَفِرُهُ الْهُوَامُ لِأَنْفُسِهَا ، وَالْأَرَبَدُ : الْحَيَّةُ الْخَبِيْثَةُ

(٥) السَّمَّهَدُ : الْجَسِيمُ مِنَ الْإِبِلِ

١٨٠ بَغَوْا^(١) أَشْرًا فِي الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ قَارِحٍ
 وَمِنْ كُلِّ كَفَّارٍ وَمِنْ كُلِّ حَقْلِدٍ^(٢)
 فَقَالَ مِضَاضٌ^(٣) : أَيُّهَا النَّاسُ أَخْبِتُوا
 لِرَبِّ غَفُورٍ عَامِرِ الْبَيْتِ مُشْكِدٍ^(٤)
 أَلَا أَيُّهَا الْكَفَّارُ حُورُوا^(٥) لِبَارِئِ
 خَافَةِ أُخْرَى مِنْ حَمِيمٍ مُصَخَّدٍ^(٦)
 أَلَا أَيُّهَا الْفُجَّارُ كُفُّوا فُجُورَكُمْ
 فَإِنِّي أَرَاهَا لَعْنَةً فِي التَّشَوُّدِ^(٧)

-
- (١) ذلك أنهم ظلموا من يدخل مكة من غير أهلها . وأكلوا مال الكعبة
 الذى يهدى إليها .
 (٢) الحقلد : السوء الخلق الثقيل الروح .
 (٣) هو مِضَاض بن عمرو — وقيل مِضَاض — شيخ جُرهم وكبيرهم
 إذ ذاك . وقيل فى رواية أخرى أن الذى فعل ذلك هو عمرو بن
 الحرث الجرهمي .
 (٤) أشكد فهو مشكد : أعطى .
 (٥) حوروا : ارجعوا
 (٦) خَافَةِ أُخْرَى أى حياة أخرى فى الآخرة . وَصَخَّدَهُ : أحرقه . وَصَخَّدَ .
 فهو مصخَّد مبالغة وتكثير .
 (٧) التشوُّد كالتشويد : طلوع الشمس وارتفاعها .

فَلَمَّا عَتَوْا وَاسْتَكْبَرُوا سَارَ فِي دُجَى
 مِنَ اللَّيْلِ فِي خَطْوٍ كَثَرِ حَافٍ أَبْرَدٍ ^(١)
 ١٨٥ يَدِبُ إِلَى حَيْثُ الْخَزَانَةِ ^(٢) ثَرَّةً ^(٣)
 لِكُلِّ سَنَى عَسَجَدِي صَلَوْدٍ ^(٤)
 وَفِيهَا ظَبَاءٌ مِنْ نَضَارٍ وَأُذْرُعٍ ^(٥)
 ثَقَالٌ لَصَوْنِ الْبَيْتِ مِنْ شَرِّ مُؤِيدٍ ^(٦)
 مُثَفَّدَةٌ بِالْخَزِّ وَالْخَمَلِ زِينَةٌ
 وَمِنْ يَنْبِهَا لِلْحَرْبِ غَيْرُ الْمُثَفَّدِ ^(٧)
 وَأَسْيَافٌ عَقِيَانٍ هِيَ الضَّحُّ ^(٨) ضَحْوَةٌ
 مُرَصَّةٌ أَغْمَادُهَا بِالزُّمُرْدِ...

(١) الأبرد : السَّيْمَرُ .

(٢) يريد خزانة الكعبة أى بئرها التى كانت تلقى فيها النذور .

(٣) ثَرَّةٌ هنا بمعنى واسعة ومكثارة .

(٤) الصَّلَوْد : الصُّلْب الأملس .

(٥) ورد فى المأثور أن خزانة الكعبة كانت تحوى غزالتين من ذهب

وأموالاً وسيوفاً ودروعاً كانت تهذى إلى البيت الحرام . وفى مرآة

الزمان أن هاتين الغزالتين والسيوف أهداها للكعبة ساسان أول ملوك

دولة الفرس الثانية .

(٦) المؤيد : الأمر العظيم والداهية .

(٧) مُثَفَّدٌ درعه : بَطَّنُهَا . والدرع مؤنثة وقال أبو عبيدة يُذَكِّرُ وَيؤنث .

(٨) الضَّحُّ : الشمس وضوؤها .

تَأَمَّلَهَا وَاللَّيْلُ مَرُخٌ حِتَارُهُ ^(١)
 وَقَدْ خَفَدَتْ ^(٢) سَاعَاتُهُ فِي تَرَبُّدٍ ^(٣)
 ١٩٠ أَلَيْسَ مِضَاضٌ يَعْلَمُ الْيَبْتَ أَنَّهُ
 مُحَاطٌ بِجُنْدٍ جَائِمٍ حَوْلَ مُحَفَدٍ ^(٤) !
 فَلَمَّا سَجَا ^(٥) أَنْفَسَا وَحَيْثُ أَنْجَمُ
 لَهْنٍ إِرَاتٍ ^(٦) بَيْنَ هَاوٍ وَمُسْنَدٍ ^(٧)
 مَشَى جَذَلًا بِالْكَنْزِ حَتَّى أَتَى بِهِ
 رَكِيَّةً ^(٨) إِسْمَاعِيلَ فِي غَيْرِ صُغْدٍ
 فَأَعْمَقَ فِيهَا الْخَفَرِ حَتَّى بَدَتْ لَهُ
 أَصُولُ صَوَاحٍ ^(٩) مِنْ مَشِيدٍ مُصَوِّمٍ ^(١٠)

-
- (١) الحِتَارُ من كل شيء : حرفه وما استدار به .
 (٢) خَفَدَتْ : أَسْرَعَتْ فِي مَشْيِهَا .
 (٣) التَرَبُّدُ : التَّعَبُوسُ وَالتَّغْيِيرُ وَالتَّغْيَمُ .
 (٤) الْمُحَفَدُ : طَرَفُ الثَّوْبِ . وَأَرَادَ بِالْجُنْدِ الْمَلَائِكَةَ الْخَرَّاسَ .
 (٥) سَجَا هُنَا بِمَعْنَى سَكَنَ .
 (٦) الْإِرَاتُ جَمْعُ الْإِرَةِ وَهِيَ النَّارُ .
 (٧) أَسْنَدٌ فَهُوَ مُسْنَدٌ . صَعَدَ .
 (٨) الرُّكِيَّةُ : الْبَرْ ، أَرَادَ بِرُزْمِزْمٍ . وَالصُّعْدُ : الْمَشَقَّةُ .
 (٩) الصَّوَّاحُ : الْجَلِصَّ .
 (١٠) الْمُصَوِّمُ : الْغَلِيظُ .

تَهَلَّلْ وَجْهَهُ مِنْ مُضَاضٍ مُشْهَدٍ
وَصَفَّقْ قَلْبَهُ بَيْنَ أَضْلَاحٍ صَلَاحٍ ^(١)
١٩٥ وَأَوْدَعَ كَنْزَ الْيَتِّ اعْطَافَ زَمَزَمِ
كَمَا رَقَدَتْ فِي الرَّيِّمِ اعْطَافُ مُشْهَدٍ ^(٢)
وَأَوْدَعَهَا مِنْ أَقْدُسِ اللَّهِ أَسْوَدًا ^(٣)
غَفَا أَسِفًا فِي فُسْحَةٍ مِنْ تَعَقُّدٍ ^(٤)
وَطَمَّ تَوَاهَا ^(٥) لَا سَمِيعُ لَطْمِهِ
وَلَا مُفْصِحُ غَبِّ الصَّبَّاحِ بِمَذُودٍ ^(٦)
كَأَنِّي بِهِ فِي الشَّعْبِ وَالْفَجْرِ بِالِجْ
دُلُوكُ ^(٧) مَنَارٍ أَوْ مُعَانَاةُ أَصِيدٍ ^(٨)

(١) الصلّاح: الشّهم الحازم،

(٢) الرّيم: القبر. وإشهاد مبنياً للجهول فهو مشهد: قُتِلَ في سبيل الله كما تشهد.

(٣) أي الحجر الأسود، فضاض دُفِنَهُ فيما دُفِنَ من النفائس.

(٤) الفسحة: السعة والتعقّد في البئر أن يخرج أسفل السّطيّ ويدخل أعلاه إلى اتساع البئر.

(٥) تواهها: هلاكها.

(٦) المذود في هذا الموضع: اللسان.

(٧) الدلوك: الزوال بعد الاستواء، والغروب.

(٨) الأصيد: الملك والأسد.

مَضَى قُدُمًا فِي أَوْصَرٍ ^(١) غَيْرِ آيِبٍ
 إِلَى كَسَفِ ذِي حَرَّةٍ عِنْدَ ضَرْغَدٍ ^(٢)
 ٢٠٠ فَمَا عَرَفَتْهُ جُرْهُمُ فِي عَرِينِهِ —
 وَمَا كَانَ فِي نَأْيٍ مِضَاضٍ بِأَبْعَدٍ ^(٣) !
 وَأَطْلَقَ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْ قَوْسٍ بَطْشَهُ
 طَوَائِفَ مِنْ أَزْدٍ ^(٤) كَسَبَهُمْ مُسَدَّدٍ
 فَلَمْ يَذَرُوا مِنْ جُرْهُمٍ قَطُّ أَهْلًا
 وَهَلْ يَذَرُ الْقَهَّارُ نَسَكًا ^(٥) لِأَوْغَدٍ !
 خُزَاعَةَ ذَادَتِهِمْ إِلَى شَرِّ مَوْطِنٍ
 وَأَهْلَكَهُمْ مِنْ بَغْيِهِمْ نَارُ صَيْهَدٍ ^(٦)

(١) مضى قدما : استمر في سيره إلى الأمام دون التفات . والأوَصَرُ : المرتفع من الأرض .

(٢) ضَرْغَدٌ : جبل أو حرة لغطفان

(٣) الأبعد : الخائن والخائف .

(٤) ذلك أن قبيلة خزاعة التي خلفت جرهما على البيت وأهلكتهم — كانوا حبيبا من الأزد سموا بذلك لأنهم تخزَّعوا عن قومهم أى تخلفوا واقتطعوا أنفسهم وأقاموا بمكة .

(٥) النَّسِكُ : العبادة وكل حق لله تعالى .

(٦) الصَيْهَدُ هنا : شدة الحر أو فلاة لا ميثال مأوها . وذلك لدى خروج من بقي منهم إلى جهة اليمن .

وَدُودٌ^(١) رَعَى مِنْهُمْ أَنْوَفًا وَأَعْيُنًا
فَأَرْزُسُهُمْ مِنْهُ كَعَظْمٍ مُجَلَّدٍ^(٢)

٢٠٥ عَلَا رَهْجُ التَّيْرَابِ^(٣) مِنْ فَوْقِ زَمَزَمٍ
وَمَرَّتْ قُرُونٌ مِنْ زَمَانٍ مَبِيدٍ
عَلَى كَثْمٍ^(٤) مِنْهَا يُطُوفُونَ جُهْلًا
طَوَافَ مَطْيٍ ظَاهِرِ الرَّيْحِ^(٥) مُسْتَدٍ^(٦)
وَفِيهِمْ عُرَاةٌ^(٧) ضَلَّ عَنْهُمْ حُلُومُهُمْ
وَمَا يَقْبَلُ الْخَلَاقُ مِنْ غَيْرِ مُخْرَدٍ^(٨)

(١) كأنما يصير الشاعر على إيراد الروايتين عن هلاك جرهم . فقد ذكر قبلا أنهم هلكوا بالذَّر ، وها هو ذا يقول إن الله سبحانه وتعالى سلَّط عليهم دواباً تشبه النَّمَف بالعين المعجمة وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، فهلك منهم ثمانون كهلاً في ليلة واحدة سوى الشباب . وقيل سلَّط الله عليهم الرُّعَاف فأفنى غالبيتهم وذهب من بقي منهم إلى اليمن مع آخر ملوكهم عمرو بن الحرث الجرهمي .

(٢) العظم المجلد : الذي لم يبق عليه غير الجلد :

(٣) الرهج : الغبار أو حركته . والتيراب : لغة في التراب .

(٤) على كَثْم : لغة في « من كَثَب » أى من قرب .

(٥) الرنح : الدُّوَار . (٦) مُسْتَد : مُسْغَد في السير

(٧) أجل ... ورد في بعض المراجع أن فريقاً من الأعراب كانوا — في الجاهلية — يطوفون بالبيت وهم عُرَاة .

(٨) أخرد فهو مُخْرَد : استحميا .

يُرِيدُ مَعِينُ الْمَاءَ أَنْ يَسْقِيَ الْحَيَّ
فَيَذْهَبُ فِي سَخْدٍ ^(١) مِنَ الطَّمِّ مُصْلِدٍ ^(٢)
يُرِيدُ مَعِينُ الْمَاءَ إِحْيَاءَ رَسْمِهِ
وَتَفْجِيرَ سَلْسَالٍ وَضِيءٍ التَّزْبِيدِ
٢١٠ أَيْعَلِمُ مَا اللهُ أَنَّ رَسْمَهُ وَلَهُ
سَيُنبِغُ فِي أَوْجٍ ^(٣) وَدَيْنٍ وَسُودٍ ؟
وَهَلْ عَالِمُ الْأَقْوَامِ أَنَّ مُحَمَّدًا
دَنَا وَبَجَلَى فِي فُحُولٍ وَهَمْدٍ ؟
قَصِيَّ سَدِينٍ ^(٤) الْبَيْتِ لَا جُودَ بَعْدَهُ
وَلَيْثٍ قُرَيْشٍ مِنْ عَشِيرٍ مُحَسَّدٍ ^(٥)

(١) السَّخْدُ : الْحَارَّةُ .

(٢) مَصْلِدٌ هُنَا بِمَعْنَى صَلْبٍ . وَأَصْلَدَتِ الْأَرْضُ : صَلُبَتْ . فَقَدْ ظَلَّتْ زَمَزَمُ
مَطْمُومَةً لَا يَعْرِفُ مَحَلَّتَهَا مَدَّةُ خُزَاعَةٍ ، وَمَدَّةُ قُصَيٍّ مِنْ أَجْدَادِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْ بَعْدِهِ إِلَى زَمَنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . وَكَانَ قَصِيٌّ
اِحْتَفَرُ بَنِي الْأَدْنَى الَّتِي سَكَنَتْهَا فَمَا بَعْدَ أُمِّ هَانِيَّةٍ أُخْتِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا ، وَهِيَ أَوَّلُ سَاقِيَةٍ تَحْتَفِرُ بِمَكَّةَ .

(٣) الْأَوْجُ : ضِدُّ الْهَبُوطِ . أَيْ فِي سَمَوْقٍ وَعِلَا .

(٤) سَدِينٌ هُنَا فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ . أَيْ سَادَنَ السَّكْبَةَ وَخَادَمَهَا وَالْمَتَوَلَّى أُمُورَهَا .

(٥) حَسَّادُهُ هُوَ مُحَسَّدٌ : لُغَةٌ فِي حَسَّادِهِ .

أَزَالَ^(١) عَنْ الْبَيْتِ الْحَرَامِ خُزَاعَةً

وَشَمِدَ دَاراً^(٢) أُمَّهَا كُلُّ أَسْوَدٍ^(٣)

وَفِي طُرُقَاتِ الْحَجِّ أَلْقَى جَزَائِراً^(٤)

وَأَطْعَمَ لَحْماً ثُمَّ لَمْ يَتَخَذَدْ^(٥)

(١) ذلك أن قصياً تزوج بنت حليل — بالحاء المهملة المضمومة — الخزاعي آخر من ولي الحكم بمكة من خزاعة . فلما مات تزعم قصى مكة وطرد خزاعة من البيت الحرام لأنهم كانوا قد بغوا فيه كما فعلت جرهم من قبل ، ولأن قريشاً أقرب إلى إسماعيل عليه السلام من خزاعة . واستعان في ذلك بقريش وبنو كنانة وقضاعة وقيل غير ذلك في رواية أخرى مما لا يخرج عن هذا المعنى .

(٢) هي المعروفة في السَّيَر بدار الندوة . وكانت قريش تجتمع فيها للتشاور فكانت بمثابة البرلمان الحديث أو دار الحكم .

(٣) الأسود من الرجال : أجاسهم .

(٤) الجزور : البعير أو خاص بالناقة المجزورة . والجزائر جمعها .

(٥) لم يتخذ : لم يتغضن أو يسترخي كناية عن حداثة عهده بالذبح .

فأن قصياً — لما حضر الحج . قال لقريش : « قد حضر الحج ، وقد سمعت العرب بما صنعتم — أي بما أخذتم الملك من خزاعة ، وهم لكم معظمون . ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام . فليخرج كل إنسان منكم من ماله خرجاً » . ففعلوا ، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً . فلما جاء أوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزوراً ، ونحر بمكة ، وجعل التَّشْرِيد واللحم ، وسقى الماء المُسَكَّلى بالزبيب ، وسقى اللبن .

٢١٥ وَأَوْقَدَ نَارَ النَّفْرِ^(١) فِي رَأْسِ أَيُّهُمْ^(٢)

فَكَانَ لَهُمَا فِي النَّاسِ سِحْرُ الْمُعْتَدِ^(٣)

وَعَبْدٍ مَنَافٍ ثُمَّ عَمِرُوا^(٤) فَشَيْبَةً

لِعَامِرٍ^(٥) تَعْلَمُوا كُلَّ نَدْبٍ^(٦) وَأَرْشَدٍ

يَقُولُ لَهُ مِنْ مَكْنَسٍ^(٧) الْحِلْمُ هَاتِفٌ

لَدَى الْحِجْرِ فِي لَيْلٍ مُصِيفٍ مُطَرَّدٍ^(٨) :

لَطِيبَةً^(٩) قُمْ وَالْحَفَرِ إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا

لَتَنْتَعِمَ فِي خَفْضٍ مِنَ الْعِزِّ صَهْوَدٍ^(١٠) !

(١) النفير أو يوم النفير والسنفر هو يوم ينفر الحاج من عرفة . فان قصياً كان أول من أوقد النار بمن دلفه ليراها الناس من عرفة ليلة النفير .

(٢) الأيهم : الجبل العالى . (٣) المعتد : الساحر .

(٤) هو هاشم الجد الثانى للمصطفى صلى الله عليه وسلم واسمه عمرو العلاء لعلمو مرتبته .

(٥) عامر : اسم آخر لعبد المطلب كشيبة الحمد .

(٦) الندب : الشهم الكريم الخفيف إلى قضاء حاجات الناس .

(٧) المكنس : مكان نوم الظبي جعله هنا مكاناً لنوم الحلم .

(٨) اليوم المطرد والليل المطرد : الطويل . والمصيف الداخل فى الصيف .

(٩) طيبة : من أسماء زمزم عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال

عبد المطلب : « إني لناثم فى الحِجْرِ إذ أتاني آت فقال : احفر

طيبة . . فقلت : وما طيبة ؟ فذهب وتركنى . . . »

(١٠) الصهود : الجسم .

وَبَرَّةٌ^(١) تَدْعُو عَامِرًا أَنْ يَشِيْدَهَا

وَعَامِدَةٌ^(٢) طَافَتْ بِحُلْمِ الْعَجَرْدِ^(٣) ..

٢٢٥ وَمَضْنُونَةٌ^(٤) فِي الْجَوْفِ تَهْلُ كَوْثَرًا

فَهَلْ حَنَّ قَلْبٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِعُبْرِدٍ^(٥) ؟

« أَلَا أَيُّهَا السَّالِي ! تُنَاجِيكَ زَمَزَمٌ^(٦) »

لَدَى الْفَرْتِ^(٧) مِنْ صَوْبِ الذَّيْجِ الْمُسْرَهْدِ^(٨)

(١) بَرَّةٌ : من أسماء زمزم أيضاً . قال عبد المطلب : « فلما كان الغد رجعت

إلى مضجعي فَنمت فيه فجاءني فقال : احفر بَرَّةً . فقلت : وما بَرَّةٌ ؟

فذهب وتركني . . . » .

(٢) العَامِدَةُ : البئر المندفئة .

(٣) الْعَجَرْدُ : الجريء والمتجرد .

(٤) الْمَضْنُونَةُ : من أسماء زمزم كذلك . قال عبد المطلب : « فلما كان الغد

رجعت إلى مضجعي فَنمت فيه فجاءني فقال : احفر المضْنُونَةَ . . .

فقلت : وما المضْنُونَةُ ؟ فذهب وتركني . . . » .

(٥) الْعُبْرِدُ : الجارية البِيضَاءُ الناعمة ترتج من نعمتها .

(٦) قال عبد المطلب : « فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فَنمت فيه فجاءني

فقال : احفر زمزم . . . ! فقلت : وما زمزم ؟ قال : لا تنزف ولا تُذَمِّمَ

تسقى الحجاج الأعظم ، وهى بين الفرت والدم ، عند نقرة الغراب

الأعصم ، عند قرية النمل . . . » .

(٧) الْفَرْتُ : السَّرَجِين ما دام فى الكسْرِ ش ، والجمع فروث .

(٨) الْمُسْرَهْدُ : الحَسَنُ الْغِذَاءُ .

« لَدَى الْفَرْتِ يَأْتِيهِ مِنَ الطَّيْرِ أَعْصَمٌ ^(١) »
 غَدَافٌ ^(٢) ، وَحَوْلَ الدَّبْحِ أَشْبَاهُ صِفْرَدٍ ^(٣)
 « وَقَرِيَّةٌ نَمْلٌ شَاقَهَا الدَّفُّ فِي اللَّوَى ^(٤) »
 فَسَارَتْ خِفَافًا بَيْنَ جُحْرِ وَعُرْجُدٍ ^(٥) ..
 يُنَادِيهِ هَذَا الطَّيْفُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 وَيَأْوِي إِلَى كَهْفٍ مِنَ الصَّمْتِ مُحَمَّدٍ ^(٦)
 ٢٢٥ فَيَصْحُو مُصِيخًا شَيْبَةً أَحْمَدَ قَلْبُهُ
 وَأَعْطَاهُ مِنْ هَيْبَةٍ فِي تَخَدُّدٍ ^(٧)
 فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الَّذِي جَاءَ صَادِقٌ
 وَلَيْسَ طَوَافًا مِنْ شَيَاطِينٍ أَدْعُدُ ^(٨)

-
- (١) الأعصم لغةً : ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائرُه أسود أو أحمر .
 أما الغراب الأعصم فقليل أنه الأحمر المتقار والرجلين ، وقيل الأبيض
 البطن ، وقيل الأبيض الجناحين .
 (٢) الغداف هنا : غراب القيظ .
 (٣) الصفرَد : « أبو المليح » وهو طائر جبان .
 (٤) لَوَى الرمل : مُنْقَطَعُهُ وهو الجُدَّ بعد الرَّمْلَةِ .
 (٥) العرجد : عرجون النخل .
 (٦) أحمد فهو محمد : سكن وسكت . (٧) في تخدُّد أي في تشنج .
 (٨) أدعد : جمع دَعْد . أي لما رأى أن الذي يجيئه في الحلم له هيئة الصدق
 وليس شيطاناً من شياطين نساء الهوى .

دَعَا الْحَرْثَ ^(١) لَمْ يُرْزَقْ سِوَاهُ وَأَقْبَلَا
 عَلَى الْبَيْتِ فِي عَزْمٍ دَرْمُوبٍ وَأَعْتَدِ ^(٢)
 فَأَلْفَى جِيُوشَ النَّمْلِ صُفْرًا جِبَاهُهَا
 عَلَى قَابِ قَوْسٍ مِنْ جَزُورٍ مُجَلَّدٍ ^(٣)
 وَأَلْفَى غَدَافًا يَنْقُرُ الْفَرْثَ تَارَةً
 وَيَفْزَعُ أُخْرَى مِنْ نِمَالٍ وَخَدْخِدٍ ^(٤)
 ٢٣٠ أَلَيْسَ إِسَافٌ لِلذَّبَّاحِ هَيْكَلًا
 وَنَائِلَةٌ فِي بُهْرٍ ^(٥) حُسْبٍ مُعْجَرَدٍ ^(٦)
 تَبَسَّمَ تَفَرُّهُ كَانَ جَهْمًا لِهَاوِيٍّ
 وَأَشْرَقَتْ الْأَمْالُ مِنْ صَوْبٍ عَرَبِدٍ ^(٧)

(١) هو ولده الوحيد إذ ذاك .

(٢) أعتد : جمع العتاد وهو العدة كالقأس وغيرها من أدوات الحفر ،

(٣) المجلد : الذي سُلخ جلده بعد ذبحه .

(٤) النمال : جمع النمل . والخذخد : دويبة .

(٥) البهر : تتابع النفس من جهد ومشقة .

(٦) المعجرد : العريان ، وقد تقدم أن قريشاً كانت تذبح ذبائحها التي تتقرب

بها إلى الآلهة عند صتمها إساف ونائلة .

(٧) العربد هنا : الأرض الخشنة . أراد المسكان حول زمزم وكان متروكا

مهملًا منذ الطم .

وَرَأَيْتِ الْأَجْبَرُ — أَلْ مَا شَاءَ حُبُّهَا
 لَزِمَزِمَ وَأَنْهَلَتْ أَغَارِيدُ صِنْدِدِ^(١)
 وَكَبَّرَ يَبْتُ اللَّهِ تَكْبِيرَ شَاكِرِ
 وَأَمَّعَنَ فِي الْوَجْدَانِ هَيْمًا بِمَعْهَدِ^(٢)
 فَقَدْ شَاقَ يَبْتُ اللَّهِ أَيَّامُ زَمَزِمَ
 وَلَمْ يَكُ يَرَوِي مِنْ شَرَابٍ مُصْعَدِ^(٣)
 ٢٣٥ يُصَفُّ حِيَاضًا مِنْ أَدِيمِ^(٤) سَقَايَةِ^(٥)
 وَيُقَذَّفُ فِيهَا مِنْ تُمُورٍ وَعَنْجَبِ^(٦)

- (١) صندد . جبل بتهامة ،
 (٢) أى شوقاً لما كان يعهد من قيام زمزم إل جواره تسقى الحجاج وتروى الظاء
 (٣) الشراب المصعد : هو الذى عولج بالنار .
 (٤) الأديم : الجلد أو أحمره أو مدبوغه .
 (٥) السقاية : كانت حياضاً من أدُمٍ توضع بفناء الكعبة وينقل إليها الماء
 العذب من الآبار على ظهور الأبل فى المزاود والقرب قبل حفر زمزم
 وربما وضعوا فيها الزبيب والتمر فى غالب الأحوال لسقى الحاج أيام
 الموسم حتى يتفرقوا . وكانت السقاية من أشرف الوظائف هى والرِّفَادَةُ
 أى طعام المحتاجين من الحجاج — والحجابة — أعنى سداية الكعبة —
 والندوة — أى الدار التى تقطع فيها قریش أمورها — واللواء — وهو
 حمل لواء قریش للحرب ، والقيادة فى القتال وسائر الأمور — . وكان
 أشرف قریش ورجالات مكة يتوارثون هذه الألقاب المشرفة كابرأ
 عن كابر . فلما حفر عبد المطلب زمزم صار ينقل الماء منها إلى تلك
 الأحواض ويقذف فيها التمر والزبيب .
 (٦) التبور : جمع التمر . والعنجد : الزبيب .

إِلَى الْحَفْرِ هَيَّا إِنَّ فِي الْحَفْرِ مَغْنَمًا
 وَزَمَزَمُ أَجْدَى مِنْ تِلَادٍ وَصِمْرِدٍ^(١)
 وَمَا لِقُرَيْشٍ إِذْ رَأَتْ ثُمَّ مَعُولًا
 فَجَاشَتْ مَحْجَا^(٢) مِنْ جَهُولٍ وَضَهِيدٍ^(٣) !
 كَأَنَّ عَدُوًّا نَالَهُمْ إِثْرَ غِرَّةٍ
 مِنَ اللَّيْلِ ، فَانْظُرْ يَا أَبَا الْحَرْثِ وَاعْمَدِ^(٤) !
 يَقُولُونَ : كُفَّا عَنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ
 فَإِنَّ إِسَافًا مِنْ قَبِيلِ عَلَنَكِدِ^(٥)
 ٢٤٠ وَنَائِلَةٌ لِلنَّحْرِ عَزَّتْ قَدَاسَةً
 وَمَنْ يَدُنْ مِنْهَا سَاعَةَ النَّحْرِ يُعْضِدِ^(٦) !
 كَأَنَّ إِسَافًا لَمْ يَكُنْ قَطُّ دَاعِرًا
 وَنَائِلَةٌ لَمْ تَقْتَرِشْ فِسْقَ عُسْقِدِ^(٧) !

-
- (١) التلاد : ما ولد عندك من مالك أو تُتج . والصرمد : الناقة الغزيرة اللبن
 (٢) العجاج : الغبار ،
 (٣) الضهيد : الصلب الشديد .
 (٤) اعتمد : تعجب .
 (٥) العنكد : الشديد القوى ذو الصلابة .
 (٦) يعضد : يقطع .
 (٧) العسقد : الطويل الأحق والتأثر الجافي الخلق .

أَبْرَ^(١) عَلَيْهِمْ شَيْبَةً الْحَمْدِ وَانْتَضَى
لَمَنْ نَضُوا بِالصَّيْحِ^(٢) مَقْوَالِ مُسْوَدِ^(٣)
يَقُولُ لَهُ : « يَا حَرْتُ ذُدُّهُمْ لَعَلَّنِي
أَرَى الرَّسَّ^(٤) ، وَاجْعَلْهُمْ كَسَيْلِ مُعَمِّدِ^(٥)
« فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُلْمَ كَالْبُوسِ^(٦) بِهَجَّةٍ
وَهَا أَنَذَا مِنْ إِمْرِهِ^(٧) كَالْمُعَمِّدِ^(٨) ...
٢٤٥ « يَمِينًا بَمَنْ بَلَّ^(٩) الْأَنَاسِيَّ رَحْمَةً
لَأَمْتَمَنَنَّ فَأَسِيَّ وَقَلَسِي^(١٠) وَمِعْضَدِي^(١١)

(١) أَبْرَّ عَلَى النَّاسِ : عَلَاهُمْ .

(٢) الصَّيْحُ : الصِّيَاحُ .

(٣) المَقْوَالُ : المَقُولُ وهو الغَمْ أو اللِّسَانُ أو المَنْطِقُ . وَالْمُسْوَدُ : الَّذِي وَلَدَ غُلَامًا سَيِّدًا .

(٤) الرَّسُ : الْبُتْرُ الْكَبِيرَةُ وَقَبِيلُ الْمُطَوِيَّةِ بِالْحِجَارَةِ .

(٥) كَسَيْلِ مُعَمِّدٍ : أَيُّ مُسَدَّدٍ مَجْرَاهُ بَسَدٌ مُجْمَعٌ لِلْبَاءِ مِنْ خَلْفِهِ .

(٦) الْبُوسُ : التَّقْمِيلُ .

(٧) الْإِمْرُ : الْعَصَجَبُ .

(٨) الْمُعَمِّدُ : الَّذِي هَدَاهُ الْعَشَقُ .

(٩) بَلَّ هُنَا بِمَعْنَى وَصَلَ مِنَ الصَّلَاةِ .

(١٠) الْقَلَسُ : الْحَبْلُ الضَّخْمُ . عَنْ اللَّيْثِ .

(١١) الْمُعْضَدُ : سَيْفٌ أَوْ أَدَاةٌ تُسْتَخْدَمُ فِي الْقَطْعِ .

« فَأَيَّمَا نَرَاهَا زَمَزَمًا بُعِدَ إِلَيْهِ ^(١)
وَأَيَّمَا سَرَابًا حَاجَ ^(٢) فِي أَفْقِ أَبْلَدٍ !
فَلَمَّا رَأَوْهُ الْجِلْدَ ^(٣) خَلَوْا سَبِيلَهُ
وَفِي الْجَوْشِ ^(٤) مِنْهُ شَهَقَةُ الْمُتَعِيدِ ^(٥)
وَلَمْ تَكِدِ التَّرْبَانُ ^(٦) تَعْمُو لِفَاسِهِ
وَيَحْمِلُ مِنْهَا الْحَرْثُ قَدْرَ الْمَجَلَدِ ^(٧)
وَيَرْجِعُ حَتَّى شَاهَدَا طَى ^(٨) زَمَزَمَ
كَمَا شَادَ إِسْمَاعِيلُ جُذْرَانَ عُنْدَدٍ ^(٩) !

(١) الأثلُب : التراب .

(٢) حاج : أقام ووقف ورجع . والأبلد : البليد .

(٣) الجلد : الصلب .

(٤) الجوش : الصدر .

(٥) المتعبد : العائن الذي يتشقق على المعيون ويتشدد ليصالح في إصابته بعينه

(٦) التربان : جمع التراب .

(٧) المجلد : مقدار من الحمل معلوم السكيل والوزن . قيل هو ستة قناطير .

(٨) الطى هنا : بناء البئر .

(٩) العنبد كجندب في هذا الضدد : القديم . أراد البناء القديم الذي بناه

« إسماعيل عليه السلام أو بنى على عهده .

٢٥٠ تَضَوَّعَ مِنْ عَرَفِ النَّبِيِّينَ مَشْعَرًا^(١)
وَأَرْطَبَ مِنْ طَمٍّ كَبُشْرٍ مُعَضَّدٍ^(٢)
فَلِلنَّاسِ نَوْسٌ^(٣) مِنْ قُرَيْشٍ وَمَحْشَرٌ^(٤)
يُرْوَحُ عَلَى الْأَوْشَازِ^(٥) طَوْرًا وَيَعْتَدِي
حَرِيرًا^(٦) كَمَا الصُّنُورُ^(٧) يَبْغِي لَجَاجَةً
فَيَلْبَسُ زَيْفًا^(٨) لِبْسَةً الْمُتَرَبِّدِ^(٩)
وَقَالُوا: لَنَا فِيهَا كَمَا لَكَ غُدَّةٌ^(١٠)
وَلَسْتَ - إِذَا لَمْ تُعْطِنَا - بِالْمُغْدِدِ^(١١)

- (١) المشعر كالشعر .
(٢) البسر المعضد : الذي بدا الترطيب في أحد جانبيه .
(٣) النوس : التذبذب . والمحشر لغة في المحشر .
(٤) الأوشاز : ما ارتفع من الأرض ، جمع وشز .
(٥) الحرير كالمحرور : من تداخلته حرارة القيظ .
(٦) الصنور : البخيل السوء الخلق .
(٧) زيفاً : إما أن تكون من التزييف - أى حالة كونه مزيفاً ، وإما أن تكون مصدر زاف يزيف زيفاً أى تبخر في مشيته . واللبد : شعر زبرة الأسد ، أى الشعر المجتمع بين كتفيه . وكنية الأسد ذو لبسده وأبو لبسده أو لبسده والمتربد : من أسماء الأسد .
(٨) الغدة هنا : القطعة من المال والنصيب منه .
(٩) غدد تغديداً فهو مُغْدِدٌ . أخذ نصيبه .

فَإِنَّ أَبَانَا^(١) وَاحِدٌ ، وَهُوَ شَادَهَا
 وَدَعَمَهَا أَجْدَادُنَا بِالْتَعَدِّ^(٢)
 ٢٥٥ فَقَالَ : « يَمِينَ اللَّهِ لَسْتُ بِفَاعِلٍ
 وَلَكِنْ أَنَا نِي طَيْفٌ هَذَا الْمُجَدِّدِ^(٣) .. »
 فَقَالُوا : « خِصَامٌ » .. قَالَ : « مَرَحَى وَإِنِّي
 مُخَاصِمُكُمْ فِي دَارِ سَعْدٍ^(٤) وَفِي دَدٍ ...
 خُذِ الرَّحْلَ وَالْأَزْوَادَ وَاحْرَثْ^(٥) وَأَتِنِي
 بِفَحْلٍ لَدَى أَجْيَادٍ فِي الْخَرْقِ^(٦) مُلْبِدٍ^(٧) ١

-
- (١) يريدون اسماعيل عليه السلام .
 (٢) تعدد في صناعته : تأثق . فالتعدد : التأثق .
 (٣) المجدد من النعم : الذي جدد له أي قطع ، يقول : « ما أنا بفاعل ، فقد جاء في هذا المقطوع الدار - أي زمزم المطمومة - في مناحي يهيب بي أن أفعل ما فعلت .
 (٤) ديار سعد : أرضها . ودَدُ : اسم واد . ذلك أنهم اتفقوا بعد التنازع على أن يجعلوا كاهنة بنى سعد بن هزيم حكماً بينهم وكانت بأعلى الشام ، ولعلها التي لما حضرته الوفاة طلبت شقماً وسطيحاً وتقلت في فهما وذكرت أن سطيحاً يخلفها في كهانتها ثم ماتت في يومها ذلك .
 (٥) واحرث أي ياحرث ينادى ولده . لأن « وا » من أدوات النداء .
 (٦) الخرق : الأرض المستوية المتسعة البعيدة الأكناف والأطراف . عن الثعالب . وأجباد : من أحياء مكة المكرمة .
 (٧) الملبد من الإبل : ذو الوبر المتلبد .

« خِفَافَايَ ^(١) يَدٌ لَا ظُلُولَ بِأُنْفِقِهَا
 إِذَا ضَاقَتِ الْأَفْيَاءُ مِنْ حَكْرٍ ^(٢) أَصِيدَ! »
 فَلَمَّا طَوَّاهُمْ صَمْعَرٌ ^(٣) الْأَرْضَ أَصْفَرُوا ^(٤)
 مِنَ الْمَاءِ فِي غُفْلٍ ^(٥) مَخُوفٍ مُطَوِّدٍ ^(٦)
 ٢٦٠ وَأَخْدَمَتِ ^(٧) الْبَيْدَاءُ مِنْ وَاوَرَةٍ ^(٨) السَّمَاءِ
 وَرَاءَ كَثِيبٍ مِنْ فَمِ الرِّيحِ ^(٩) مُرْعَدٍ ^(١٠)

-
- (١) قوله خفافاى أى جانبى - والظلول جمع الظل .
 (٢) الحكر : الظلم وإساءة المعاشرة ، والأصيد هنا : المائل العنق فى كبر أو غيره .
 (٣) أى عبد المطلب ومن ذهبوا فى رفقته من بنى عبد مناف .
 (٤) الصمعر . ما غلظ من الأرض . يقول الرواة أن عبد المطلب ركب إذ ذاك ومعه نقر من بنى عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نقر ، وكان ما بين الحجاز والنشام مفازات لا ماء فيها .
 (٥) أصفروا : نقد ما عندهم من الماء وافتقروا إليه .
 (٦) الغفل من الأرض : ما ليس به أثر لشيء يذكّر بالحياة . والمطود : البعيد .
 (٧) أخدمت النار والحر : اتقد .
 (٨) الوارة : النار أراد بها الشمس . يريد أن يقول : والتهبت الصحراء من شدة حرارة الشمس .
 (٩) الرّيح : المرتفع من الأرض دون الجبل أو الطريق المنفرج فى الجبل ، والجبل المرتفع أو مسيل الوادى من كل مكان مرتفع .
 (١٠) كثيب مرعد : مهال .

وَجَفَّتْ خُلُوقُهُ فَارْتَأَى الْمَوْتَ خَيْفًا^(١)

وَصَنَّتْ قُرَيْشٌ فِي الصَّدَى^(٢) ضَنْ أَصْلَدٍ

يَقُولُونَ : « لَا نَسْقِيكُمْ الْمَاءَ إِنَّهُ

ذَوُوبٌ^(٣) حَيَاةٍ فِي سِقَاءٍ مُغَمَّدٍ^(٤) »

فَكَانُوا^(٥) لِشَبِيحِ الْمَوْتِ فِي شَرٍّ صَرَدَحٍ^(٦)

بِهِ اللَّبُـوَاتُ نَائِحَاتٌ مَجْلَدٍ^(٧) !

(١) الخيف مثل الخوف : جمع للخائف .

(٢) الصدى : العطش ، والأصلد : البخيل .

(٣) الذووب : السمين الذي يذوب .

(٤) السقاء المغمد : المملوء . والقصة أن عبد المطلب ورفاقه من بني عبد

مناف نفد ماؤهم في تلك المفازة ، فظمئوا ظمأً شديداً حتى أيقنوا
بأهلكة . فاستقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا نخشى على
أنفسنا مثل ما أصابكم .

(٥) كان له يكنى كينياً : خضع . والشبح : الشخص . واستعمل لتلك
الصورة المفزعة التي يتخيلها الناس للموت .

(٦) الصردح : الأرض المستوية مع الاتساع .

(٧) اللبوات : جمع لبوءة . والمجلد : قطعة من جلد تمسكها النائح وتلطم بها

خدها . وتقول القصة أن عبد المطلب قال لأصحابه : ماترون ؟ قالوا :

ما رأينا الا تسع لرأيك . قال : إني أرى أن يحفر كل واحد منكم حفرة

يكون فيها إلى أن يموت ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه إلى حفرة ثم

واروه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد - أي تركه

بلا مواراة - أيسر من ضيعة ركب جميعاً . فقالوا : نعم ما أمرت به .

فحفر كل حفرة لنفسه ثم قعدوا ينتظرون الموت .

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي ... وَقَدْ جَاءَ نَاهِرًا^(١)
 لِمُغْلَقِ مَاءٍ فِي ظَهَارٍ^(٢) مُصَمَّدٍ
 ٢٦٥ فَقَدْ قَامَ فِيهِمْ شَيْبَةُ الْحَمْدِ قَائِلًا:
 « أَفَادُنَا^(٣) مَا نَالْنَا مِنْ تَفَوُّدٍ !
 « أَنْدَفِنُ غَيْدَانَ^(٤) الشَّبَابِ ، فَإِنَّمَا
 سَمِعْنَا إِذَنْ مِنْ جَاهِلِ الرَّأْيِ عَنْكَدٍ^(٥) ..
 « هَامُّوْا فَشَبَّحَانَ^(٦) الْحَيَاةِ أَمَامَنَا
 وَإِنْ سَرَابَ الصَّوْرِ^(٧) بُشِّرَى بِمَوْرِدٍ^(٨) ...
 وَكَالذَّهَبِ^(٩) قَامُوا مِنْ صَعَارٍ وَذِلَّةٍ
 عُرَاةً وَفِيهِمْ مِنْ سَتِيرٍ^(١٠) وَمُرْتَدٍ

-
- (١) ناهراً أى مجرياً .
 (٢) الظهار : ظاهر الحرّة . والمصمد : الصلب المصمت .
 (٣) فاد كمنع هنا بمعنى سجن . والتفؤد : التحرق والتوقد .
 (٤) غيدان الشباب : أوله .
 (٥) العنكد هنا بمعنى الأحمق والمعنى : فأنا إذا فعلنا ذلك نكون قد سمعنا
 من جاهل أحمق - مع أنه هو صاحب الرأي والظاهر أنه عدل عنه .
 (٦) الشبحان : الطويل .
 (٧) الصور : شط النهر كأنما رأوا سراباً لنهر له شاطئ .
 (٨) المورد في هذا الصدد الماء . (٩) الذهب : العسكر المنهزم .
 (١٠) الستير فعيّل بمعنى مفعول أى مستور كأنهم لما اعتزموا الموت
 خلعوا ثيابهم .

فَلَمْ تَكْدِ الْوَجْنَاءِ تَسْعَى بِعَامِرٍ
وَأَفْنَدَةٍ مِنْ رَهْطِهِ لَمْ تَشَدِّدْ

٢٧٠ إِذَا هِيَ فِي مَاءٍ فِضَاءٍ ^(١) وَسَلْسِلٍ
يُدَاعِبُ دِعْصًا ^(٢) كَالرَّغَامِ ^(٣) الْمُعْهَدِ

وَمَاوِيَّةٍ ^(٤) جَلَّتْ وَجُوهًا كَانَهَا
فَيْئِدٌ ^(٥) عَلَيْهِ فَحْمَةٌ لَمْ تُخْضِدْ ^(٦)

عَلَا الْهَتْفُ بِالتَّهْلِيلِ مِنْ صُدْرَةٍ ^(٧) الْفَلَا
وَبُلِّلَ حَدمٌ ^(٨) مِنْ عَشِيرٍ مُضَيِّدٍ

(١) الفضاء الماء يجري على وجه الأرض .

(٢) الدَّعْص : ما استدار من الرمل .

(٣) الرَّغَام : التراب أو تراب لين أو رمل مختلط بالتراب . والمعهد : الذى أصابته الشنْفُضَة من المطر .

(٤) الماوية : المرأة . شَبَّهَ بصفائها عينَ الماء الصافية .

(٥) الفئيد : النار .

(٦) لم تخضد : لم تُثْنَنَ لِتَكْسَر .

(٧) الصُّدْرَة : الصدر أو ما أشرف من أعلاه .

(٨) الحدم للنار وغيرها : شدة احتراقها وحميئها . وضئده فهو مُضَيِّد : أذكروه ما يغضبه .

وَنَادُوا قُرَيْشًا أَنْ هَلُمُّوا مَسُوسَنَا^(١)

فَلَيْسَ مَنَافُ نَبْعُهُ بِالْمُصَلِّ^(٢)

لَدَى ذَاكَ لَمْ تَذْكُرْ قُرَيْشُ لَجَاجَهَا

وَخَلَّتْ حَيَاءُ خَلَّةَ الْمُتَشَدِّدِ

٢٧٥ وَوَلَّتْ لَدَيْهَا عَامِرًا أَمْرَ عَاقِدِ^(٣)

تَلَبَّتْ يَرْوِي ظُمَاءَ^(٤) الْمُتَوَرِّدِ

(١) المسوس : ما يمس السحلة فيشفيها من الماء . والتقدير أن هلموا فردوا مسوسنا .

(٢) ذلك لأنهم - أى جماعة عبد المطلب - كانوا من بنى عبد مناف . وصلد فهو مصلد : بخل .

(٣) العاقد : حريم البئر وما حولها .

(٤) الظمء بالكسر كما لظماً . والظمأة جعلها الشاعر واحده . والمتورّد : الذى يطلب الماء ويريده . فقد انتهت قصة إعادة حفر زمزم بأن قالت قريش لعبد المطلب : قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبداً . . إن الذى سقاك الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم . ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة . ولما حفر عبد المطلب زمزم بنى عليها حوضاً وصار هو وولده يملأانه فيكسره قوم من قريش ليلاً حسداً ، فيصلحه نهراً حين يصبح . فلما أكثروا من ذلك وجاء شخص واغتسل به غضب عبد المطلب غضباً شديداً فأرى فى المنام أن قل : اللهم إني لا أحلها لمغتسل وهي اشارب حلّ وبلّ - أى حلال مباح . فقام حين اختلفت قريش فى المسجد ونادى بذلك ، فلم يكن يفسد حوضه أحد أو يغتسل فيه إلا رمى فى جسده بدء .

ذَهَبُ الْكَعْبَةِ وَالنَّدَى

وَإِنْ أَنَسَ لَمْ أَنَسَ الَّذِي فَدَّ^(١) مِنْهُمْ

لَدَى رُؤْيَاةِ الزَّرِّيَابِ^(٢) مِثْلَ الْمُفَدِّ^(٣)

فَقَدْ عَلَنَ^(٤) الْكَنْزُ الَّذِي طَمَّ جُرْهُمُ

وَصَصِيرٌ^(٥) نَضِرُ كَالسَّنَا الْمُتَوَقِّدِ

وَصَاحَتْ قُرَيْشٌ أَذْهَبَ الْبَهْرُ^(٦) لُبَّهَا

كَمَا بَهَرَ الْإِصْبَاحُ إِبْصَارَ خُفْدٍ^(٧) !

(١) فدَّ : رفع صوته بشدة .

(٢) الزرياب : الذهب . يريد الغزالتين والأسياف والأدراع التي دفتها جرهم

(٣) فدَّ : فهو مفدَّد : صاح منادياً ببضاعته .

(٤) علن : وضح وانكشف .

(٥) الصير : الحسن الصورة . والنضر : الذهب .

(٦) البهر : الإضاءة كالبهور .

(٧) الخفد : الخفَّاش .

تَقُولُ : لَنَا فِيهَا نَضِيبٌ ، وَعَامِرٌ
يَقُولُ : نُضَارَ الْبِئْرِ مَالِي وَمُثَلَدِي ^(١)
٢٨٠ فَلَمَّا أَغْدُوا ^(٢) قَالَ : نُلْقِي قِدَاحَنَا
لَدَى هُبَلٍ فِي بَيْتِهِ الْمَتَّسَعِدِ ^(٣)
فَكَانَ لِبَيْتِ اللَّهِ ظَنِيَاهُ بَدَّةً
وَلَيْسَ كَطَنِيٍّ مِنْ نُضَارٍ مُفَرَّدٍ ^(٤)
وَكَانَتْ سَيْوْفُ اللَّهِ مِنْ حَظِّ عَامِرٍ
فَعَلَّقَهَا بِأَبَا لِبَيْتٍ مُعَقَّدٍ ^(٥)

(١) متلدى : مالى القديم الموروث .

(٢) أَغْدُوا : غَضِبُوا .

(٣) المتسعّد : المتفائل من الفأل .

(٤) المفردّ : المفصل بالفرائد من اللؤلؤ أو الجواهر النفيسة .

(٥) عقدت البيت فهو معقد : جعلت له عقوداً . وتفصيل القصة أنهم لما

اختلفوا قال عبد المطلب : « لا ولكن هلموا إلى أمر نصف بيني

وبينكم ، نضرب عليهما بالقداح » ، قالوا : « وكيف نصنع ؟ قال :

أجعل للكعبة قدحين ، ولي قدحين ، ولكم قدحين ، فمن خرج قدحاه على

شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له . . قالوا : أنصفت .

فجعل قدحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين لعبد المطلب ،

وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوها لصاحب القداح الذي يضرب

بها عند هبل . وجعلوا الغزالتين قسما ، والأسياف والأدراع قسما =

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا النَّذْرُ قَدْ كَانَ غَافِيًا

فَحَالَ^(١) إِلَى صَحْوٍ كَنَصْلِ مُعَرِّدٍ^(٢) ...

يُهِيبُ بِهِ : « قَرَّبْتَ أَمْ كُنْتَ حَانِثًا ؟ »

فَقَامَ إِلَى غَضٍّ مِنَ النَّجْلِ^(٣) سَخُودٍ^(٤)

٢٨٥ سَتَبَلَّجُ مِنْهُ شَرْقَةً^(٥) السَّكُونِ .. آبَهُ^(٦) !

أَيَكْسِفُ شَمْسًا فَذَّةَ الْمُتَجَرِّدِ ؟

أَيَذْبَحُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ غَضَبَةٍ^(٧)

وَيَصُمُّ عَبْدُ اللَّهِ كَالْمُتَجَلِّدِ !

= آخر . وقام عبد المطلب يدعو ربه شعراً . فضرب صاحب القداح
نفرج الأصفران على الغزالتين ، وخرج الأسودان على الأسياف
والأدراع ، وتخلف قدحاً قریش . فضرب عبد المطلب الأسياف بآباً
للكعبة ، وضرب في الباب الغزالتين . . فكان أول ذهب حُلِيت به
الكعبة المشرفة .

(١) حال هنا بمعنى تحوّل .

(٢) النصل المعرد : النافذ من الرميّة .

(٣) النجل : النسل .

(٤) سخود كجعفر : ناعم .

(٥) الشارقة : الشمس . أراد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لأن الذبيح كان
آباه عبد الله .

(٦) آبه : ويله . . أى ويل عبد المطلب يذبح من سَتَبَلَّج منه شمس الهداية .

(٧) القصة أن عبد المطلب لما قال لولده الحرث : ذُدْ عَنِّي حَتَّى أَحْفَرَ زَمْزَمَ =

فَعِنْدَ إِسَافٍ صَيْرٌ^(١) رَأْسِ نَجْمِيَّةٍ
وَمَهْلِكُ إِرْسٍ^(٢) فِي عَرَا الْحَمَوِ مُصْفَدٍ^(٣) .
تَحَرَّكَ بِالْ^(٤) مِنْ قَرَيْشٍ وَأَبْطَحُ
وَجَاشُوا لَدَى الْبُؤْسَى بِصَوْتٍ مُنْدَدٍ^(٥)

وعلم أنه لا قدرة له على ذلك ، نذر إن رُزق عشرة من الولد الذكور
يمنعونه ممن يتعالى عليه ليندجن أحدهم عند الكعبة . وقيل إن سبب
ذلك أن عدى بن نوفل بن عبد مناف قال له : يا عبد المطلب ! تستطيل
علينا وأنت فذئ لا ولد لك ولا مال ، وما أنت إلا واحد من قومك
فقال له عبد المطلب : أتقول هذا وإنما كان نوفل أبوك في حجر هاشم ؟
فقال له عدى : وأنت أيضاً قد كنت في يثرب عند غير أبيك ... كنت
عند أخوالك من بني النجار حتى ردك عمك المطلب . فقال له
عبد المطلب : أَوَ بالبقلة تعيرني ؟ فله على النذر لئن آتاني الله عشرة
من الأولاد الذكور لأنحرن أحدهم عند الكعبة . . ! فلما صاروا عشرة
وحفر زمزم أمر في النوم بالوفاء بنذره . فذبح كبشاً وأطعمه الفقراء
فقليل له في النوم قرب ما هو أكبر من ذلك . . فذبح ثوراً . فقليل له
في النوم قرب ما هو أكبر من ذلك . . فذبح جملاً . . فقليل قرب
ما هو أكبر . . فقال : وما هو الأكبر من ذلك ؟ فقليل له : قرب
أحد أولادك الذي نذرت ذبحه . . فضرب القداح على أولاده فخرجت
على عبد الله — وكان أصغر أولاده وأحبهم إليه .

- (١) الصَّيْر : القطع . (٢) الإرس : الأصل الطيب .
(٣) العرا : الفناء والساحة . والحو : حمو الشمس كحمتيها . وأصفده فهو
مُصْفَدٌ مثل صَفَّته : قيَّده .
(٤) البال هنا : القلب والحال . (٥) الصوت المندد : الرفيع العالي .

وَقَالُوا: «أَتَبْقَى شِرْعَةً»^(١) الذَّبْحُ فِي الْوَرَى

كَأَنْيَابِ سَمٍّ زَاعِفٍ^(٢) مُتَغَلِّدٍ!

٢٩٠ لَدَى قُطْبَةِ الثَّرْمَاءِ^(٣) فَسَرُّهُ وَإِنَّا

بَصِيدَانِنَا^(٤) نَقْدِي الذَّبْحَ وَنَقْتَدِي..»

فَلَمَّا أَتَوْهَا وَهِيَ فِي السَّحْلِ^(٥) دُجِيَّةٌ

وَقَدْ رَكِبَتْ مَتْنِ الْإِرَانِ الْمَفْسَدِ^(٦)

يُطَالِعُهَا مِنْ أَثْرَمِهَا^(٧) تَوَابِعُ

مِنْ الْجَنِّ بِالْوَجْهِ الْمُبِيرِ^(٨) الْيَلَنْدَدِ^(٩)

(١) الشريعة كالشريعة . فإن قریشاً قالت له : لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ويكون ذبح الأولاد سنة .

(٢) السم المتغلد : المتعق الذي لا يُسلبت شاربته . وزاعف أى قاتل مكانه .

(٣) قطبة الثرماء كاهنة كانت بخيبر . والثرم : انكسار السن من أصلها أو سن من الثنايا والرباعيات أو خاص بالثنية فهو أثرم وهى ثرماء . والفسر البيان والتفسير .

(٤) الصيدان : الذهب .

(٥) السحل : الثوب الأبيض . والدجية : الشظلة كناية عن سواد وجهها إذا قورن بما تلبس من ثياب بيض .

(٦) الإران : التابوت كانوا يحملون فيه ساحتهم وكبراءهم . والمفسد : المبتذل . فقد الشيء : بطلته .

(٧) الأثرمان : الليل والنهار .

(٨) المبير : المهلك (٩) اليلندد : الخصم .

دَعَتْهُمْ إِلَى لَبِثٍ ^(١) وَتَكْلِيمٍ صَاحِبٍ

فَقَالَتْ ^(٢): «هَيِّنُوا الْعَقْلَ ^(٣) فِي رَهْطِ عَوْدِي»

فَقَالُوا: «الدِّيَّاتُ عَشْرَةٌ مِنْ جِمَالَةٍ ^(٤)...»

فَقَالَتْ: بِهَا مَنْ يَلْزَمُ الْقَدْحَ يُعْضِدُ ^(٥)

٢٩٥ فِي هُبَلِ الْقِسْطِ ^(٦) الَّذِي كَانَ قَاسِطًا

وَمَنْ يَكُ ذَا دِينَ مِنْ النَّاسِ يَنْقُدُ!

فَلَمْ يَزَلِ الْمَفْوُودُ يَرْمِي قِدَاحَهُ

بِعَشْرِ فَعَشْرٍ مِنْ أَيْلٍ مَعْدَدٍ ^(٧)

(١) أى قالت لهم: ارجعوا عنى اليوم حتى يأتى تابعى فأسأله.

(٢) المضمرة فى هذا الصدد وجاءها صاحبها وشاورته فى هذا الموضوع فقالت

(٣) هيينوا أى أيسنوا بأحدى لهجات العرب. والعقل هنا بمعنى الديّة.

وعوّدى أى الذين اعتادوا المجيء إلى للشورة فى مختلف الأمور — من

انتداب الشئ واعتياده.

(٤) من جمالة أى من جمال.

(٥) رمى فأعضد ولزم القداح. فأعضد كعضد أى ذهب يميناً وشمالاً أثناء

الضرب عليها عند هبل. فإن الكاهنة قالت له: تخرج عشرة من الإبل

وتقدح، وكلما وقعت عليه — أى على ابنه عبد الله — يزداد الإبل

حتى تخرج القداح عليها.

(٦) القسط: العدل.

(٧) عدده فهو معدد: جعله معدةً للدهر.

وَلَيْسَ يَجِيءُ الْقَدَحُ إِلَّا عَلَى ابْنِهِ
إِلَى مِائَةٍ مِنْ عَيْسَجُورٍ ^(١) وَعَلَكْدٍ...
فَقَالَ : « وَرَبُّ الْعَرْشِ أَطْعَمُ مَكَّةَ
ثَلَاثَ مِثْنَيْنِ .. إِنَّنِي مُهْلِكٌ غَدِي ^(٢)
« لَيْسَمِنْ مِنْهَا النَّسْرُ أَفْرَاخَ وَكَرِهَ
وَيَشْبَعُ مِنْهَا كُلُّ وَحْشٍ وَأَرْبَدٍ ^(٣) ! »

(١) العيسجور : الناقة الشديدة القوية . والعلكد : الغليظ — أى من الإبل .

(٢) أى مهلك غده بالسكرم والمبالغة في القدية لأنه لم يفكر في غده . وتقول القصة أن عبد المطلب ضرب على عشرة فخرجت القداح على ابنه ، فلم يزل يزيد عشرة حتى بلغت مائة . فخرجت القداح عليها . فقالت قريش ومن حضره : قد انتهى رضا ربك . فقال عبد المطلب : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات . ففعل ذلك وذبح الإبل عند الكعبة لا يصد عنها أحداً من آدمي ووحش وطير . قال الزهرى : فكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل بعد ما كانت عشرة كما تقدم .
(٣) الأربد هنا : الأسد . وقد عرف عبد المطلب في حياته بأنه مطعم الوحوش في قنن الجبال .

العُرُوبَةُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا

٣٠٠ جَرَى الْغَيْلُ مَدًّا فِي تِلَاعٍ مَشِيئَةٍ^(١)

فَأَنْبَتَ نَجْمًا كَالْكِتَابِ الْمُقَيَّدِ^(٢)

رَدَا جُلُهُ وَالذُّوبُ فِي بَعْضٍ دَفٍّ^(٣)

يُذِيبُ عَلَيْهِ ذَائِدٌ بَعْدَ ذُوْدٍ^(٤)

وَلَكِنَّهَا أَمْوَاهُ دَشَتْ^(٥) شَحِيحَةٌ

يُعَانِي بِهَا الْأَعْرَابُ عَيْشَ التَّهْدُدِ^(٦)

(١) الغيل : الماء الذي يجري على وجه الأرض . والمد : السيل . والتلاع جمع قلعة وهي مجرى الماء من أعلى الوادى . ومشوية : مشوبة بشوائب الصخور وغيرها .

(٢) النجم : ما لم يكن على ساق من النبات . والكتاب المقيد : المشكل .

(٣) ردا : صار رديئاً . الذوب : العسل أو ما خلص من شمع . والدف من كل شيء : جنبه أو صفحته .

(٤) يذيب : يُغَيِّرُ والذائد : سائق الإبل وطاردها ودافعها .

(٥) الدشت : الصحراء .

(٦) التهديد والتهديد : التخويف .

أَلَيْسَتْ فِجَاجُ الْأَرْضِ نَعْلًا وَحَرَّةً^(١)

وَأَعْشَابَ رُعَى^(٢) تُرْتَجَى بِالتَّفَقُّدِ؟

إِذَا انْكَلَّ^(٣) بَرْقُ فَوْقَهَا خِلَتْ أَنَّهُ

عَمَاءُ^(٤) - وَيَمْضِي مُطْرَدًا شَرَّ مُطْرَدٍ

٣٠٥ فَإِنْ وَرَدُوا خَضِرَاءَ يَوْمًا وَخَلَّةً^(٥)

فَدَارَتْهَا^(٦) لَيْسَتْ سِوَى دَارٍ مُكْسِدٍ

تَبِينُ مَعَ الْهَظْلَاءِ إِنْ بَانَ سِرْبُهَا

وَتُثْبِلُ فِي زَحْفٍ عَنِيدٍ عَطَرَدٍ^(٧)

(١) النعل : الأرض الصلبة الغليظة . والحرة : أرض ذات حجارة سود .

(٢) الرعى : لغة في الرعاة عن ابن قتيبة .

(٣) انكل البرق : برق كأنه يبتسم ، وذلك بقدر ما يريك سواد الغيم من بياضه .

(٤) العماء : السحاب إذا ارتفع وحمل الماء وكشف وأطبق .

(٥) الخلّة : ما خلا من الثبت والكلاء .

(٦) الدارة : أخص من الدار . ومن المعلوم أن البدو لا دار لهم إلا حيث ينبت الكلاء . وقول أ كسد الرجل إذا كسدت سوقه .

(٧) تبين : تذهب بعيداً فيحس من فراقها لآعج البعاد . والعطرد هنا : الشاق الشديد الجاف الجو .

وَخِيفُ لَهَا خَافُ^(١) ، فِي اللَّيْلِ صَافِرُ^(٢)

وَاللَّضِحُّ تَقْرِيدُ^(٣) وَتَبْرَاقُ فَرْدَدُ^(٣)

لَكَ اللَّهُ يَا عَرَبَاءُ فِي تِلْكَمُ الرَّحَى

تُحَطِّمُ فِي تَطْحَانِهَا كُلَّ عَصْلَدٍ^(٤)!

وَتَصْبِرُ^(٥) لَدَى الْعَيْشِ فِي عَاقِرِ الْفَلَا

كَمَا صَبَرَ الْإِنْفَاقُ سُندُوقُ أَحْرَدٍ^(٦)

٣١٠ لَكَ اللَّهُ فِي تِيَهَاءِ وَيْلُ جَمِيشُ^(٧)

وَإِنْ بَرَدَتْ أَجْبَالُهَا لَمْ تُبَرِّدِ ..

(١) الخيف : الناحية ، وخافُ أى شديد الخوف .

(٢) الصافر : اللص .

(٣) الضح من الأرض : ما أصابته الشمس . والتقريد : الخداع . والمراد أهل المكان . والفردد من صفات السيف ، تقول سيف فردد أى لا نظير له . والمعنى أن هذه الأرض الخضراء تظل خائفة ليلاً من اللصوص ونهاراً من الغزاة .

(٤) العصلد : الصلب الشديد .

(٥) تصبر : تحبس . بابه ضرب . والعاقر : الرمل العظيم .

(٦) السندوق : لغة في الصندوق ، والأحرد : البخيل اللئيم

(٧) الجميش : المسكان الذى لا نبت فيه .

فِي مِثْلِ هَذَا الْمَحَلِّ تُسْتَنْفَدُ الْقُوَى
 وَيَضْوَى بِحَالِ الْعَيْشِ إِلَّا لِمُوجِدٍ^(١)
 أَبَابٍ^(٢) كَرِيْقِ النَّارِ تَعْلُوهُ غُصَّةٌ
 وَعُشْبٌ كَظْهَرِ الْأَفْعُوَانِ الْمَمْدَدِ^(٣)
 وَفُرْدَاتٍ^(٤) صَخْرٍ جُنَّتِ الرِّيحُ عَنْدَهَا
 فَتَلْتَلِتُ^(٥) الدُّنْيَا بِتَرْجِيمٍ غَزِيْدٍ
 وَسَارَتْ^(٦) أَنْسَاءٌ مِنْ عَدِيٍّ^(٧) بِمَسْهِجٍ
 وَخَيْلًا^(٨) بِإِغْذَادِ الْجَوَادِ الْمُسَقَّدِ
 ٣١٥ أَلَمْ يُوْغِلُوا فِي مَذْهَبٍ مِنْ بَدَاوَةٍ
 يُجْنَدِلُ فِي شَعْوَائِهِ كُلُّ قَتَرَدٍ^(٩)

-
- (١) الموجد : الذى أوجده الله أى أغناه .
 (٢) الأبَاب : الماء .
 (٣) الممدد هنا : المطول
 (٤) الفردات : الآكام .
 (٥) تلتلت : زعزعت وأقلقت وزلزلت . والغز يد : الشديد الصوت . أراد
 الرياح العاتية .
 (٦) سارتهم أى حملتهم على السير . تقول سار الدابة وغيرها أى سيرها .
 (٧) العدى : المشاة الذين يعدون أى يركضون . والمسهبج : ممر الرياح
 (٨) أى وخيالة . والجواد المسقد : المضمّر
 (٩) القترد بالثاء وليس بالثاء : الرجل الكثير الغم والسخال أو الكثير
 قماش البيت كناية عن الغنى

أَلَمْ يَنْكُرُوا حَقًّا إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
 جَحَافِلُ مِنْ جِنٍّ^(١) لَدَى الْمَاءِ أَلْوَدٍ^(٢) ؟
 أَلَمْ يَفْخَرُوا بِالنَّبَزِ^(٣) وَالنَّبَزُ بَاطِلٌ
 كَمَا فَخَرَ الْجَبَسُ^(٤) الْأَهْدُ الْمُعْضِدُ...
 أَلَمْ يَضْبَحُوا^(٥) فِي غَفَلَةِ السَّكَنِ وَالْحِمَى
 بِأَلْفِ مُغِيرٍ مِنْ كَمِيٍّ وَسُقُودٍ

-
- (١) أى من محاربين كالجن سرعة وقوة وخبثاً
 (٢) الألود : من لا يميل إلى عدل ولا ينتقاد لأمر
 (٣) النبز : اللمز ومصدر نبزه أى لقيه . أى ألم يفخروا بألقابهم بأن
 يقول الواحد منهم : أنا فلان بن فلان الذى كان كذا وكيت من نعوت
 الفخر والذكاة . وقد قال تعالى : « ولا تنازوا بالألقاب » .
 (٤) الجبس : الجامد الثقيل الروح . والفاسق والردىء والجبان واللئيم .
 والأهد : الجبان والمعصد : السيف الردىء أو الصدىء الذى أصبح
 يمتحن فى قطع الأخشاب ونحوها .
 (٥) ضبحت الخيل من باب قطع مثل ضبعت ، وهو أن تمتد أظباعها فى
 سيرها وهى أعصدها . وقيل الضبح صوت أنفاسها . والسكن :
 أهل الدار . والسُقُود : الفرس المضمر ، وهو من أجود الخيل
 عدواً .

فَمَزَّقَ طُغْيَانٌ كُيُودًا عَفْوَةً

وَأُهْبِطَ مِنْ صَرْحِ الْمَلَا كُلُّ قَعْدٍ^(١) !

٣٢٠ وَقَدَّهْمُ^(٢) وَبَالًا ذَابُهُمْ فِي نِسَائِهِمْ

فَسَهْمُهُمْ^(٣) تَحْكِي وَخَامَةً مُصْلِدٍ

وَمَهْرُ بَغْيٍ وَانْتِسَابٌ لِفَاجِرٍ

يُمَاكِرُ ثَدْيَاءَ الْخَفَى الْمُتَمَدِّدِ^(٤)

يُرَاوِدُ حَدْسِي أَنَّهُمْ فِي قِمَائِهِمْ^(٥)

ضَحَايَا رِعَاءِ هَمَّهُمْ فِي التَّصْيِيدِ

(١) الطغيان بالسكسر والضم . وكبيداء : تصغير مأثور للكبد على غير قياس والعفوة : الخيار من الشيء . والرجل القعد : القريب الآباء إلى الجد الأكبر .

(٢) قد هم : يكفهم . والذاب : العيب .

(٣) السهم : القرابة . والمصلد : اللبن يحلب في إناء قد أصابه الدسم فلا تكون له رغووة وتتغير رائحته .

(٤) كان مهر البغي والانتساب إلى فراش الرجل وغير ذلك من الأمور الشائعة في مختلف الأوساط الجاهلية لا في الفقراء وحدهم . والختى : الفحش .

(٥) القماء : الذل والصغار . والرعاء لغة في الرعاة .

وَفَخَرَّ بِأَنْسَابٍ وَسَلَجٍ وَغُنِيَّةٍ^(١)
 وَتَخَلَّى بَطْنٍ مُطْرَهَفٍ^(٢) بِأَغْيَدٍ^(٣)
 وَقَتَوِ^(٤) لِمَا فِي الْقَتَوِ مِنْ عِزٍّ حَيْقَرٍ^(٥)
 إِذَا لَمْ يُصِيبْ دِفْءًا^(٦) لَدَى الْمَلِكِ يَجْهَدُ
 ٣٢٥ وَفِيهِمْ سَفَاهَاتُ الْغِنَى وَاقْتِدَارُهُ
 وَتَصْنِيعُ فَقْرٍ فِي صِنَادِيدِ مُجْمَدٍ^(٧)
 أَلَمْ تَرَشْرَزْ^(٨) الْأَمْرَ مِنْ حَرْبٍ دَاحِسٍ
 وَغَبْرَاءَ تَرْدِي كَاخْشَاشِ الْمُفْرَثِ^(٩)

- (١) السِّلَجُ : العِطَاءُ . وَالْغُنِيَّةُ : الْغِنَى .
- (٢) التَّخَلَّى : وَيَفْتَحُ : الدُّنْيَا أَوْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ . وَالْبَطْنُ الْمَطْرَهَفُ : الرَّافِعُ الْمُتَمَعِّمُ . وَالْأَغْيَدُ هُنَا : الْمَكَانُ الْكَثِيرُ النَّبَاتِ .
- (٣) الْقَتَوُ : حَسَنُ خِدْمَةِ الْمُلُوكِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ بَعْضُ سَادَةِ الْعَرَبِ لَمَّا يَعُودُ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ نَخْرٍ وَمَصَالِحٍ تِجَارِيَّةٍ كَمَا تَلَى كَانَتْ سَبَبًا فِي حَرْبِ الْفُجَارِ .
- (٤) الْحَيْقَرُ وَقَدْ تَضَمَّ الْقَافُ : الدَّلِيلُ أَوْ الضَّعِيفُ .
- (٥) الدِّفْءُ : الْعِطِيَّةُ .
- (٦) التَّصْنِيعُ : التَّصْنِيعُ . وَالصِّنَادِيدُ : الدُّوَاهِي . وَمِنْهُ قَوْلُ الْحَسَنِ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ صِنَادِيدِ الْقَدَرِ . وَالْمُجْمَدُ : الْمُتَشَدَّدُ وَالْقَلِيلُ الْخَيْرِ .
- (٧) الشَّرْزُ : السَّيْظُ وَالشَّدَّةُ وَالْقُوَّةُ .
- (٨) رَدَى الْفَرَسَ كَرَمَى : رَجَمَ الْأَرْضَ بِخَوَافِرِهِ . أَوْ هُوَ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْمَشَى .
- (٩) الْخَاشِاشُ : الْخَفِيفُ فِي غَيْرِ طَيْشٍ . وَالْمُفْرَثُ : الْكَثِيرُ اللَّحْمِ وَالْمُمْتَلِئُ الْوَجْهَ .

عَدَا بِهِمَا قَيْسٌ^(١) ، وَأَجْرَى حُذَيْفَةَ
سَيْبِيًّا^(٢) لِحَنْفَاءَ وَخَطَّارَ مُخْرَدٍ^(٣)
عَلَى مِائَةِ قَدَرِ الْغِلَاءِ^(٤) رِهَانَهَا
فَطَارَتْ بِسُهْمَانٍ^(٥) وَأَمَّ تَتَبَلَدَ

(١) كانت داحس فرساً لقيس بن زهير ، ومنها حرب داحس ، إذ تراهن قيس وحذيفة بن بدر على عشرين بعيراً وجعلوا الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين ليلة . فأجرى قيس داحساً والغبراء ، وحذيفة الخطار والحنفاء . فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كميناً في الطريق ، فردوا الغبراء ولطموها ، وكانت سابقة . . . فهاجث الحرب بين عيس وذبيان أربعين سنة . وسمى داحساً لأن أمه جلولى الكبرى مرت بنى العقال « اسم لجواد » ، وكان ذو العقال مع جاريتين من الحى ، فلما رأى جلولى ودى . . فضحك شباب من الحى . . . فاستحييت الجاريتان فأرسلتا الجواد فنزا عليها ، فوافق قبولها . فعرف حوط صاحب ذى العقال ذلك حين رأى عين جواده — وكان شريراً فطلب منهم ماء فخله . . . فلما عظم الخطب بينهم قالوا له : دونك ماء فرسك فسطا عليها حوط وجعل يده فى ماء وتراب فأدخل يده فى رحمها حتى ظن أنه قد أخرج الماء . واشتملت الرحم على ما فيها فنتجت مهرأ فسمى داحساً ، وخرج كأنه أبوه ذو العقال ، وضرب به المثل فقييل : أشأم من داحس .

(٢) السبيى من الفرس : شعر الذنب . والحنفاء والخطار فرساً حذيفة .

(٣) المخرد هنا : الميال إلى اللهو .

(٤) الغلاء كالغلوات جمع الغلوة وهى مرماة السهم إذا جاوز مداها .

(٥) السهمان : الحظوظ .

فَلَمَّا رَأَى الْغَبْرَاءُ رَهْطُ حُذَيْفَةَ^(١)
 وَقَدْ سَبَقَتْ قَالَ الَّذِي شَامَهَا^(٢) : قَدَى !
 ٣٣٠ وَسَدَّ عَلَيْهَا بِالْكَمِينِ مَحْجَبَةً^(٣)
 فَمَا أَزَاتُ^(٤) عَيْنٌ وَلَمْ تَتَرَدَّدِ
 وَشَامَتْ^(٥) لَهُمْ ذُبْيَانُ حَرْبًا وَصَاخِرًا^(٦)
 تَجَدَّلَ فِيهَا كُلُّ شَيْخٍ وَفَرَهَدٍ^(٧)
 ثَلَاثِينَ عَامًا ثُمَّ آتَتْ بِعَشْرَةٍ
 شَمَارِيخَ^(٨) مِنْ وَسِّ الزَّمَانِ الْمَفْسَدِ ..

-
- (١) الذين هم بنو فزارة .
 (٢) شامها : نظر إليها ، كالذى يشيم البرق أى ينظر إليه أين يقصد وأين
 يطر . وقدى أى حسبي .
 (٣) المحجبة : معظم الطريق .
 (٤) أزأت : جئنت ونكصت .
 (٥) شامت فى هذا الصدد : استللت . وأصل استعمال الفعل للسيف .
 (٦) الصاخر : صوت الحديد بعضه على بعض .
 (٧) تجددل : صرع على الجدالة وهى الأرض ذات الرمل الدقيق .
 والفَرَهْدُ فى هذا الموضع : الغلام الممتلىء الحسن .
 (٨) الشماريخ : رؤوس الجبال . أى كأنها رؤوس الجبال . والوسّ :
 الوسواس . وفسده فهو مفسد : أفسده .

بَلَى ... إِنَّهُمْ كَانُوا خِيفًا إِلَى الْأَذَى

وَكُلُّهُمْ فِي الشَّرِّ يَلْهُو بِمِفْصَدٍ^(١)

وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْكُفْرِ عُذْرٌ وَإِنَّمَا

يُعَذِّرُهُمْ إِحْمَالُ عَيْشٍ وَجَدَجَدٍ^(٢)

٣٣٥ قَتَدًا أَكَلُوا فِي الْجُدْبِ أَوْ بَارَ عَيْرِهِمْ

وَوَخَرُوا سِرَاعًا مَوْحَدًا إِثْرَ مَوْحَدٍ^(٣)

وَقَدْ وَأَدُّوا مَظْلُومَةً خِيفَةً الْخَنَى

وَخِيفَةً إِمْلَاقٍ دَهَاهُمْ كَمِجْدَدٍ^(٤)

فَمَا كَانَتْ الْأَيَّامُ إِلَّا مَصَارِعًا

وَمَا كَانَتْ الْبَيْدَاءُ إِلَّا كَمِخْصَدٍ^(٥)

(١) المفصدة آلة الفصاد وهو شق العرق لسيلان الدم . والمراد دماء

الحرب والقتلى ،

(٢) الجدجد : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) تقول دخل القوم مَوْحَد مَوْحَد كما يقال أحاد أحاد .

(٤) المجلد : السَّوْط .

(٥) المِخْصَد : أداة الحصاد .

تَبَارَكَتْ رَبَّ الْعَرْشِ ! هَاتَاكَ مَكَّةُ

كَغَانِيَةٍ ذَالَتْ^(١) بَوْشَى مُعَمَّدٍ^(٢) ١

وَفِيهَا يَزِيدُ الْبَشَى^(٣) يَبْنِي لِرَهْطِهِ

أَبَا بَيْتٍ^(٤) حَوْلَ الْبَيْتِ كَسْبًا لِمَحْمَدٍ^(٥)

٣٤٠ أَطَلَّتْ بِأَبْوَابٍ عَلَى كَعْبَةِ الْهُدَى

تَسَائُلَهَا أَظْلَالَ سِـتْرٍ مُقَدَّدٍ^(٦)

(١) الغانية: التي استغنت بحماها عن الزينة . وذالت أى تبخترت وماست .

(٢) الوشى المعمدُ : ضرب من الوشى جميل .

(٣) يزيد اسم آخر لقصى من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه أن اسمه يزيد . والبش : طلاقة الوجه كاللشاشة .

(٤) الأبا بيت جمع للبيت . وحول البيت أى حول الكعبة ، فهو الذى أمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم داخل الحرم وحول البيت ، وقال لهم : إن فعلتم ذلك هابشكم العرب ولم تستحل قتلكم . فبنوا حول البيت من جهاته الأربع .

(٥) المحمدُ كالحمد تسمية بالمصدر . حمده كسمعه حمداً ومحمداً .

(٦) المقددُ : المفصلُ والمشقق . فان قريشاً جعلوا أبواب بيوتهم جهة البيت الحرام لكل بطن منهم باب نسب إليه فيما بعد ، كباب بنى شيبه وباب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب بنى جمح ، وتركوا قدر الطواف بالبيت . واستمر الأمر على أنه ليس حول الكعبة إلا قدر المطاف وليس حوله جدار زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن ولاية الصديق =

وَتَحْتَضِنُ الْأَمَانَ ^(١) ضَنًّا بِأَمْنِهِ
وَأَشْجَارُهُ مَا بَيْنَ غُفْلٍ وَمُقْصِدٍ ^(٢)
يُحَذِّرُهُمْ شَيْخُ الْقَرِيشِ ^(٣) قَطْعَهَا
فَتَسْكُنُهَا الْأَطْيَارُ مِنْ كُلِّ مُغَرَّدٍ ^(٤)
وَيُنْزِلُهُمْ بَطْحَاءَ مَكَّةَ وَالْقَرَا ^(٥)
وَمَنْ يَنْزِلِ الْبَطْحَاءَ وَاللَّوْذَ يَزِدُّ

= فلما كان زمن ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه اشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبني المسجد المحيط بها . وتكرر ذلك في زمن عثمان وتابعت الزيادات والمباني بعد ذلك حتى صارت الحال إلى ما هي عليه الآن .

(١) الأمان : الأمين المأمون الذي به ثقة .

(٢) أفصد الشجر فهو مقصود : انشقت عيون ورقه .

(٣) القریشون : جمع القریش وهو الشدید . وما ذكر في صدد سبب تسمية قریش بهذا الاسم أن النضر بن كنانة جاء إلى قومه يوماً فقالوا : كأنه جميل قریش أى شديد . وقد حذرهم قصى قطع هذه الأشجار وخوفهم العقوبة في ذلك — ولا شك أنها كانت تحدد بالبيت الحرام في منظر بهيج . فكان أحدهم يحدد بالبنيان حول الشجرة حتى تكون في منزله .

(٤) أغرد فهو مُغَرَّد . مثل غرَّد .

(٥) القرا : الطهر . فقصى أنزل القبائل من قریش أرض مكة وجعلها اثنتى عشرة قبيلة . فقيس لمن سكن البطاح بين أخشى مكة : « قریش البطاح » . ولمن سكن الظواهر : « قریش الظواهر » ، والأولى أشرف من الثانية ، ومنها بنو هاشم .

فَكُنْتُ تَرَى مِنْهُمْ رَفِيدًا^(١) وَسَاقِيًا^(٢)
وَصَاحِبَ حَرْبٍ فِي رَعِيْلٍ مُفَنِّدٍ^(٣)
٣٤٥ وَحَاجِبَ^(٤) يَنْتِ فَادَ^(٥) فِيهِمْ بِمَفْتَحٍ
أَبَانَ تَلِيلًا^(٦) مِنْ نُضَارٍ مُقَلِّدٍ^(٧)
وَذَا عَلَمٍ مِنْ مَضْرَحِيٍّ^(٨) دِمَقْشُهُ
يَقُولُ: أَلَا يَأْلَيْتَ فِي النَّقْعِ^(٩) مَوْعِدِي!

- (١) الرَّفِيدُ : فَعِيل بمعنى فاعل . أى رافد من الرِّفْد والرِّفَادَة وهى شىء كانت تترافد به قريش فى الجاهلية فتخرج فيما بينها مالا تشترى به للحجاج طعاماً وزبيلاً .
- (٢) الساقى هنا : صاحب السقاية وقد مر الكلام عنها .
- (٣) صاحب الحرب هو الذى كانت له القيادة فى قريش . والرعيْل القطعة من الخيل القليلة أو مقدمتها أو قدر العشرين أو الخمسة والعشرين من الخيل . والمفند : المضمر .
- (٤) هو الذى كانت له الحجابة أى حمل مفتاح الكعبة المعظمة .
- (٥) فَادَ : تبخر . والمفتاح لغة فى المفتاح .
- (٦) التَّلِيل : العُنُق .
- (٧) النُّضَارُ المقلد : الذهب الذى يُقْلَدُ الحلى . تصور الشاعر أن المفتاح كان هكذا .
- (٨) ذو العلم : صاحب اللواء الذى كان يحمل العلم فى الحروب . والمضرحى : الأبيض أو الأحمر يضرب إلى البياض .
- (٩) النَّقْعُ : الغبار . أراد غبار الحرب . وموعدى أى منيَّتى .

وَوَظَائِفُ جِذْمٍ ^(١) سَارَ فِي الْعُرْبِ شَأُوهَا
وَوَظَلَّتْ كَعُلُوانٍ ^(٢) عَلَى بَنْدٍ مُسْنَدٍ ^(٣)
وَدَارُ لَهُمْ كَانَتْ فَوَادٍ ^(٤) لِأَمْرِهِمْ
بِهَا سُهُمٌ ^(٥) مِنْ كُلِّ فِطْنٍ وَمُؤَيِّدٍ ^(٦)
أَرِيضَةٌ ^(٧) حُكْمٍ مِنْ رِجَالٍ عَلَيْهِمْ
مَهَابَةٌ مِنْ ^(٨) لَيْسَ تُرْجَى لِأَمْرٍدٍ

- (١) الجذم كالجذم والأرومة بمعنى الأصل الشريف السامي .
(٢) العُلُوان : العُنُوان . والبند : العلم الكبير .
(٣) المُسْنَدُ : الدهر . كانت هذه الوظائف في قریش بمثابة الوزارات في العصر الحديث . وقد امتد سلطانها إلى سائر العرب ، وظلت متوارثة في بني عبد مناف — ولهم السقاية والرفادة والقيادة — وبني عبد الدار ولهم الحجابة واللواء . وكانت دار الندوة بينهم بالاشتراك ثم انتقلت إلى بني عبد الدار ومنهم إلى حكيم بن حزام . ثم انتقلت السقاية إلى بني العباس في زمن أبي طالب .
(٤) الفواد كسحاب : الفُؤاد . أراد دار الندوة . وشبهها بالفؤاد لأنه هو المحرك للجسد كشأنها في قریش .
(٥) السُّهُمُ : العقلاء .
(٦) أيده وهو مؤيد : قواه . والفطن : الفطن .
(٧) الأريضة : الكريمة الخليفة للخير .
(٨) كان لا يدخل دار الندوة من قریش إلا من بلغ الأربعين من عمره .

٣٥٠ وَيُنَقِّدُ فِيهَا لِلْقِتَالِ لَوَاؤُهُ

يَطِيْرُ بِهِ سَهْمٌ عَلَى حَاذِ أَقْوَدِ^(١)

فَإِنْ نَكَحُوا سَارُوا إِلَيْهَا بِرُسِهِمْ^(٢)

وَفِي جَيْدِهِ الْحُسْنَاءُ تَنْزُو بِمَعْمَدِ^(٣)

يُشَقُّ لَهَا دِرْعٌ^(٤) تُدَرِّعُ غَيْرَهُ

عَلَى مَرَمٍ غَضُّ الثَّنِيَّاتِ أَجْرَدِ^(٥)

وَكَعْبٌ . . . بِهِ يَوْمُ الْعُرُوبَةِ^(٦) فِي الْمَلَا

أَرُونُ ، وَآيَاتُ لَهُ فَوْقَ أَقْحَدِ^(٧)

(١) شبه الفارس صاحب العلم بالسهم على ظهر الجواد . فالحاذ : الظهر .
والأقود : الفرس الذي ينقاد بسرعة .

(٢) جرت العادة في ذاك الزمان ألا ينكح رجل امرأة من قريش إلا في
دار الندوة .

(٣) أراد بالمعمد : الهودج الذي له عمد . أعمدت السقف وغيره جعلت
تحتة عمداً . وتنزو أى تثب تبعاً لحركة سير الجمل الذي يحمل الهودج .

(٤) درع المرأة : ألبسها الدرع وهو القميص . فقد كانت الجارية من
قريش لا تدرع إلا في تلك الدار ، فيشق عنهما درعها ويدرعها ولى
الأمر بيده .

(٥) الأجرد : المنجرد الأملس .

(٦) كمان يوم العروبة في الجاهلية مرادفاً ليوم الجمعة في الإسلام . والملا :
الصحراء .

(٧) أرون : نشيط والآيات : جمع آية ، والمراد آيات البلاغة . والأقحد =

يُيَشِّرُ بِالْخِتَارِ حُرِّيَّةَ الْإِلَى^(١)

قُرَيْشًا مَتَى مَا يَأْذِنُ اللَّهُ يَشْمَدُ^(٢)

٣٥٥ وَلِلنَّضْرِ كَالْتَجْبَابِ فِي الْخُمْسِ زَبْرَج^(٣)

تُبَارِكُهُ الْخُمْسَاءُ رَفَّتْ بِقُشْرُدِ^(٤)

= جمع القسحدة وهي أصل السنام أو ما بين المائتين منه . فان كعباً من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم كانت تجتمع إليه قریش في يوم العروبة فيعظمهم ويذكركم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : سيأتى لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه كريم . وهو أول من قال أما بعد . وقد أرتخوا بموته لعلو مكانته . وكان يبشر بقدمه أيضاً كنانة من أجداده صلى الله عليه وسلم فيقول : قد آن خروج نبى من مكة يدعى أحمد يدعو إلى الله وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفاً وعزاً إلى عزكم ولا تعتدوا — أى تكذبوا — ما جاء به فهو الحق .

(١) الحرية من العرب : أشرافهم . والإلى : واحدة الآلاء وهي النعم .

(٢) يَشْمَدُ : يحضر .

(٣) النضر من أجداده صلى الله عليه وسلم . والتجباب : الخط من الفضة

في حجر المصدين . والخُمْسُ : لقب لقریش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية لتحمسهم في دينهم أو لالتجائهم بالخمساء وهي الكعبة ، والنضر هو جماع قریش عند الفقهاء فلا يقال لأحد من فوقه قرشي . وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قریش ؟ فقال : « مَنْ وَلَدَ النَّضْرَ » .

(٤) الخمساء : الكعبة لأن حجرها أبيض إلى السواد ، أو من الخمسة وهي

الحرمة . والقشرد : قماش البيت كناية عن الكسوة . ورفت : برقت وتلايلات .

وإلياس^(١) - لُقْمَانُ العُرْوَبَةِ - لَمْ يَزَلْ
 رَشِيدًا ، وَمَنْ يَنْهَلُ مِنَ الرُّؤْدِ^(٢) يَرْشُدُ
 تُذِيبُ عَلَيْهِ خَنْدِفٌ^(٣) ضَنْبَ جِيدِهَا
 دُمُوعًا كَسَمَتَانِ الْحَيَاةِ الْمُتَعَرِّدِ
 كَذَا مُضَرُّ العَرِيدِ أَوَّلُ مَنْ حَادَا
 وَهَيْتَ صُبْحًا : يَا يَدَاهُ ! وَوَايَدِي^(٤) !
 فَأَطْرَبَ بَكْرًا مِنْ فُحُولٍ وَمُطْفَلًا^(٥)
 لَهَا بَهَجٌ^(٦) فِي بَنَّةِ الْمُتَعَرِّدِ

-
- (١) هو أيضاً من أجداده صلى الله عليه وسلم . وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه .
 (٢) الرء بالضم : التؤدة .
 (٣) خندف هي ليلى بنت حلوان بن عمران زوجة إلياس . وهي التي لما مات بالسل حزن عليه حزناً شديداً فلم يظلمها سقوف بعد موته حتى قضت نحبها . ومن ثم قيل : أحزن من خندف . والضنب : خب اللؤلؤ .
 (٤) هيت : صاح . كان مضر من أحسن الناس صوتاً . وهو — كما يقول الشاعر — أول من حادا للإبل . فانه وقع ذات يوم فانكسرت يده ، فصار يقول يا يده ! يا يده ! فجاءت إليه الإبل من المرعى . فلما صح وركب حادا البكر : الفستى من الإبل . والمطفل : الناقة إذا مشى معها ولدها .
 (٦) البهج : السرور . وبنة المتعرد : الريح الطيبة تسرى بصوت الحادي وتعريده .

٣٦٠ وَمُبْدِعُ أَشْكَالِ الْحُرُوفِ وَأَطْرِهَا^(١)
نِزَارٌ ، فَكُلُّهُ بِالْأَبِ الْفَذُّ مُقْتَدِ

فَإِنْ جِئْتَ عَدْنَانًا وَقَحْطَانًا لَمْ تَجِدْ
لِنَفْسِيهِمَا مِنْ غَايِ نَجْرِ وَفِرْدِ^(٢)

لِعَدْنَانَ قَيْسٍ ، وَالْيَمَانُونَ دَوْحَةٌ

لِقَحْطَانِ^(٣) فِي تَيْهُورِهِ^(٤) الْمُتَوَحِّدِ

فَذَلِكَ عَهْدُ الْجَاهِلِيَّةِ جُـلُّهُ

ضَلَالٌ ، وَفِيهِ مِنْ رَشَادٍ كَقَرَصِدِ^(٥)

(١) الأطر : العطف والحنى والى . فقد تعددت النصوص على أن نزاراً كان أول من كتب الكتابة العربية على الصحيح .

(٢) الغاى : جمع الغاية . والنجر : الأصل والحسب . والفرند : الأبرار . فما من عربي يخرج في الأنساب عن عدنان وقحطان . وكان عدنان في زمن موسى عليه السلام على الأصح .

(٣) يقول علماء الأنساب أن ولد عدنان يقال لهم قيس . وولد قحطان يقال لهم يمن .

(٤) التيهور : ما اطمأن من الرمل .

(٥) القرصد : القصير أى ما يبقى في السبيل من الحب بعدما يداس . كناية عن قلة الرشاد وتفاهته إذا قيس بالضلال .

أَرَبٌ^(١) بِهِ السُّكَّانُ فَسَدَى وَأَهْلُهُ
 تَبَاغَوْا وَأَفْنَوْا عُمْرَهُمْ فِي التَّقَدُّدِ^(٢)
 ٣٦٥ وَمَا بَدَأَ إِسْمَاعِيلَ حَتَّى مُحَمَّدٍ
 نَبِيٍّ وَلَكِنْ مِثْلُ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ^(٣)
 وَخَالِدٍ رَأَسَتْ^(٤) حَوْلَهُ النَّارُ أَكْلَبًا
 فَقَالَ بَدَأَ كُلُّ هُدًى غَيْرَ مُقْصِدٍ^(٥)
 وَصَرَخَ عَنْهَا وَهِيَ فِي الْبُئْرِ شَرَزَةٌ^(٦)
 وَإِنْ تَرْمِ نَارًا فِي الْعَشِيَّاتِ تُقْصِدِ^(٧)

- (١) أرب : أقام ولزم . وفَسَدَى : فأسدون .
- (٢) تباعوا : بغي بعضهم على بعض . والتقدد : التفرق تسمية بالمصدر .
- (٣) أي وليس بين إسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام نبي ولكن رجال عظماء أو صالحون كعمرو بن مرثد ابن عم طرفة بن العبد وكان سيدياً في قومه حسيباً نسيباً وأفر المال نجيب الولد مسموع الكلمة ، وخالد بن سنان المذكور في البيتين التاليين .
- (٤) راست : مشت متبخرة . والأكلب : الكلاب .
- (٥) غير مقصد أي غير مكذب .
- (٦) صرخ عنها : أبان عنها . والشرة : الهلكة .
- (٧) تقصد هنا بمعنى تقتل . وبجمل قصة خالد بن سنان أنه هو الذي أطفأ النار التي خرجت بالبادية بين مكة والمدينة وكادت العرب تعبدها كالمجوس . كان يرى ضوءها من مسافة ثمان ليال . وربما كان يخرج =

المعلقات على الكعبة

وَدَى ^(١) مَدَمِّى لَمَّا تَذَكَّرْتُ مَحْفَلًا

حَوَى غُرَرًا مِنْ كُلِّ فَحْلٍ وَجَرَهَدٍ ^(٢)

=
منها العنق فيذهب في الأرض فلا يجد شيئاً إلا أكله . وكانت هذه
النار تخرج من بئر ثم تمتلئ فلما خرجت ذات يوم وانتشرت أخذ
خالد بن سنان — إن صحت الرواية — يضربها ويقول : بدا كل
هدى — وهى تتأخر . حتى تنزل إلى البئر : فنزل خلفها فوجد كلاباً
تحتها . . فضربها وضرب النار حتى أطفأها . وقيل انه كان السبب في
خروجها لأنه دعا قومه فكذبوه وقالوا : لا تؤمن بك حتى تسيل
علينا التى تخوفنا إياها . فدعا ربه أن يسيلها عليهم . فلما خرجت قالوا
يا خالد ارددها فانا بك مؤمنون . فردها . . والأصح عندنا أنه كان
رجلاً صالحاً ، أو كاهناً بارعاً استغل مسألة النار ليروج لنفسه . قيل
وكان خالد إذا استسقى يدخل رأسه في جيبه فيجىء المطر ، ولا يقلع
إلا إذا رفع رأسه ! وكان قريب عهد بالنبي صلى الله عليه وسلم بدليل
قدوم ابنته وهى عجوز عليه صلى الله عليه وسلم وإسلامها . وكذا
الحكم في حنظلة بن صفوان وغيره . والدليل على عدم صحة نبوة
أمثال هؤلاء حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فى صحيح البخارى : «أنا
أولى الناس بابن مريم فى الدنيا وفى الآخرة ، وليس بينى وبينه نبى » .
ومن ثم فلا عبدة بورود أسمائهم فى بعض المراجع وكتب السيرة .
(١) ودى : سال وجرى . (٢) الجرهد : السيار النشيط

كَهْمَكْ أَجْمَا لِسْرِ وَغُنْوَةٍ^(١)
 وَيَلْمَعُ بَرْقٍ مِنْ إِرَانٍ مُفِيدٍ^(٢)
 ٣٧٠ يُوَفِّي عَكَاظًا فَالْمَجَنَّةَ مُقْعِدًا^(٣)
 فَذَاتَ الْمَجَازِ فِي جَمَالٍ مُعَقَّدٍ^(٤)
 عَلَى أَيْتُقٍ صُهْبٍ وَآبَالٍ نَجْمَةٍ^(٥)
 أَحَبَّتْ وَرُودَ الْمُتَنَدِي مِنْ تَعْوُدٍ
 هُمُو حُكَمَاءِ الْعُرْبِ فِي عَهْدِ قُتْرَةٍ
 خَلَّتْ مِنْ نَبِيِّ صَابِيٍّ أَوْ مُهُودٍ

- (١) كهملك : كما تريد . والأنجم : جمع نجم . والغنوة : الغنى .
- (٢) اليلع من البروق : الخلسب . والإران : السيف . والمفيد : المتبختر .
- (٣) عكاظ سوق من أعظم أسواق الجاهلية وراء قرن المنازل بمرحلة من عمل الطائف على طريق اليمن . وكانت تقام به السوق في ذى القعدة نحواً من نصف شهر وسوق مجنّة وهي ثمانية الأسواق : وكانت العرب تقصدها بعد عكاظ فتمكث فيها إلى آخر ذى القعدة . ومقعداً أى في شهر ذى القعدة .
- (٤) ذو المجاز — جعله الشاعر ذات المجاز لأن السوق يذكرونها — موضع أقرب إلى مكة كانت تقام فيه السوق إلى وشك الحج ثم يصدر من منه إلى منى . والجمال المعقد من قولك عقدت الحلو ونحوه أى جعلته غليظاً معقوداً :
- (٥) الأيتق جمع الناقة . وصهب أى حمر . والآبال : جمع الإبل . والنجعة طلب السكّال في موضعه .

وَمَا أَنْ^(١) مَا قَالُوا مِنْ الشَّعْرِ زَائِلًا
وَلَكِنْ لَهُ يَتَمُّ كَيْتَمِ الْمَفْرَدِ^(٢)
تَشُولُ بِهِمْ شَوْلًا^(٣) سُودَاءُ عَبَقَرِ
وَأَطْلَالُ آرَامٍ وَتَحْنَانُ فَرْقَدِ^(٤)
٣٧٥ هَمَّ إِلَيْجِ^(٥) فِي نَظْمِ الْقَصِيدِ حُلُومُهُمْ
تُعَالِجُ أَبْرَ الشَّعْرِ^(٦) فِي ظِلِّ غَرْقَدِ
شَعْبَتُهُمْ^(٧) لَمَّا دَهَانِي شَظِيفُهُمْ
بِمَا دَغَرَ النُّعْمَانُ^(٨) مِنْ ثَغْرِ مُعْنِدِ

-
- (١) ما أن : ما كان .
(٢) اليتم هنا بمعنى الانفراد . لعدم إقبال القراء والحفاظ عليه اقبالهم على السهل من الشعر جهلا منهم لمعانيه وعجزاً عن فهم نصوصه المحبوبة . والمفرد : الذي هلك لذاته وبقي هو .
(٣) شلتُ به شولاً من باب قال : رفعته .
(٤) الفرقد : ولد البقرة الوحشية ما دام يرضع .
(٥) هماليج : يمشون مشية سهلة في سرعة . وحلومهم أى عقولهم .
(٦) أبر الشعر : لقحه . كالنخل يؤبر بطلع الإبر ليحود ثمره . والغرقد : شجر جميل من أشجار البادية . وهو كالعوسج بل قيل إنه هو .
(٧) شعبتهم هنا بمعنى جمعهم . والشظيف : السهم الذى رموا به الشاعر كناية عن الحب .
(٨) دغر : دفع . والنعمان : الدم والمعنند : تقول عند العرق وأعند أى سال بالدم .

هُمُ الْأَوْبُ^(١) يَهْمِي ، وَالْمُجِيدُونَ بَعْدَهُمْ
يَتِيهُونَ فِي الْأَجْوَاءِ كَأَلْتَقَرْدِ^(٢)
وَعَى الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَائِهِمْ مُنْطِقَ الصَّفَا
لَبِيدًا^(٣) تَأْرَى شِعْرُهُ فِي التَّمْعَدِ^(٤)
وَعَنْتَرَةَ الْفَلَحَاءِ^(٥) يَلْقَى كَتَيْبَةً
قَتْمُطِعُ إِهْطَاعِ الظَّلِيمِ الْخَفِيدِ^(٦)
٣٨٠ وَيَذْكُرُ وَالرَّدْنُ الرُّدَيْنِي^(٧) صَاخِبُ
مُلَاحَظَةٍ عَيْلٍ فِي الصُّدَارِ^(٨) الْمُعْضَدِ

- (١) الأوب : السحاب .
- (٢) المتقرد : هَنَاتٌ صغارٌ تكون دون السحاب لم تلتئم .
- (٣) هو لبيد بن ربيعة بن مالك أحد أصحاب المعلقات .
- (٤) تأرى بالمكان : أقام به . والتعدد : التشبيه بعيش معد بن عدنان في التفتش وغلظ المعاش . ولذلك جاء شعر لبيد غليظاً .
- (٥) كان عنتره العبسي يلقب بعنتره الفلاحاء لتشقق في شفته السفلى .
- (٦) الإهطاع في السير : السرعة في خوف . والظليم : ذكر النعام . والخفيدد كذلك . ويأتي أيضاً بمعنى السريع .
- (٧) الردن : صوت وقع السلاح بعضه على بعض . والرديني اسم من أسماء الرمح : زعموا أنه منسوب إلى امرأة سمهر وكانت تسمى ردينة . وكانا يُقَوِّمان القَسَبَا بَخطِّ هَجَرَ . والشاعر هنا نسب الردن إلى زوجة سمهر لا إلى الرمح .
- (٨) الصدار : قميص لطيف كانت تلبسه نساء العرب ، عديم الأكمام ، في أوقات الخلوة وعند التبذل . والمعضد : المخطط .

وَنَابِغَةً^(١) يُدْعَى زِيَادًا تَوَاضَعُوا
 عَلَى قَصْدِهِ فِي قُبَّةٍ مِنْ مُقَرَّمَدٍ^(٢)
 يُنَادِمُ نَعْمَانَا أَبَى اللَّعْنِ مُلْكُهُ
 وَيَنْغُضُ^(٣) فِي جِثْلٍ مِنَ الشَّعْرِ مُعْتَدٍ
 وَيُوسِقُ عِيَارًا مِنْ الْعَيْسِ صَفْنَهُ^(٤)
 فَيَمِضِي إِلَى أَهْوَائِهِ غَيْرَ مُطْرَدٍ^(٥)
 وَأَعْشَى بَصِيرَ الْقَلْبِ خَلَدَ مَهْدَدًا
 وَمَا أَحَدٌ فِي النَّاسِ يُعْنَى بِمَهْدَدٍ^(٦)

- (١) هو النابغة الذبياني واسمه زياد بن معاوية ويكنى أبا أمامة أو أبا تمامة
 (٢) كان يضرب للنابغة قبة من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض
 عليه أشعارها . وقد تصور الشاعر أن هذه القبة من آدم مقرمد أي
 مطلي بطلاء أو زعفران لعلو مكانته .
 (٣) ينغض : يتحرك . والجثل : السكت الغليظ . ومعتمد أي معد من قبل
 تقول أعتده إعتاداً أي أعدّه ليوم .
 (٤) العيار : الذي يعير أي ينفلت هاهنا وهاهنا من نشاطه . والصَّفْنُ :
 خريطة تكون للراعي فيها طعامه وما يحتاج إليه .
 (٥) تقول أطرده فهو مطرد أي أمر باخراجه .
 (٦) هو الأعشى الشاعر الجاهلي المطبوع أعشى قيس من « مشفوحة » على مسافة
 ثلاثة كيلومترات من الرياض ولا تزال آثار قصره ظاهرة فيها . أدرك النبي
 صلى الله عليه وسلم ومدحه بقصيدة صرفته قريش إبّان كفرها عن
 اتيانها بها بماتى ناقة حراء أخذها وانصرف . ومهدد جليته ، خلدها في
 شره ولولاه لما عني بها أحد .

٣٨٥ وَيَضْفِنُ^(١) فِي شَوْقٍ إِلَيْهِمْ أَخُوهُمْ
 زُهَيْرٌ^(٢) مَلِيحًا فِي قِيَامٍ وَمَقْعِدِ
 تَأَلَّهَ فِي شَعْرِ وَأَزْكَى تَعَفُّفًا
 وَلَمْ تُنْسِهِ أَوْطَارُهُ أُمَّ مَعْبِدِ^(٣)
 مَدَائِحِهِ^(٤) صِدْقٌ ، وَصِدْقٌ حَدِيثُهُ
 وَحِكْمَتُهُ فِي بَاذِخٍ^(٥) ثُمَّ مُسْنَدِ
 وَعُرْوَةُ صُغْلُوكُ الْفَلَا مَيِّدَ أَنَّهُ^(٦)
 إِذَا وَفَدَ الضَّيِّفَانُ يَعْنُو كَمَعْبِدِ^(٧)

- (١) ضَفْنٌ إِلَيْهِمْ يَضْفِنُ : أَتَاهُمْ يَجْلِسُ إِلَيْهِمْ ضَيْفًا .
- (٢) هُوَ زُهَيْرُ بْنُ أُنَى سُلَيْمَى رِبْعَةَ بْنِ رِيَّاحِ بْنِ قُرَّةَ أَحَدِ أَصْحَابِ الْمُعَلِّقَاتِ وَشَاعِرِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ جَرِيرٍ . وَأَحَدُ الثَّلَاثَةِ الْمُقَدِّمِينَ عَلَى سَائِرِ الشُّعْرَاءِ فِي رَأْيِ صَاحِبِ الْأَغَانِي ، وَشَاعِرِ الشُّعْرَاءِ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَالْمَقْعَدُ هُنَا بِمَعْنَى الْجُلُوسِ .
- (٣) تَأَلَّهَ : ذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا فِي شَعْرِهِ أَوْ آمَنَ . وَأَزْكَى : زَكَ . وَأُمُّ مَعْبِدٍ : حَبِيبَتُهُ .
- (٤) عُرِفَتْ مَدَائِحُ زُهَيْرٍ بِأَنَّهَا أَحْسَنُ الْمَدْحِ وَبِخَاصَّةٍ مَدْحِهِ لِهَرَمِ بْنِ سَنَانَ وَآلِهِ .
- (٥) الْبَاذِخُ مِنْ أَسْمَاءِ الْجِبَالِ . وَالْمُسْنَدُ هُنَا : الْمَرْتَفِعُ .
- (٦) الصَّعَالِيكُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَعْتَقَ النَّاسُ وَأَفْرَسَهُمْ وَأَكْثَرَهُمْ غَزَوْا وَرَفَدُوا . وَمَيِّدٌ أَنَّهُ : لُغَةٌ فِي بَيْدِ أَنَّهُ .
- (٧) أَعْبَدَهُ فَهُوَ مُعْبِدٌ : اتَّخَذَهُ عَبْدًا .

يَقُولُ لَهَا : لَا تَبْخُلِي بِنْتِ مُنْذِرٍ ^(١)
وَجُودِي كَمَا جَادَ الصَّعَالِيكُ وَازْهَدِي
٣٩٠ وَحَيَّ أَبَا عَمْرٍو ^(٢) الَّذِي نَالَ عَقْوَةً
لَدَى الشَّعْرِ فِي صَدْرِ الشَّبَابِ الْمُرْدِ ^(٣)
وَحَاتِمَ طَيِّ ^(٤) مَنْ بَنَى تَعْلَ لَمْ يَذَرِ
سِوَى الذِّكْرِ مِنْ إِرْثٍ قَشِيبٍ وَمُتَلِّدٍ ^(٥)
يَقُولُ : أَمَاوِيَّ ^(٦) أَقْصَرِي مِنْ مَلَامَةٍ
فَلَيْسَتْ مَحَالُ الْكَفِّ إِلَّا لِأَنْكَدِ

(١) هي صاحبة أو زوجته .

(٢) هو طرفة بن العبد البكري واسمه عمرو وكنيته أبو عمرو . أحد أصحاب المعلقة في الجاهلية . وكان شاعراً مجيداً جريئاً على الشعر . والعقوة : كاللوز والكنف .

(٣) الشباب المراد أراد به المقطوع قبل تمام العمر ، كالشرب المراد وهو المقطوع قبل تمام الرى . فطرفه مات قتيلاً في نحو العشرين أو السادسة والعشرين من عمره ، وقبل أن يبلغ الثلاثين على كل حال . ولحقته قصة معروفة في الأدب .

(٤) هو حاتم الطائي ويكنى بأبي سفيانة . واسمه هزيمة بن عبد الله . وأخباره في الجود أكثر من أن تُعْرَفَ .

(٥) المتلد من المال : المدخر من زمن قديم سابق على زمن الاتفاق .

(٦) هو اسم جاريته أو حبيبتها .

أَمَاوِيَّ إِنِّي سَاعَةَ الْغَزْوِ غَانِمٌ
 فَلَا تُفْضِلِينِي ^(١) مِنْ لِسَانٍ كَمِيزِدِ
 بَلَى وَأَمْرُؤُ الْقَيْسِ الَّذِي جَزَّ فَحَلَهُ
 وَصَافَ الْعَذَارَى بِالسَّدِيفِ ^(٢) الْمُرْمَدِ

٣٩٥ وَبِالْخَائِلِ ^(٣) الضَّبَّاحِ فَيَدَّ لِلْهَوَى
 عَلَى نَسَبٍ مِنْ مَوْرَقِ الْعُرْبِ أَقْعَدِ ^(٤)
 يَقُولُ: قِفَا ^(٥) تَبْكُ الْحَبِيبَ وَمَنْزِلًا
 بِسِقْطِ الْاَلَوَى ، إِنَّ الْهَوَى فِي التَّمَهْدِ ..

(١) أعضلني فلان : أعياني أمره .

(٢) صاف العذارى : نزل علمن ضيفاً . والسديف : شحم السنام .
 والمترمد : الذي أسيء عمله ولم ينضج أو لطخ برماد النار . يشير
 الشاعر إلى قصة : فظلَّ العذارى يرتمين بلحمها .

(٣) الخائل : واحد الخيل في رأى بعض أهل اللسان لأنه يختال . وكان
 امرؤ القيس فارساً وهو أبلغ من وصف الخيل . والضباح : الذي
 يُسمع من فمه صوت ليس بالصهيل ولا بالخممة ، أو الذي يعدو
 دون التقريب . وقيد . تبخر .

(٤) النسب الآقعد : القريب الآباء من الجد الأكبر .

(٥) يعد امرؤ القيس في رأى جمهور الأدباء أول من استوقف الصبح
 لبكاء الديار . وهو لما استحسنته العرب ونهجت على منواله . والسقط
 منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه . والوى حيث يلتوى ويدق .

نَجَابَةُ شَعْرِ تَبَنَّتْ^(١) فِي حَيَاتِنَا

وَأَوْسَعَتِ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ مُقَيَّدٍ

وَمَا تَرَحَّتْ^(٢) إِلَّا وَلِلْمُزْنِ أَدْمَعُ

وَمَا رُعِدَتْ إِلَّا لِأَصْدَاءِ مُرْعَدٍ

وَكَانَتْ تِرَاسًا^(٣) مِنْ بَيَانٍ وَجَنَّةٍ

لِشَوْطٍ عَلَى مَرٍّ الْجَدِيدَيْنِ^(٤) مُجْهَدٍ

... ٤ وَإِذْ نَبَرُوا سَبْعًا عَلَى الْبَيْتِ إِمَّةً^(٥)

حَسَانًا وَقَدْ رَفَرَفْنَ مِنْ فَوْقِ بُرْجِدٍ^(٦)

هَدَيْنَ كَتَوْرَاةٍ^(٧) مِنَ الشَّعْرِ فَوْقَهُ

وَمَسْنَنَ عَلَى أَعْطَافِهِ مَيْسَ أَغْيَدٍ

(١) تبنت : أدقت النظر .

(٢) ترحت : حزنت .

(٣) تراس : جمع ترس . والجنة : ما استترت به من سلاح والسترة .

(٤) الجديدان : الليل والنهار . والمراد بالشوط شوط اللغة العربية الذي قطعه من عصرها الجاهلي إلى العصر الحاضر .

(٥) نبرو : رفعوا . والسبع : المعلقات السبع . وإممة أى نعمة .

(٦) البرجيد كساء مخطط . أراد كسوة الكعبة .

(٧) التوراة هنا بالمعنى الذى قصد إليه الفراء ، وهو أنها من ورى الزند فكأنها الضياء

أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الشَّعْرَ غَيْثٌ وَرُودُهُ
وَلَيْسَ يَجُودُ الشَّعْرُ إِلَّا لِأَسْعَدِ
وَقَدْ جَوَّدُوهَا فِي قَصِيدٍ مُخَلَّدٍ
فَهَلْ عَجَبٌ أَنْ تُجْتَبَى عِنْدَ مَسْجِدٍ^(١) ؟

لِلْبَيْتِ رَبِّ يَحْمِيهِ

مَدَحْتُ عَتِيقًا مُعْتَقًا مِنْ جَبَايِرٍ
وَمِنْ كُلِّ جَارُودٍ^(٢) مِنَ النَّاسِ أَجْعَدِ

٤٠٥ يُجَنِّدُ مَنْ يَسْمَى إِلَيْهِ بِرِيَّةٍ
وَيَصْبِرُهُ^(٣) فِي ذِلَّةٍ كَالْمَقْعَدِ

وَلَوْ أَنَّ عِرْدَادًا^(٤) مِنَ الْكُفْرِ جَاءَهُ
لَكَانَ لَدَى أَعْتَابِهِ مِثْلَ جُدْجُدِ

(١) المسجد بكسر الجيم وفتحها : مكان السجود ومكان الصلاة ،

(٢) الجارود : المشثوم .

(٣) يصبره : يحبسّه . والمقعد : الذئب الذي قُشِبَ له فصيد وأخذ ريشه .

(٤) العِرْدَاد : الفيل . والجُدْجُد : طَوَيْنِسٌ شبه الجراد .

أَشَدُّ^(١) لَقَدْ كَانَ الْإِلَهُ نَصِيرُهُ
وَبَكَّةٌ بَكَتَ^(٢) كُلَّ قَاتٍ وَقِسْوَدٍ
وَمَا مِنْ رِجَامٍ^(٣) نَالَ مِنْهَا مَنَالَهُ
وَلَا تُرْهَاتُ أَوْ صَغَارُ^(٤) لِمُقْنِدٍ^(٥)
فَكَمْ خَالَ بُورٍ^(٥) أَنَّهُ قَدْ أَبَارَهَا
فَبَاءَ بِسَمِّهِمْ مِنْ يَدِ اللَّهِ مُقْصِدٍ^(٦)
٤١٠ وَبَاقِعَةٍ^(٧) فَادَتْ وَكَانَتْ تَرْمُومَهَا
فَابَ عَتِيقٌ مِنْ وَبَالٍ بِأَسْمَدٍ

(١) أَشَدُّ هُنَا بِمَعْنَى أَشْهَدُ .

(٢) بَكَتَ (لَلْعَنَ) : دَقَّتْ . وَمِنْهُ بَكَّةٌ لَدَقَّهَا أَعْنَاقُ الْجَبَابِرَةِ فِي قَوْلٍ مِنْ جُمْلَةِ الْأَقْوَالِ . وَالْقِسْوَدُ أَصْلُهَا الْقِسْوَدُ وَهُوَ الْغَلِيظُ الرَّقْبَةُ الْقَوَى . خَفَفَتْ لِلضَّرُورَةِ .

(٣) الرِّجَامُ : الْمَرَاةُ وَالْمَرَامَةُ بِالْخُصُومَةِ وَالْقِتَالِ .

(٤) الْمُقْنِدُ : الْمَكْدُوبُ .

(٥) الْبُورُ : الرَّجُلُ الْفَاسِدُ الْهَالِكُ وَالَّذِي لَا يُرْجَى مِنْهُ خَيْرٌ .

(٦) السَّهْمُ الْمُقْصَدُ : الَّذِي يُصِيبُ فَيَقْتُلُ مَكَانَهُ . وَعَنْ الْمُشْرِفِ أَنَّ ثَلَاثَةَ غَيْرِ

أَبْرَهَةَ قَصَدُوا بِمَكَّةَ الْأَذَى وَأَرَادُوا هَدْمَ بَيْتِ اللَّهِ ، إِثْنَانِ قَاتِلَتُهُمَا

خِزَاعَةٌ وَمَنْعَتُهُمَا ، وَالثَّالِثُ كَانَ فِي أَوَّلِ زَمَانِ قَرِيْشٍ وَهُوَ فِي بَعْضِ

الرِّوَايَاتِ تَبَعَ الْأَوَّلِ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّاعِرُ فِيمَا يَلِي مِنَ الْآيَاتِ .

(٧) الْبَاقِعَةُ : الدَّاهِيَةُ . وَفَادَتْ أَيْ مَاتَتْ وَهَلَكَتْ .

وَمُلْكٍ شَدِيدٍ - عَمْرُكَ اللَّهُ^(١) - بَطْشُهُ
 تَهَاوَى إِلَى دَرْكِ مَنِ الذَّلُّ مُرْمِدٌ^(٢)
 فَإِنَّ لِبَيْتِ اللَّهِ فِي النَّاسِ هَيْبَةً
 تَنَاهَتْ إِلَيْهَا هَيْبَةُ الْمُتَعَبِّدِ
 وَإِنَّ لِرَبِّ الْبَيْتِ صَوْنًا لِبَيْتِهِ
 وَعِزًّا ، وَمَنْ يَسْتَدِينُ لَدَيْهِ يُسَوِّدُ
 تَقْيِيدٌ^(٣) مَالًا يُتَّبَعُ كَانَ قَصْرُهُ
 وَلِلْمَالِ نَزْغٌ فِي يَدِ الْمُتَقَيِّدِ
 ٤١٥ وَفِي طَرَفٍ^(٤) أَرْخَى عِنَانًا لِنَفْسِهِ
 وَمَنْ يَمْشِ فِي سُبُلِ الْغَوَايَةِ يُفْقِدُ
 مَضِلَّةً نَفْسَ نَابِهَا الْكُفْرُ دُخْلًا^(٥)
 وَمَعَرَّهَا إِبْلِيسُ نَارًا عِفَادٌ^(٦)

(١) عَمْرُكَ اللَّهُ : دعاء للمخاطب ، ومعناها سألتُ الله تعميرك .

(٢) مُرْمِدٌ . مفتقر محيل هالكة أنعامه .

(٣) تَقْيِيدٌ مَالًا : اقتناه . وكان قصره أى كان هذا المال قصاره وجهده
 وغايته . وتبع هذا هو تبع الأول في بعض الروايات ، وكان ما كان
 منه في حال كفره .

(٤) الطَّرَفُ : الطرف .

(٥) الدُّخْلُ : المتداخل والخاصة .

(٦) الْعِفَادُ : خشبة يحرك بها الثُّور .

فَقَالَ : لَمَّاذَا الْحَبُّ فِي بَيْتِ مَكَّةَ
 وَتُقَرَّدُ بِكَ بِالْقَبِيلِ الْمُقْتَرِدِ ^(١) !
 وَكَثَّفَ جَيْشًا لَمْ تَرَ السَّى ^(٢) مِثْلَهُ
 وَسَارَ بِحَرْدٍ ^(٣) السَّمْهَرِيِّ الْمُقْصَدِ
 وَفِي يَدِهِ ، يَا وَيْلَهُ مِنْ مُخَانَةِ ^(٤)
 تُغْدُ وَسِيجًا ، صَوْلَجَانُ كَمَقْلَدِ ^(٥) !
 ٤٢٠ إِذَا غَرَّ مَرَّةً لَمْ تَسْفُهُ غُرُورُهُ ^(٦)
 وَثَوَّبَ ^(٧) مِنْ طُغْيَانِهِ بِالتَّفْنُدِ
 غَطَا ^(٨) اللَّيْلُ أَمَّا قَارِبَ الْبَيْتِ تَبَعُ
 وَخَرَّ ^(٩) بِأَنْفٍ فَاحِمِ الْجِزْمِ مُقْعَدِ

(١) المقترد : الكثير الغنم والسخال أو كثير قماش البيت كناية عن الغنى .

(٢) السَّى : الفلاة .

(٣) الحرد : القصد . والسهمري المقصّد : الرمح الصلب المستقيم الذي لا ينثني :

(٤) المخانة : الخيانة .

(٥) تغد : تسرع . والوسيج : سير سريع للإبل . والمقلد في هذا الموضع

عصى في رأسها اعوجاج . (٦) الغرور : الدنيا ،

(٧) ثوب كذاب : رجع . والتفند : التندم .

(٨) غطا الليل : سترت ظلمته كل شيء .

(٩) خرَّ عند النوم : صدرت عنه خرخرة وهي صوت النائم في حالة النوم

العميق . والأنف المقعد : الذي في منخريه سعة . وذلك أن تبعاً
 وجيشه حصلت لهم عند ما زحفوا إلى البيت ظلمة شديدة .

وَهَبَتْ رِيَّاحٌ تَحْسَبُ الْجِنَّ فَوْقَهَا
سَمَاءً .. وَسَالَتْ بِالرَّدَى الْمُتَفَصِّدِ^(١)
فَرَيْسٌ^(٢) لَدَيْهَا كُلُّ حَيٍّ وَجَلَمَدٍ
وَمُنْقَذِفٌ فِي هُوَّةٍ كَالْمَلْهَدِ^(٣)
فَكَتَعَتْ^(٤) الْأَطْرَافَ مِنْ جَيْشٍ تَبَعَ
وَحَرَ صَرِيحاً قَائِدٌ بَعْدَ قُوْدٍ
٤٢٥ وَكَانَتْ رَنُونَاةٌ^(٥) رُفَاعَةٌ تَبَعَ
بَعْرَشٍ مِنَ النَّضْرِ^(٦) الْيَمَانِيُّ مُسْنَدٍ
صَدَاثُرُهُ^(٧) مِنْ جَوْهَرٍ عَزَّ سِيُهُ
تَأَلَّقَ مِنْهَا فِي الدُّجَى عِزُّ قَنَدِدِ^(٨)

(١) المتفصد : السائل الجارى .

(٢) فريس : قتيل .

(٣) الملهد : المدفوع بجمع الكف .

(٤) كتعت : قطعت .

(٥) رنوناة : معجبة تروق للناظرين . والرفاعة كالرفاعة بمعنى العلو .

(٦) النضر : الذهب . ومسند أى مسنود بدعائم .

(٧) صداثره : أعاليه ومقاده . وسيه أى مثله وشبهه .

(٨) القنديد : حال الرجل حسنة أو سيئة .

فَأَبْسَلَهُ^(١) دَائِمٌ يَشْجُ صَدِيدُهُ

كَمَا نَجَّ قَيْحٌ مِنْ بَعِيرٍ مُعَبَّدٍ^(٢)

وَلَمْ يَدْرِ طَبُّ مَا بِهِ مِنْ رَزِيئَةٍ

وَيَا وَيْلَ سَقَمٍ مِنْ طَيْبٍ مُقَرَّدٍ^(٣) ..

فَأَبَّ إِلَى حَبْرٍ عَلِيمٍ مُجَرَّسٍ^(٤)

وَقَالَ لَهُ : هَلْ فِيكَ بُرْنٌ مُقْصَدٍ^(٥) ؟

٤٣٠ فَقَالَ لَهُ الْحَبْرُ الْيَمَانِيُّ : إِنَّهَا

رَوَادِعُ يَنْتِ كَالشَّهَابِ الْمَكْبَدِ^(٦)

أَنَاسَكَ^(٧) مِنْهَا مَا هَمَّتْ بِفَعْلِهِ

فَتُبَّ أَمَقًّا مِنْ جُرْأَةِ الْمُتَعَمِّدِ

(١) أَبْسَلَهُ : أَسْلَمَهُ لِلْهَلَاكَةِ . وَشَجَّ : يَسِيلُ .

(٢) الْبَعِيرُ الْمُعَبَّدُ : الْمَطْلِيُّ بِالْقَطْرَانِ لَجَرَبِ أَصَابِهِ فَأَذْهَبَ وَبَرَهُ .

(٣) مُقَرَّدٌ : سَاكِتٌ عَيْيَا .

(٤) مُجَرَّسٌ : مُجَرَّبٌ مُنْجَذٌ .

(٥) الْمُقْصَدُ : الَّذِي يَمْرُضُ وَيَمُوتُ سَرِيعًا .

(٦) كَبَدَ الشَّهَابُ فَهُوَ مَكْبَدٌ : صَارَ فِي كَيْدَاءِ السَّمَاءِ .

(٧) أَنَاسَكَ : ذَبَذَكَ .

وَعَظَّمَ مَنَارَ اللَّهِ تَبَرُّاً وَتَذَكُّراً

بِخَيْرٍ وَإِلَّا ظَلَمْتُ^(١) كَالهَالِكِ الرَّدِيِّ!

وَحَسَّانَ^(٢) فَاذْكُرْ عِنْدَمَا قَادَ حَمِيرًا

وَسَارَ مُغْذًا بِالْجَوَادِ الْمُقَلَّدِ^(٣)

يُرِيدُ حِجَارَ الْبَيْتِ أَسَا لِكَعْبَةِ

يُشَيِّدُهَا ... يَا وَيْحَهُ مِنْ مُقَنَّدٍ^(٤)!

٤٣٥ وَيَزْمَعُ صَرْفَ الْحِجِّ عَنْ بَيْتِ مَسَكَّةٍ

إِلَى دَدَنْ^(٥) فِي سُقْعِهِ الْغُسُّ مُقَنَّعِدٍ

(١) ظَلَمْتُ لَغَةً فِي ظَلَمْتُ . وَتَقُولُ الْقِصَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ تَبَعًا تَابَ عَنْ فَعْلِهِ

وَنَوَى أَنْ يَكْسُو الْبَيْتَ وَيَنْحَرَّ عَنْهُ ، فَبَرَأَ مِنْ دَائِهِ وَانْجَلَّتِ الظَّالِمَةُ .

(٢) هُوَ حَسَّانُ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ مِنَ الْيَمَنِ .

(٣) الْجَوَادُ الْمُقَلَّدُ : السَّابِقُ مِنَ الْخَيْلِ .

(٤) الْمُقَنَّدُ : الْمَكْذُوبُ وَالْمُخَطَّأُ الرَّأْيُ .

(٥) الدَّدَنْ : اللَّعِبُ . أَرَادَ بَيْتَ حَسَّانَ الَّذِي أَزْمَعُ تَشْيِيدَهُ . وَالسُّقْعُ :

السُّقْعُ . وَالْغُسُّ : الضَّعِيفُ أَوِ اللَّيْمُ . وَمُقَنَّعِدٌ هُنَا بِمَعْنَى قَائِمٌ مُتَّصِبٌ .

فَلَمَّا دَنَا مِنْ بَرْقَةٍ ^(١) عِنْدَ « نَخْلَةٍ »
 وَفِيهَا شَجِيرٌ ^(٢) مِنْ نَخِيلٍ وَأَقْتَدِ
 تَلَقَّاهُ فَهَرَّةٌ وَالْقَبَائِلُ حَوْلَهُ
 كَقِنَّةٍ إِعْجَازٍ عَلَى رَأْسِ أَقْوَدٍ ^(٣)
 وَفِي سَرَعَانٍ ^(٤) الْخَيْلُ أَبْدَالُ أُمَّةٍ
 مَتَى يَرَهُمْ بَرَكَ الْفَوَارِسِ يَرَعْدُ ^(٥) ..
 سَهَامٌ ^(٦) إِذَا جَاشُوا ، مَرَى لِقَاؤُهُمْ
 تُودَّبُ أَسْيَافُهُمْ كُلُّ قَهْمَدٍ ^(٧) !

-
- (١) البرقة : كل غليظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة . ونخلة الشامية
 واليمانية وأديان على ليلة من مكة شرفها الله تعالى .
 (٢) الوادي الأشجر والشجير : الكثير الشجر . والاقْتَدِ : جمع القِتَادِ
 وهو شجر صلب له شوك كالإبر .
 (٣) الأقود : الجبل الطويل . شبه وقفة فهر من أجداد النبي صلى الله عليه
 وسلم على رأس جيشه من قبائل العرب بقمة معجزة في ارتفاعها قائمة
 على رأس جبل طويل .
 (٤) سرعان الخيل : أوائلها . والأبدال : قوم من الصالحين لا تخلوا الدنيا
 منهم ، إذا مات أحدهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر .
 (٥) البركُ : الصدر . ويرعد من الرعدة .
 (٦) السهام : حرّ السموم ووهج الصيف . والمسرى : ذو المروءة .
 (٧) القهمد : اللّحم الأصل والدنى :

٤٤٠ فَسَاقُوا بِقَدِّ الْأَسْرِ حَسَّانَ حَمِيرٍ
وَحَمِيرٌ ذَاقَتْ ثُمَّ ذُلَّ الْمَكَدُّ^(١)
ثَلَاثَ سِنِينَ ظَلَمًا فِي إِسَارِهِ
كَمَا صِيدَ مِنْ أَمْوَاهِهِ حُوتٌ كَنَعْدِ^(٢)
فَلَمَّا اقْتَدَى بِالْمَالِ نَفْسًا أَثِيمَةً
قَضَى النَّحْبَ فِي مَرْتٍ^(٣) مِنَ الْبَيْدِ أَرْبَدٍ
وَفَهْرٌ غَدَا صِيَابَةً^(٤) الْمَرْبِ عَامَهُ
يُهْلُ^(٥) عَلَى جَوْنٍ سَنَى الْمُقْلَدِ

وَإِذْ شَنَزَتْ^(٦) لِلْبَيْتِ بِاللَّهِ حُرْمَةً
وَحُصِّنَ بِالْأَبْطَالِ مِنْ كُلِّ مَفْتَدٍ

(١) المكدد : المطرود طرداً شديداً .

(٢) الكنعدي : سمك بحري .

(٣) المرت : الأرض ليس فيها شيء من الثبت : والأربد : الذي لونه كالرماد فإن حسناً مات في طريق العودة بين مكة واليمن .

(٤) الصيابة : السيّد .

(٥) يهْلُ : يرفع صوته بالتكبير والحمد لله . والجون : الادهم من الخيل أو الأبيض والمقلد : موضع نجاد السيف على المنكبين .

(٦) شَنَزَتْ : ارتفعت وعلت .

٤٤٥ إِلَى غَطَفَانَ أَنْحَاَزَ إِبْلِيسُ آيسًا

يُضِلُّ لَدَيْهَا قَيْدًا بَعْدَ قَيْدٍ^(١)

رَأَى ظَالِمٌ أَنَّ الْحَجِيجَ بِمَكَّةَ

أَظَلَّ قَرِيضًا فِي نَعِيمٍ مُقَعَّدٍ^(٢)

فَقَاسَ علُوَ الْبَيْتِ فِي ذَاتِ لَيْلَةٍ

وَجُدْرَانُهُ تَحْتَ الْكِسَاءِ الْمُعَمَّدِ^(٣)

وَأَعْتَدَ جَهْلًا مَرُوتَيْنِ^(٤) مِنْ الصَّفَا

وَمَرُوتَةٍ فِي دَفٍّ^(٥) الْهَيَامِ الْمَسْكَدِ

وَعَادَ إِلَى قَوْمٍ كَسِيدٍ^(٦) خَلَاقَهُمْ

عَلَى ظَهْرٍ وَثَابٍ مِنَ الْعَيْسِ مُلْبَدٍ^(٧)

(١) القَيْدُ من الناس من ساهلك إذا قدسه .

(٢) هو ظالم بن أسعد الغطفاني . وقَعْدَهُ فهو مُقَعَّد : كفاه الكسب والسعي وراء الرزق .

(٣) الكساء المعمد : الذي به خطوط تشبه العمود .

(٤) المروءة : واحدة المروء وهي حجارة بيض براقة تقدح منها النار . وبها سميت المروءة بمكة .

(٥) الدف من كل شيء : صفحته وجنبه . والهيام : مالا يتناسك من الرمل ويسيل من اليد للينه . والمسكد : المجموع بعضه على بعض .

(٦) كسيد : دون . والخلاق : النصيب الوافر من الخير .

(٧) الملبد هنا : البعير الضارب نخذه به بذنبه .

٤٥٠. كَأَن بِهِ مَسًا يُكَارِدُ^(١) عَقْلَهُ
 وَيَرْكَبُ رَأْسًا رُكِبَتْ فَوْقَ أَقْمَدِ^(٢)
 فَشَيْدَ « بُسًا »^(٣) كَعْبَةً فِي دِيَارِهِ
 وَزَيْنَهُ لِلْحَجِّ نَيْتًا كَمَصِيدِ^(٤) ..
 وَأَرْسَى مِنَ الْأَحْجَارِ مَرْوَةَ وَالصِّفَا
 وَقَالَ : أَلَا فَاسْمَعُوا بِخَطْوِ مُقْرَمَدِ^(٥) !
 عَيَّ هُوَ الْإِنْسَانُ إِنْ كَانَ أَخْدَبًا^(٦)
 وَيُصْدِرُ عَنْ رَأْيٍ مِنَ الشَّرِّ مُحْصَدِ^(٧)

- (١) يكارد : يطارد ويدافع .
 (٢) الأقمد : الطويل أو الضخم العنق في طول .
 (٣) بس هو البيت الذي بناه ظالم بن أسعد لقطعان ليسكون لهم بمثابة
 الكعبة . بناه فوق شجرة هناك تدعى العُرْزَى ، وكان حتى غطفان يسمعون لها
 صوتاً لعله من أثر الرياح فيها . وقد جدد بناء هذا البيت المزعوم فيما
 بعد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إليه خالد بن الوليد فهدمه
 وأحرق الشجرة .
 (٤) المصيد كالمصيدة : ما يصاد به .
 (٥) الخطو المقرمد : المتقارب . قرمد خطوه وقرمطه : قاربه . فإن ظالماً
 لما بنى بيته وضع الحجيرين اللذين أتى بهما من مكة وقال : هذان الصفا
 والمروة . . وأمر قومه أن يجتزئوا ببس عن الحج
 (٦) الأخدب : الذي يركب رأسه شططاً .
 (٧) محصد الرى : سديده .

عَلَا « بُسُّ » أَحْجَارًا ، وَأَهْبَطَ كَعْبَةً
 وَلَمْ يَكُ فِي دَرْكِ الشُّفُولِ بِمُحَمَّدٍ ^(١)
 ٤٥٥ وَحُرْمَتُهُ زَالَتْ كَمَا زَالَ هَوْزُنْ ^(٢)
 تَجَمَّعَ فِي آفَاقِهِ كَالْمَقْوَدِ ^(٣)
 وَمَارَتْ ^(٤) دِمَاءُهُ عِنْدَهُ لِفَوَارِسِ
 وَجُدَلْ أَجْدَاثِ الرَّدَى الْمُتَقَدِّدِ ^(٥)
 بِسَيْفِ زُهَيْرٍ ^(٦) يُبْرِقُ التَّلَوُّ بَعْدَهُ
 وَأَيَّدَ لَهَا فِي الرَّوْعِ مِرَّةً مُلْبِدٍ ^(٧)
 وَظَالِمُ ذَاقَ الْمَوْتَ مُمَسَّاهُ عَلَقَمًا
 وَدَيْسَ بِأَفْرَاسِ الْمَغِيرِ الْمَكْرَبِ ^(٨)

-
- (١) أحمد فهو محمد : صار أمره إلى الحمد ، أو فعل ما يحمد عليه . والشُّفُول
 تقيض العلو .
 (٢) الهوزن : الغبار .
 (٣) المقود : الحبل الطويل .
 (٤) مارت الدماء : جرت .
 (٥) المتقدد : المقطوع قطعاً مستأصلاً أو مستطيلاً أو المشقوق طويلاً .
 (٦) هو زهير بن جباب الكلبي الذي انبرى لقتال ظالمٍ وهدم بنيانه . والتلو :
 الذي يتلو أي يحى بعد .
 (٧) المرة : القوة وشدة العقل . والملبد هنا : الأسد .
 (٨) كربد في عدوه فهو مكربد : جدد فيه .

وَعَادَتْ حِجَاراً كَغَبَةِ الْكُفْرِ وَالْغَمَى ^(١)
تَنَازَرَ إِيْذَانَا بِمَهْلِكٍ مُلْحِدٍ

٤٦٠ أَفَى نُهْزَةٍ ^(٢) الْأَيَّامِ يَا كَغَبَةَ الْهُدَى
تُعَانِينَ فَنَدَا جَائِئاً مِنْ تَكْوُودٍ ^(٣) !
وَكَيْفَ فَدَنَّاكَ النَّفْسُ لَمْ تَبْرَحِي الْحَمَى ؟
لَقَدْ زَحَفَتْ فِي الْوُخْشِ ^(٤) أَجْنَادُ حَرَمَدٍ
ذُنَابٌ مِنَ الْحُبْشِ الدَّهَاقِينِ ^(٥) أَقْبَلُوا
تُصَاحِبُهُمْ أَفْيَالُ غَابٍ مُلَبِّدٍ

(١) الغمى : السقف أو ما فوقه من التراب وغيره .

(٢) النهزة : الفرصة .

(٣) التكوود بالكسر ويفتح : الجبل العظيم أو قطعة منه طولا . والتكوود : المشقة والمكابدة .

(٤) الوخش من الناس : رذالتهم . والحرمد : الطين الأسود والمتغير اللون والرائحة . وعين محرمدة أى كثيرة الحماة . تمييزاً لبلاد الحبشة التى يتكاثر فيها المطر فيجعل الأرض طينة مائعة .

(٥) الدهاقين : الرؤوس فى قبائلهم .

أَبَوَا حَسَدًا أَنْ تَظْفَرَ الْعَرَبُ دُونَهُمْ
 بِسُلْطَانٍ بَيَّتَ لَمْ يَزَلْ فِي تَأْسُدٍ ^(١)
 وَأَنَّ لَهُمْ بَيْتًا أَقَامُوا مِنْهُ مَنَسَكًا ^(٢)
 وَخَبَلًا ^(٣) - وَمَنْ يَكْشَحْ لِمَكَّةَ يُطْرَدِ
 ٤٥٥ أَسْأَلُوا لَهُ نَصْرًا ^(٤) وَصَاغُوا هَيَاكِلًا
 وَلَمْ يَذَرُوا مِنْ شَيْقٍ أَوْ مُنْضَدٍ

(١) تأسد فهو متأسد : جرى كالأسد . ومنه التأسد . والواقع أن حملة
 أبرهة وجنوده على مكة بقصد سحق الإيمان وهدم الكعبة لم تكن
 إلا بدافع الحسد . فإن الأحباش كانوا مسيحيين . والمسيحية تأمر
 بالتسامح وعدم الاعتداء . والعرب لم يعتدوا على الحبشة ولا على أياها
 اليمنية . وإذا كان أعرابي قد أحدث في كنيس الحبشة باليمن فإن ذلك
 لا يحمل ملكا عاقلا على شن حرب شعواء على كعبة الله ، لأنها ليست
 للعرب وحدهم بل للناس كافة . ثم إن بناء كنيسة أو مكان للعبادة في
 أعمال اليمن لا يستلزم هدم ما عداه من أمكنة العبادة . ولكن الذي
 حدث هو أن كنيسة الحبشة — وتدعى أنقليس — لم يحج إليها أحد
 من العرب بل ظلوا يحجون إلى البيت العتيق . فكبر على النجاشي هذا
 الأمر وأخذته العزة باللائم . فأصدر أمره إلى أعوانه بتجريد حملة ساحقة
 على بيت الله الحرام . فحققه الله وجنوده وجعلهم كعصف ما كول .
 (٢) أي والحال أن لهم بيتاً . والمنسك : الموضع الذي تدبح فيه النسائت
 وهي القربان إلى الله .

(٣) الخبل : الفساد . ومن يكشح أي يضمر العداوة .

(٤) النضر الذهب .

فَكَزَّ^(١) وَمِنْ شَأْنِ الْقُسُوطِ كَزَاةٌ
وِظَلٌّ بِتَجْرِيدِ الْوَرَى فِي تَجْرُدٍ^(٢)
وَفِي شَطَطِ آلِ النَّجَاشِيِّ قَوْمَهُ
فَأَكْدُوا كَرْزِعَ خَائِبِ الشَّطِّ مُحْصَدٍ^(٣)
وَأَمَّا رَأْيُ بَيْتَا بَيْكَةِ نَاهِيَا
يُيْلِحُ وَيُولِي صَرْفَهُ^(٤) كُلُّ مُهْتَدٍ
أَعَدَّ لَهُ هَذَا الْخَمِيسُ^(٥) الَّذِي مَشَى
إِلَى مَكَّةَ فِي جَنَّةٍ مِنْ تَصَدُّدٍ^(٦)

-
- (١) كَزَّ: انقبض . والقُسُوط: الجور والعدول عن الحق .
(٢) أى وظلّ برغم تجريده الناس من جانب كبير من أموالهم في سبيل
بنائه وتزيينه ، عارياً . . وهذا دائماً شأن المال إذا كان مصدره
الاجتصاب والقهر .
(٣) آل: ساس ،
(٤) أكّدوا: قل خيرهم . وشطّه الزرع: فراخه وسنبله ، ومحصد أى
جفّ وهو قائم .
(٥) الصّرف: التوبة . يقال لا يُقبل منه صرف ولا عدل .
(٦) الخميس: الجيش .
(٧) التصدّد: التعرض . وتبدل الدال ياءً فيقال التصدى .

٤٧٠ يُخَبِّلُهُمْ مَا جَيَّشُوا فِي غِيُولِهِمْ^(١)

وَمَا حَسِبُوهُ يَقْهَرُ الْمَرْبَ عَنْ يَدِ^(٢)

فَمِنْ كُلِّ سَيْفٍ وَمِنْ كُلِّ رَامِيحٍ

وَمِنْ كُلِّ تَرَّاسٍ طُوَالٍ جَلَحَمِدِ^(٣)

وَجُنْدٍ كَسِيلِ الْمَوْتِ يَمْشِي مُزْنِلاً

مَفَاوِزَ لَمْ تَظْفَرْ بِجُنْدٍ مُجَنَّدِ

وَجَاءُوا بِصَاقُورٍ وَرَبَقٍ^(٤) وَأَفْؤُسٍ

وَأَلْفِ كِرَازِينَ^(٥) بِحَدِّ مُحَدَّدِ

وَقَامُوا لَدَى مَوْقُودَةٍ^(٦) فِي فِنَائِهِمْ

فَطَلُّوا دَمًا لِلْبَيْتِ طَلَّ الْجَلَنْدَدِ^(٧)

(١) الغيل وجمعه غيول : الأجمة . ومن المعلوم أن بلاد الحبشة تكثر فيها الغابات الكثيفة .

(٢) أى عن قدرة عليهم وغلبة . واليد : القوة .

(٣) طوال : لغة في طويل . والجلحمد : الغليظ .

(٤) الصاقور فأس عظيمة لها رأس تسكر بها الحجارة . والربق : جبل فيه عدة عرا تشد به السهم .

(٥) الكرازين . نوع من الفؤوس الكبيرة لحطم الصخور . ومحدد أى مجعول حاداً وقاطعاً .

(٦) موقودة : مضروبة حتى استرخت . والمقصود أنهم توعدوا البيت في

كنيستهم أمام مطرقة من تماثيلهم أو قربان من قراينهم قُتل ضرباً .

(٧) الجландد : الفاجر الذى لا يرفع ذمة ولا عهداً .

٤٧٥ وَجَاشُوا كَمَا جَاشَتْ بَحَارُهُ وَصَرَصَرُ

وَقَدْ حَرَكَوا الْأَحْقَافَ مِنْ كُلِّ حُنْجِدٍ^(١)

وَسَالُوا عَلَى الْوُدْيَانِ وَالْمَوْتُ دُونَهُمْ

مَهُوبٌ كَدُخٍّ^(٢) حَانِكِ الْجَوِّ مُصْعِدِ

بَابِرْهَةِ الْجِبَارِ تَهْتَرُ تَحْتَهُ

مَوَاطِيءُ أَقْدَامِ لِفِيلٍ مُمَرِّدِ

يَسِيرُ كَأَنَّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْضِ مُلْكِهِ

وَيَحْمِلُ جُثْمَانًا كَبِيرًا مُشِيدًا

وَنَادَى مُنَادِي الْجَيْشِ : هَاتُوا عَمِيدَكُمْ

إِذَا كَانَ فِيكُمْ مِنْ عَمِيدٍ قَفَقَدَدٍ^(٣)

٤٨٠ فَجَاوَبَ : مَرَحَى شَيْبَةَ الْحَمْدِ^(٤) إِنِّي

كَبِيرُهُمْ وَالْبَيْتُ مِنْ بَعْضِ مُحْتَدِي

(١) حَرَكَوا مثل حرَّ كوا . والأحْقَاف : جمع حَقْف وهو ما اعوجَّ من

الرمل . والحُنْجِد : الجبل الطويل من الرمل .

(٢) الدخ : الدُّخَانُ وحانِك : حالك . ومصعد : منحدر أو سائر في الأرض .

(٣) القفقدد : الرجل القصير القامة . أرادوا الإهانة والتحقير .

(٤) هي كسنية عبد المطلب جد نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، لكثرة

حمد الناس له أو لأنه وُلِدَ في رأسه شَيْبَةٌ .

وَلِي طَلَبٌ فِيكُمْ : أَيَّلُ^(١) أَصْبَحُوا
فَخَلُّوا أَيَّلِي إِيَّاهَا جُلُّ أَهْنَدِي^(٢)
وَدُونَكُمْ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ فَإِنَّهُ
سَيَمْنَعُهُ إِنْ شَاءَ رَبُّ التَّقَرُّدِ !

عَجِيتُ لِفِيلٍ كَالْمَلَلَةِ^(٣) ضَخَامَةً
يَخِرُّ لَمَرَّأَى عَامِرٍ كَالْفَرَشِيدِ^(٤)

- (١) أيَّل : جمع إبل . فان جنود أبرهة كانوا أصابوا فيما أصابوا بحرم مكة وما حولها مائتي بعير لعبد المطلب .
- (٢) أهند : جمع هند وهو اسم للباثة من الإبل كهنييدة . أو لما فوقها ودونها ، أو للباثتين . (٣) العلاة : الصخرة العظيمة .
- (٤) عامر كما أسلفنا : اسم آخر لعبد المطلب ، والمفرشد : المباعد ما بين رجله . فإن أبرهة أمر سائس الفيلة أن يحضر فيله الأعظم - ويدعى محموداً - بين يديه ليذهب عبد المطلب ، فلما نظر الفيل إلى عبد المطلب بكى بكاءً يبرك البعير وخر ساجداً . وكان أبرهة قبل ذلك أرسل رجلاً من قومه إلى أهل مكة ليدخل الرعب في قلوبهم ، فلما دخل مكة ورأى عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشياً عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه . فلما أفاق خر ساجداً لعبد المطلب وقال : أشهد أنك سيد قريش حقاً . وكان هذا الرسول قد قال له أبرهة : أسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم . فان هو لم يرد حرباً فأتني به . فدخل فسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم =

وَمَسِيدُهُ الْإِنْسَانُ يَنْهَكَ حُمْسَهُ^(١)

يَجِيشُ وَمَالٍ يُذْهِبُ اللَّبَّ لُبْدٍ^(٢)...

٤٨٥ أَقَالَ لَهُمْ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكُفَّةٍ

بَنَاهَا خَلِيلُ اللَّهِ فِي ظِلِّ صُخْرٍ^(٣) !

فَقَالُوا لَهُ : عَبْدُ الْمَطْلَبِ . فَقَالَ مَا أَمْرُهُ بِهِ أَبْرَهَةَ بَعْدَ أَنْ أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ حَرْبَهُ وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ . هَذَا
بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنْ مَنَعَهُ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ ،
وَأَنْ يَخْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْعَ عَنْهُ . ثُمَّ ذَهَبَ مَعَهُ إِلَى أَبْرَهَةَ .
فَاسْتَأْذَنَ الرَّسُولَ أَبْرَهَةَ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! هَذَا سَيِّدُ قُرَيْشٍ يَسْتَأْذِنُ
عَلَيْكَ وَهُوَ صَاحِبُ عِزَّةٍ مَكَّةَ وَيُطْعِمُ النَّاسَ فِي السَّهْلِ وَالْجِبَالِ وَالْوَحُوشِ
وَالطَّيْرِ فِي رِءُوسِ الْجِبَالِ . فَأْذَنَ لَهُ أَبْرَهَةَ . وَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ أَوْسَمَ
النَّاسِ وَأَجْمَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ . فَعَظُمَ فِي عَيْنِ أَبْرَهَةَ فَأَجَلَهُ وَأَكْرَمَهُ وَكَرِهَ
أَنْ يَجْلِسَ تَحْتَهُ وَأَنْ تَرَاهُ الْحَبْشَةَ يَجْلِسُ مَعَهُ عَلَى سُرِيرٍ مَلَكُهُ ، فَنَزَلَ عَنْ
سُرِيرِهِ فَجَلَسَ عَلَى بَسَاطَةٍ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ إِلَى جَنْبِهِ . ثُمَّ قَالَ لَتَرْجَمَانَهُ : قُلْ
لَهُ مَا حَاجَتُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ الْمَلِكُ عَلَيَّ مَا بَقِيَ بَعِيرِ أَصَابِهَا ..
فَقَالَ لَتَرْجَمَانَهُ : قُلْ لَهُ كُنْتُ أُعْجِبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ ، ثُمَّ قَدْ زَهَدْتُ فِيكَ .
أَتَكَلِّمُنِي فِي مَا بَقِيَ بَعِيرٍ وَتَتْرِكُ بَيْتًا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ قَدْ جِئْتُ
لَهْدَمِهِ لَا تَكَلِّمْنِي فِيهِ ؟ .. فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ ، وَإِنْ
لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ ! قَالَ : مَا كَانَ يَمْتَنِعُ مِنِّي . قَالَ : أَنْتَ وَذَلِكَ !

(١) نَهَكَ كَمَنَعَ : غَلَبَ أَوْ بَالِغٌ فِي الْإِهَانَةِ . وَالْحُمْسَةُ : الْحَرَمَةُ .

(٢) مَالٍ لُبْدٍ : لُبْدٌ أَيْ كَثِيرٌ . فَانْ أَبْرَهَةَ اسْتَخْدَمَ مَا لَهُ فِي شِرَاءِ الضَّمَائِرِ حَتَّى
وَصَلَ إِلَى حَرَمِ مَكَّةَ .

(٣) الصُّخْرُ : أَرَادَ بِهَا الْجِبَالَ الَّتِي تَحْفُ بِمَكَّةَ لِأَنَّ الشَّمْسَ الشَّدِيدَةَ تَصْخَرُهَا
أَيَّ تَحْرِقُهَا .

وَهَلْ كَانَ عِيسَى فِي النَّبِيِّينَ قَائِلًا
 بَغَيْرِ بَلَاغٍ مِنْ بَشَارَةِ أَحْمَدَ^(١) !
 وَقَدْ شَهِدَ الْأَخْبَارُ أَنَّ مُحَمَّدًا
 سَيَبْلُجُ مِنْ يَنْتِ لَذَا الْيَوْمِ مُفْرَدٍ
 رَفَاً^(٢) الْعِيسَى بِرَأْسِ شَيْبَةِ الْحَمْدِ سَاعَةً
 وَقَلَدَهَا الْأَجْلَادَ فِي الْمَتَلَدِ^(٣)
 وَأَشْعَرَهَا هَدِيًّا لِيَنْتِ وَمَنْسِكِ
 فَظَلَّتْ لَدِي أَفْيَاءَهُ لَمْ تُقْدَفِدِ^(٤)
 ٤٩٠ وَفِي رَازِقِي^(٥) سَارَ يَنْفِي عَشِيرَهُ
 قُرَيْشًا وَنَفَحَ^(٦) الرِّيحَ فِي أَوْجِ قَرَدَدِ

(١) يشير الشاعر إلى قوله تعالى : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » .

(٢) رفا العيس : سكنتها من الرعب . وهي الإبل التي استعادها من أبرهة .

(٣) قلدها جعل في اعناقها قطعاً من الجلد ونحوه ليعلم أنها هدى إلى السكينة فيكشف الناس عنها . والأجلاد جمع جلد كجلود : والمتلدد : العنق .

(٤) لم تقد فد : لم تعد هاربة من سبع أو نحوه .

(٥) الرازقي : ثوب أبيض .

(٦) قال الأصمعي : ما كان من الرياح له لفتح فهو حرّ ، وما كان له نفع فهو برد . والقردد من الشتاء : شدته وحذته .

فَنَبَّأَهُمْ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ قَتْلِهِمْ^(١)
وَفِي صَوْتِهِ الْجِيَّاشِ بُحَّةٌ كَوْهَدٍ^(٢)
بِرُوحِي قُرَيْشٍ ! نَالَهَا الْحَقْرُ^(٣) يَوْمَهَا
وَمَنْ يَلْقَ مَا لَا حِيلَةَ فِيهِ يَنَادِ^(٤) ...
إِذَا نَفَزَتْ^(٥) حُدَّتِي فَلَيْلَيْسَ بِأُسْهُ
وَتُلْفِي أَشَدَّ النَّاسِ كَالْمُتَلَدِّ^(٦)
تَأَيَّسَتْ^(٧) الْأَصْوَاتُ كَادَتْ تَخْوُفُهُمْ
وَزَالَتْ دِرَاكًا حِدَّةُ الْمُتَلَفِّدِ^(٨)

(١) القتل : العدو والمقاتل .

(٢) الكوهد : المرتعش كبيراً . فقد كان عبد المطلب إذ ذاك في شيخوخته المعمرة .

(٣) الحقر : الذلة .

(٤) يناد بمعنى يئنثى ويعوج من عدم التحمل .

(٥) نفزت : وثبت . والحديث كالحادثة والحدثان . والأيس : القهر . وبأسه أي عذابه .

(٦) المتلدّد : المتحير في تبدل والمتلفت يميناً وشمالاً .

(٧) تأيسست : لانت :

(٨) المتلفد : المتغيظ .

٤٩٥ وَشَيْبَةُ أَفْضَى بِالْذَّهَاءِ ^(١) الَّذِي دَعَا

فَذَابَ لِدَمْعِ الشَّيْبِ أَكْبَادُ جَلَمَدٍ..
وَسَارَ بِهِمْ فِي الشَّعْبِ مِنْ حَوْلِ مَكَّةَ
حِفَاطًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةٍ مُعْتَدٍ

حَنَانِكَ يَا رَبِّي ... أَتَقْضِي صُبَابَةً ^(٢)

مِنْ الْبَيْتِ لَمْ تَظْفَرْ بِنَعَشٍ وَمَشْهَدٍ!
وَأَيْنَ قِوَامٌ ^(٣) الْعُرْبِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ
وَمِنْ كُلِّ أَزْدٍ ^(٤) مَا حَقَّ اللَّدْمِ فُرْهُدٍ؟
وَأَيْنَ قُرَيْشُ الطَّرَفِ ^(٥) بِيَزَانَ مَكَّةَ
وَنَافِجَةٍ ^(٦) الْأَعْرَاقِ فِي رَكْبٍ مُتَلَدٍ؟

(١) أراد الأبيات المعروفة التي دعا بها ربه أن يحفظ بيته .

(٢) الصبابة : البقية في الإناء من الماء وغيره .

(٣) القوام : المقاومة . والإمْرُ : معتاد الأمر والنهي أو كليهما .

(٤) الأزد : لغة في الأسد . والدم : الضرب بشيء ثقیل يسمع صوته .
والفرْهُدُ هنا الحادر الغليظ .

(٥) الطرف : الكريم من الخيل . والبيزان : جمع باز وهو الصقر .

(٦) النافجة : العرف والرائحة الذكية . وهي أيضاً وعاء المسك والجلدة التي
يُحفظ فيها . والعرق وجمعه الأعراق : كل مصطف من خيل وغيرها .
وأتلد فهو متلد : اتخذ تلاداً من المال .

... وَزَافِرَةٌ^(١) تَأْتِي عُكَاطًا بِفَخْرَهَا
 فَتُطْنِبُ مَا شَاءَتْ بِمَأْثُورٍ مُنْشَدٍ
 وَتَحْمِشُ^(٢) هَيْمَ الْعَيْسِ فِي لَمَّةٍ الْوَعَى
 لَمَكْرُومَةٍ لَمْ تُدَّكَّرْ عَنْ مُمَجَّدٍ
 بَلَى وَفُتُو^(٣) فِي وَهَادٍ بَعِيدَةٍ
 يَتِيهُونَ بِالْمَقْحَادِ مِنْ مَاءٍ مُقْحَدٍ^(٤)
 ذَوُو قُضْبٍ حُمْرٍ وَبَيْضٍ بَوَاتِرٍ
 إِذَا جُرِّدَتْ حَبَّتٌ^(٥) إِبَاسَ التَّجَرُّدِ
 لَهُمْ نَسَبٌ فِي الْبَيْتِ بِأَعْوُهُ خَيْفَةً
 وَلَا هُؤَالًا^(٦) بِلَاءٍ مِنْ عَنَى أَوْ تَبَلُّدٍ

(١) الزَّافِرَةُ : العشيَّة والجماعة .

(٢) تحمِش : تسوق بغضب . وهيم العيس . عطاشها . واللَّمَّة : الأصحاب في السفر .

(٣) فتو : جمع فتى .

(٤) المقحاد : الناقة العظيمة السنَّام . وأقحَد الفحل فهو مقحد : عظم سنَّامه ومن ماء مقحد أى من صلبه .

(٥) حبت : أحبت .

(٦) لاهوا : تستروا وتغطوا . والبلاء : ما تحدث به نفسك من الهم . والعنى : الخضوع والجلوس والأسر .

٥٥٥ فَيَا رَبِّ إِنَّ الْعُرْبَ قُلَّتْ قُوَّوُسُهُمْ^(١)

وَذَلُّوا ... فَمَنْ يُعْنِي بِمَيْتٍ مُهَدَّدٍ؟

وَلَا هُمْ^(٢) ! هَلْ مِنْ آيَةٍ مِنْكَ أَوْيَدِ

تُمَدُّ إِلَيَّ هَذَا الْعَزِيزِ الْمَوْسَدِ!

رُؤْيَدِكَ لَا تَأْخُذْ قُرَيْشًا بِذَنْبِهَا

فَإِنَّ لَهَا يَوْمًا سَهْدِي وَتَهْتَدِي

وَتَيْدِكَ^(٣) إِنَّ اللَّهَ كَرَّ مِنْ قَبْلُ قَائِلٌ

بِمَوْلِدِ « مُحَمَّدٍ » وَبُشْرَى « مُحَمَّدٍ »^(٤) ...

فَصُنْ يَتِّكَ الْمُعْمُورَ مِنْ بَغْيِ هَبْلَعٍ^(٥)

وَالَّا تَكُنْ دَهِيَاءَ فِي مَشْرِقِ الْغَدِ!

(١) قووس : جمع قوس .

(٢) لا هم مثل اللهم .

(٣) التيد : الرفق : يقال تيدك أى اتئد .

(٤) محمود اسم المصطفى صلى الله عليه وسلم فى السماء . وإشارة الشاعر إلى ما ورد فى القرآن الكريم من ذكر اسمه عليه الصلاة والسلام فى الإنجيل الصحيح قبل نسيانته وتحريفه على أنه سيجعث بعد عيسى عليه السلام نبياً .

(٥) الهبلع : الواسع البطن الشره . وهو أبرهة .

٥٠ أَرَى كِسْفًا سَوْدًا سُخَاخِينَةً^(١) الْحَشَى

تُذَادُ ذِيَادًا فِي فِضَاءٍ مُجَرَّدٍ...

هَلَا مَثَلَةً^(٢) ! إِنِّي أَرَى الطَّيْرَ فَوْقَهَا

أَبَابِيلَ^(٣) شَقَّتْ سَمْتَهَا شَقَّ مِطْرَدٍ

مَنَاقِيرُهَا مُحَرَّرٌ وَفِيهَا وَدَائِعٌ

تَسَاقُطُ أَشْيَاوَاتُهَا^(٤) فِي تَوَقُّدٍ

فَلَمَّا رَأَاهَا الْجُبْشُ دِثَتْ^(٥) قُلُوبُهُمْ

وَزُنُزَتْ الْأَفْيَالُ مِنْ غَيْرِ مَقْوَدٍ

(١) سُخَاخِينَ عَلَى فُعَاعِيلَ : حَارٌّ .

(٢) الْمَثَلَةُ : الْعَقُوبَةُ . وَتَضُمُّ الشَّاءَ . وَهَلَا حُرِفَ اسْتَعْجَالًا وَحِثَّ مَعَ اسْتِفْهَامٍ

(٣) الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ . وَقَالَ الْأَخْفَشُ : يَقَالُ جَاءَتْ إِبْلَكَ

أَبَابِيلَ أَيْ فِرْقًا . وَطَيْرُ أَبَابِيلَ قَالَ : وَهَذَا يَجِيءُ فِي مَعْنَى التَّكْثِيرِ .

وَهُوَ مِنَ الْجَمْعِ الَّذِي لَا وَاحِدَ لَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ وَاحِدَهُ إِبَّوْلٌ مِثْلُ

عَجَّوْلٍ . وَقِيلَ وَاحِدَهُ إِبَّيْلٌ . قَالَ وَلَمْ أَجِدِ الْعَرَبَ تَعْرِفَ لَهُ وَاحِدًا .

وَقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : نَظِيرُهُ

وَزَنًا وَمَعْنَى طَيْرِ أَبَابِيدٍ وَنَظِيرُهُ وَزَنًا فَقَطَّ عِبَابِيدَ وَعِبَادِيدَ وَهُمْ الْفِرَقُ

مِنَ النَّاسِ . قَالَ سَيِّدِيوِيَّةٌ لَا وَاحِدَ لَهُ .. وَالْمِطْرَدُ : الرِّيحُ لِأَنَّهُ يَطْرُدُ

بِهِ الْعَدُو .

(٤) أَشْيَاوَاتُ كَأَشْيَاءَ جَمْعُ شَيْءٍ .

(٥) دِثَتْ : ذَلَّتْ .

فَرَاحَتْ تَدُوسُ التَّمُومَ ضَبًّا^(١) وَتَقْمَةً
 وَتَبْطِشُ بِالْجَيْشِ الْكَثِيفِ الْمَسْرَدِ^(٢)
 ٥١٥ وَأَسْقَطَتِ الشُّهْبَانَ^(٣) وَيَبًّا عَلَى الْعِدَى
 فَمَا أَحَدٌ إِلَّا أُصِيبَ بِسَمِّهِدٍ^(٤)
 يُحْطَمُ رَأْسًا ثُمَّ يُورَى تَلْهُبًا
 فَتَحْتَرِقُ الْأَجْسَادُ فِي مِثْلِ مَوْقِدٍ
 وَبَعْدَ قَلِيلٍ هَبَّتِ الرِّيحُ حَاصِبًا
 وَطَارَتْ بِعَصْفٍ^(٥) مِنْ ضُلُوعٍ وَأَعْضُدٍ
 وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الْأَيْلَ تَكَأَكَّتْ
 لِتَأْكُلَهُ فِي كُلِّ رِمْتٍ^(٦) وَمَرْبَدٍ

(١) الضب: الحقد.

(٢) المسرد: الكثير الثقوب. وصف الجيش بأنه مسرد لكثرة ما أحدثت فيه الفيلة الهاججة من فجوات.

(٣) الشهبان: جمع شهاب، وهي شعلة نار ساطعة. وويب: كلمة مثل ويل.

(٤) السمهد: الشيء اليابس الصلب.

(٥) قال الحسن في قوله تعالى: «كعصف ما كول»: كزرع قد أكل حبه وبقى تبنيه.

(٦) الرمت: مرعى من مراعى الإبل ينبت في السهل. وهو من الخض. والمربد: موقف الإبل.

إِعَادَةُ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ

وَذَكَرَ بَتِّهَامَ الْحَمَى إِذْ تَجَمَّعَتْ
قُرَيْشٌ بِأَطْلَالِ الْبِنَاءِ الْمُسْنَدِ

٥٢٠ غَدَاةً أَتَاهُ السَّيْلُ كَالْبَحْرِ عَارِمًا
بِكُلِّ عَنِيدٍ جَاشٍ فِي غَرَزٍ ^(١) عُنْدِ

لَقَدْ وَجِلُّوا أَنْ يَذْهَبَ الْبَيْتُ عَامَهُ
وَمَنْ غَيْرُهُ نَحْوُ ^(٢) لِهَذِي مُقْلَدٍ؟

وَهَلْ تَمَّ فُتْيَا ^(٣) تَرْتَضِي هَدْمَ كَعْبَةٍ
هِيَ الْكَوْثَرُ الْمُنْطَاءُ لِلْهَائِمِ الصَّدَى!

(١) الغرز: الركاب للجمل.

(٢) النحو: القصص والطريق. والهدى بُدُنْ — ومفردها بدنة — وهي الناقة أو البقرة تنجر بمسكة. سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها ويعلقون في عنقها قلادة أو نحوها ليعلم حال رعيها أو سوقها أنها هدى إلى الكعبة فلا يسرقها أو يؤذيها أحد. ولذلك سميت هدياً مقلداً

(٣) الفتيا كالإفتاء.

مُنْفَهَقٍ^(١) مِنْ جَائِلِ الْفِكْرِ حَصُّوا
 مَدَى الرَّأْيِ حَتَّى أُبْرِئُوا مِنْ تَرَدُّدِ
 فَمَا كَانَ هَدْمُ الْبَيْتِ ذَحْلًا^(٢) وَإِنَّمَا
 لَيْسَفِرَ فِي رَتَقٍ^(٣) طَرِيفٍ مُجَدِّدِ
 ٥٢٥ وَفِي اللَّهِ مَا هَـذُوا وَفِي اللَّهِ مَا بَنُوا
 وَأَنْعَمُ بَبَيْتٍ قَائِمٍ فِي تَوْطُّدِ
 وَصِفَ صَفْوَةَ الْأَنْسَابِ لَمَّا تَبَتَّلُوا
 إِلَى يَتِيمِهِمْ فِي جَيْشَةٍ مِنْ تَهَوُّدِ^(٤)
 وَكَيْفَ أَحَلُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مُحَرَّمِ
 وَلَمْ يَذَرُوا فِيهِ سِوَى كِسْبَةٍ^(٥) الْيَدِ

(١) المنفحق : الرحيب المفتوح الواسع .

(٢) الذحل بسكون الحاء أو بفتحها : الحقد والضغينة .

(٣) الرتق : ضد الفتق . وهو هنا الترميم .

(٤) الجيئة : ارتفاع الغليان . والتهود : التوبة والعمل الصالح .

(٥) الكسبة : الكسب . فقد ورد أنهم أبعدوا من ما لهم الذي جعلوه لبناء الكعبة كل محرم أو مكروه كالربا ومهر البغي وما أخذ بظلم الخ الخ .

وَجَاءُوا بِصَفْوَانٍ مِنَ النُّحْصِ^(١) وَاشْتَرَوْا

شَرَائِفَ مِنْ سَرَوْ^(٢) وَقِطْرٍ مُجَمَّدٍ

فَلَمَّا مَشَوْا لِلْهَدْمِ مَا هَتْ^(٣) عُمُومُهُمْ

رِثَاءً لِحَسَنَاءِ الْجَمْعِ — اَلِ الْمُؤَبَّدِ

٥٣٠ يَقُولُونَ: مَهْ^(٤) ! لَا تُكْثِرِ الْعَوْلَ إِنَّنَا

سَنَبْنِيكَ فِي نَهْدٍ مِنَ الصَّخْرِ جَيِّدٍ

بِمِسْكٍ إِذَا أَحْبَبْتَ أَوْ ذَوْبٍ فِضَّةٍ

يُمْكِنُ عَقِيَانًا إِلَى جَنْبِ قَرْمَدٍ^(٥) ..

وَإِنَّكَ يَا صَرَحَ الْخَلِيلِ رَجَاؤُنَا

فَلَا تَهِنِي مِنْ هَذَا بَلْ تَجَلِّدِي ..

(١) النحص : أصل الجبل .

(٢) السرو : شجر خشبي طيب الرائحة . ويقال أنهم سمعوا بسفينة غارقة قرب الشاطئ بها خشب لذيذ الروم فاشتروه .

(٣) ما هت : كثر ماؤها وهو الدمع .

(٤) مه : اسم لفعل الأمر . ومعناه اكفف . وهنا كفي . والعول : رفع الصوت بالبكاء . والنهد : المرتفع .

(٥) العقيان : الذهب الخالص . والقرمد : الخزف المطبوخ ونحوه من مواد البناء كالطوب .

وَسَارُوا فُرَادَى يَحْمِلُونَ حِجَارَةً
 ضَخَامًا تَبَارَوْا تَحْتَهَا فِي تَشَدُّدٍ
 وَفِيهِمْ قَتِيلٌ أَكْثَرَ النَّفْلِ وَالْجَدَا^(١)
 يَقُولُ لَهُ جِبْرِيلُ : يَا صَاحِبَ أَرْوَدٍ^(٢) ...
 ٥٣٥ هُوَ الْمُصْطَفَى يُبْنَى لَهُ الْبَيْتُ فِي غَدٍ
 الْآخِ بَوَجْهِ هَاشِمِيٍّ مُورَدٍ
 يَسِيرُ وَقَدْ مَسَحَ الْبَرَى^(٣) مِنْ ثِيَابِهِ
 بِزَهْوٍ وَكُلُّ النَّاسِ يَمْشُونَ فِي دَدٍ^(٤) ...
 وَلَمَّا دَنَوْا مِنْ «أَسْوَدِ الْخَيْرِ»^(٥) كَبَرُوا
 وَهَمُّوا بِهِ فِي طَائِفٍ مِنْ تَمَرَدٍ
 فَكُلُّ زَعِيمٍ كَانَ أَضْمَرَ حِمْلَهُ
 غَدَاةَ تَدَنِي^(٦) ثَقُلَهُ فِي تَفَرُّدٍ

(١) الجدا مقصوراً بالالف : من العطية .

(٢) أَرَوْدٌ : سر برفق ودع العجلة .

(٣) الْبَرَى : التراب .

(٤) الددُ : اللهو واللعب . وفي الحديث : «ما أنا من ددٍ ولا الدد مني» .

(٥) هو الحجير الأسود زاده الله شرفاً على شرفه .

(٦) تدنى : دنا قليلاً قليلاً .

لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْبَدْوِ أَنَّ لَهُ ذَرَأً^(١)
 وَسِعَ رَأً لَدَى أَخْدَانِهِ فِي تَزِيدٍ^(٢)
 ٤٠. وَأَوْشَكَتِ الْهُوشَاتُ^(٣) تَبْرَى قِدَاحَهَا
 لَدَى سَعْرِ^(٤) فِي يَبِيضَةِ الْقَوْمِ مُفَادٍ
 وَقَرَّبَ عَبْدُ الدَّارِ^(٥) لِلْحِلْفِ جَفَنَةً
 تَسِيلُ دَمًا مِنْ مُصْعَبٍ^(٦) ثُمَّ أَجِيدٍ
 فَجَاءَتْ عَدَى^(٧) لَيْسَ فِي الْبُسْلِ مِثْلُهُمْ
 بَرَقَ^(٨) نَجِيعٍ مِنْ بَعِيرٍ مُقْصَدٍ

-
- (١) الذَّرَأُ : كل ما استندريت به .
 (٢) التزید فی السعیر : الغلاء .
 (٣) الهوشات : الفتن والاضطرابات . والقداح : جمع قَدَح وهو السهم قبل أن يُراش ويركب فضله .
 (٤) السَّعْرُ : الجنون . وببيضة القوم : ساحتهم . والمفادُ : الذي يحرك بالمفأد بكسر الميم وهو عودٌ تحرك به النار لتبقى قوية .
 (٥) أراد بنى عبد الدار .
 (٦) المصعب : الفحل يُودع ويُعفى عن الركوب والعمل . وأجيد أى طويل العنق .
 (٧) أى بنى عدى . والبُسْلُ : الشجعان .
 (٨) الرَّقُّ : السَّقاء ، والنجيع من الدم ما كان يضرب إلى السواد . وقال الأصمعي : هو دم الخوف خاصة . والبعير المقصد : الذى به سمة فى أذنه .

وَمَدُّوا يَدِيَّ^(١) فِي الدِّمَاءِ وَأَقْسَمُوا
بِأَلْفِ يَمِينٍ مِنْ إِيَّاهِ وَخَقِدَ^(٢)
هِيَ الْحَرْبُ .. كَادَتْ تَجْعَلُ الْبَيْتَ لُجَّةً
مِنَ الشَّقَقِ الْقَانِي^(٣) وَصَفْحَةً مَدْمَدًا
٥٤٥ عَلَى أَنَّ شَيْخًا^(٤) مِنْهُمْ كَانَ مِدْرَهًا
أَتَاهُمْ بِتَحَكِيمٍ نَزَا^(٥) مِنْ عَطُودٍ
أَنْ ارْتَقَبُوا مَنْ لَاحَ مِنْ بَابِ شَيْبَةِ^(٦)
وَيُلْزِمُ مَا يُوصِي بِهِ كُلَّ صِنْدِدٍ^(٧)
تَعَلَّقَتْ الْأَبْصَارُ بِالْبَابِ سَاعَةً
وَقَامَتْ قُرَيْشٌ مِنْ لُيُوثٍ وَأَفْهَدٍ

(١) يدي : جمع يد . وقد سمي الذين فعلوا ذلك بِالسَّعَةِ الدَّمِ .

(٢) المحقد : المحقد .

(٣) أراد بالشفق القاني لون الدم . والمدمد : النهر .

(٤) هو أبو أمية بن المغيرة واسمه حذيفة أسن قریش كلها عندئذ . وهو

والد أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها . وكان يعرف بزاد الراكب
لأنه كان إذا سافر لا يتزود معه أحد .

(٥) نزا : وثب . والعطود من الرجال : النجيب .

(٦) هو باب بني شيبه أحد أبواب المسجد الحرام . وكان يسمى في الجاهلية

بباب بني عبد شمس . وهو الآن باب السلام .

(٧) الصندد : السيد الشجاع والجواد الشريف .

لَتَعْلَمَ مِنْ أَمْرِ الَّذِي سَوْفَ يُرْتَضَى
وَتُنْفِذَ مَا يَقْضَى بِوَضْرِ^(١) مُشَدِّدٍ
تَأَلَّقَ عِنْدَ الْبَابِ رَجْوُ^(٢) قَبِيلِهِ
« مُحَمَّدٌ » فِي مَحْضِ الْعَلَاءِ الصَّمَخْدَدِ^(٣)
. . . يَخْبُ^(٤) إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ ضَحَاءُهُ
لِيَقْعُدَ فِيهِ سَاعَةً عِنْدَ مَعَكِدِ^(٥)
تَنَادَوْا : أَمِينٌ قَدْ رَضِينَا بِحُكْمِهِ
وَقَصُّوا عَلَيْهِ أَمْرَهُمْ فِي تَوَعُّدِ
فَقَالَ : رُوَيْدًا . . . ذَا رِدَائِي وَإِنِّي
سَأَحْمِلُ هَذَا الْفَرْقَ قَدْ الْحَبَّ^(٦) فِي يَدَيِ
فَأَجْعَلُهُ وَسْطَ الرِّدَاءِ مُبْجَلًا
وَكُلُّكُمْ يَسْعَى بِهِ فِي تَوَدُّدِ

(١) الوصر : الصك وكتاب العهدة .

(٢) الرجو : الرجاء .

(٣) الصمخدد : الخالص . وأنت في صمخدد قومك أي صميمهم .

(٤) يخب : يسير سيرا سريعا بخطوفسيح . ومنه خباب بن الارت من المهاجرين الأولين .

(٥) المعكيد : الملقا . أراد الكعبة ملجأه من عالم الكفر والوثنية .

(٦) الحب كما الحبيب .

وَهَذَاكَ^(١) أَوْلَى مِنْ قِتَالٍ وَفِتْنَةٍ
وَأَرْجَحُ مِنْ هَيْجَاءٍ تُحْمَى لِمَوْءِدٍ

ظُهُورُ الْإِسْلَامِ وَتَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ

۵۵۵ وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِحْيَاءَ دِينِهِ
تَنَزَّلَ فُرْقَانٌ عَلَى قَلْبِ أَحْمَدِ
نَبِيِّ الْوَرَى طَهُ الْقُرَيْشِيَّ مُحْتَسِدًا
وَسَيِّدِ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ سَبْطِ سَيِّدِ
وَقِسْوَرةِ الْبَيْتِ الَّذِي صَانَ رَبُّهُ
لِيُظْهِرَهُ فِي زِينَةٍ مِنْ تَوَحُّدِ^(٢)
حَشَدَتْ لَهُ مِنْ كُلِّ تَعْتٍ وَمِدْحَةٍ
فَكَُنْتُ كَسْهُمْ فِي يَدِ الْوَكْسِ^(٣) مُصْرَدِ

(١) تدخل « ها » على ذاك فتقول هذاك ولا تدخل على ذلك ولا على أولئك وتلك .

(٢) أى من تفرّد بعدما شاركته الأصنام فى حقه دهرآ طويلا .

(٣) الوكس : النقص وعدم المقدرة . والسهم المصرد هو المخطيء .

وَلَوْ أَنَّنِي عَبَّاتٌ مِنْ قُسٍّ كَشْحَةٍ^(١)
 وَخُنَّا لِكِرْوَانٍ حِسَانِ التَّغَرُّدِ
 ٥٦٠ وَسُقْتُ صَفِيرَ^(٢) النَّسْرِ فِي الْقَهْبِ ضَاحِيَا
 وَعَنْدَلَةً^(٣) مِنْ عُنْدَلِيْبٍ مُفَرِّدِ
 وَتَرْجِيْعٍ مِنْ مَارٍ لِرَاعٍ مُتِيْمٍ
 تَوَحَّدَ فِي جَنْبٍ^(٤) مِنَ الطَّوْدِ أَبْرَدِ
 وَتَكْلِيمٍ مُوسَى فِي طُوًى عِنْدَ عَوْسَجِ
 تَلَهَّبَ إِرْهَاصًا لَدَى سَفْحِ قَرَدَدِ^(٥)
 وَطُوفَانَ نُوحٍ يَغْمُرُ الْقَاعَ وَالزُّبَى^(٦)
 وَيَسْخَرُ مِنْ نَوْصِ^(٧) الْأَنَامِ الْمَعْرَدِ

(١) هو قس بن ساعدة الأيادي أخطب خطباء العرب في جاهليتهم والكشف
 ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف . والمقصود أو اسط خطبه لما اشتهرت
 به من البلاغة .

(٢) الصغير : صوت النسر . والقهب : الجبل العظيم مع الطول .

(٣) العندلة : صوت العندليب . وفَرَدَ فهو مفرد : اعتزل الناس .

(٤) الجنب والجنبَة : الناحية . وأبرد أي ذو برَد .

(٥) الإرهاص هو الإيذان والإعلام بنبوة أحد الأنبياء . والقردد : جبل
 أو ما ارتفع من الأرض .

(٦) الزبي : الرُّبَى لا يعلوها الماء .

(٧) النوص : التأخر والفرار . والمعرد : الفار .

وَحَوْزٌ^(١) سُلَيْمَانٍ وَمُنْزَلِ آدَمَ
 إِلَى الْأَرْضِ مِنْ عَيْشٍ لَدَى الْخُلْدِ قُرْهُدٍ^(٢)
 ٥٦٥ وَكُلَّ وَحْيٍ^(٣) ثَاقِبٍ فِي دُجْنَةِ
 دَهَا صَعَرٍ^(٤) الشَّيْطَانِ فِي وَفَزٍ مُبْرَدٍ
 وَكُلَّ مَهَاهٍ^(٥) أَتَرَعَ الْخَفْضَ كَوْثَرًا
 وَأَوْسَعَ مِنْ عَيْشٍ ضَمِينٍ حَقْلَدٍ^(٦)
 لَمَّا قُلْتُ إِنِّي قَدْ مَدَحْتُ مُحَمَّدًا
 بِمُنْجَرِدٍ مِنْ مِقْوَلٍ أَوْ عَرَنْدَدٍ^(٧)
 دَعَوُهُ أَمِينًا عِنْدَمَا كَانَ يَأْفِغًا
 وَأَوْلَوْهُ مِنْ بَطْحَانِهِمْ صَرَحَ أَمْجَدٍ

-
- (١) الحوز : الجمع . أى كل ما جمع سليمان عليه السلام من زينة الدنيا .
 (٢) القرهد : التارّ الناعم الرَّخَص .
 (٣) وَحْيٌ : سريع . يريد النجم أو الشهاب إذا هوى .
 (٤) الصعر : المسيل في الخد من الكبر . والوفز : العجلة . والمبردهنا :
 صاحب البريد وعامله .
 (٥) المهاهُ : الطراوة والحسن . والخفض : الدعة
 (٦) الحقلد : الضيق البخيل والضعيف .
 (٧) المنجرد : المنسحق اللين . والعرندد : الصليب .

وَلَمَّا اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِالذِّكْرِ وَالْهُدَى
وَصَلَّصَتْ ^(١) الْآيَاتُ فِي صَدْرِ مُخَلِّدٍ
٥٧٠ دَعَا قَوْمَهُ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاحِدًا
وَلَا يَعْبُدُوا مِنْ مُخَدَّثٍ أَوْ مُجَسَّدٍ
وَأَوْقَعَ بَكَ الْهَدْمَ فِي كُلِّ مَعْبَدٍ
كَمَا سَحَقَ الْأَوْثَانَ مِنْ كُلِّ سُحْدٍ ^(٢)
عَلَى صُورِ الْإِنْسَانِ ^(٣) كَانَتْ وَغَيْرِهِ
تَنْظُمُ عَمَلًا بِجَانِبِ حَذَرٍ ^(٤)
وَمِنْ سِيرَاءٍ ^(٥) أَوْ دِمَقْسٍ ثِيَابُهَا
وَأَرْجُلُهَا مَطْمُورَةٌ تَحْتَ قَثَرٍ ^(٦)
وَسِيلَةٍ ^(٧) شَيْطَانٍ وَمَعْلَمٍ كَافِرٍ
وَكَاهِنَةٍ فِي تَرْفَةِ الْعَيْشِ جَلَعَدٍ ^(٨)

-
- (١) صلصت : رجعت صوتها .
(٢) السحد : الشديد المارد .
(٣) الإيسان : لغة في الإنسان . (٤) الحذر : القصير :
(٥) السيراء : ثوب من حرير فيه خطوط .
(٦) القثر : قطع الصوف ونحوه .
(٧) الوسيلة : المنزلة . ومعلم الشيء : مظهره .
(٨) الترفة : النعمة والطعام الطيب . والجلعد : المسنة من النساء .

٥٧٥ وَوَحَىٰ فِيسِيدٍ^(١) مِنْ عُقُولٍ وَلَا زَبٍ
 بِشِرَّةٍ^(٢) شَعْبٍ جَاهِلٍ مُتَقَدِّدٍ
 رَثِيئٌ لِمَنْ يَغْنُو لِصَخْرِ مُجَسَّمٍ
 وَيَعْبُدُ تَمَثَالًا لَيْمِدًا كَقَمْهَدٍ^(٣) !
 إِذَا نَظَرَ الْإِنْسَانُ فِي الْكَوْنِ سَاعَةً
 رَأَى اللَّهَ فِي سَمْتٍ مِنَ الْمَجْدِ أَوْحَدٍ
 يُصَوِّرُ مَادًّا^(٤) مِنْ حَيَاةٍ وَجَلْمَدًا
 وَيُوسِعُ فَوْدَ^(٥) الرِّزْقِ لِلْمُتَفَقِّدِ
 فَلِلَّطَيْرِ فِي الْأَفْنَانِ مَاجِدُ^(٦) أَكْلِهَا
 وَلِلْوَحْشِ فِي الْغَابَاتِ مِنْ كُلِّ مُقْمِدٍ^(٧)

(١) الفسید : الفاسد . ولازب أى لاصق .

(٢) الشرة : النشاط . وتقددوا أى صاروا طرائق قدداً هوى كل واحد على حدة .

(٣) لبيد : فعيل بمعنى فاعل . والقمهـد : المقيم الذى لا يبرح .

(٤) الماد : الناعم من كل شىء .

(٥) الفود هنا : الناحية .

(٦) الماجـد : الكثير الوافر . والأكل بالضم : التمر والرزق والحظ من الدنيا .

(٧) أقـد فهو مقمـد : طمح بعنقه .

٥٨٠ وَلِلْحَشَرَاتِ الرَّاتِمَاتِ بِأَبْرِقٍ ^(١)
 وَفِي فَلَقٍ مُسْتَحْكِمٍ الْهَيْفِ ^(٢) مُؤَصَّدٍ
 وَتَجْرِي بِهِ الْأَفْلَاقُ نُورًا وَظُلُمَةً
 فِي النُّجُورِ مَعْنَى وَالظَّلَامُ لِرُقْدٍ
 وَثُمَّ إِمْدَانٌ ^(٣) وَعَذْبٌ وَمَاطِرٌ
 يَسْحُ عَلَى رَطْبٍ مِنَ الثَّبَتِ مُمَادٍ ^(٤)
 فَكَيْفَ يَضِلُّ النَّاسُ عَنْهُ لِيَعْبُدُوا
 مَضِلَّةً تَمْشَالِ بِثَوْبٍ مُقَدَّدٍ ^(٥) ١٩
 فَدَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ فَاتِحًا
 كَمَا فَلَقَ الْإِصْبَاحَ إِشْرَاقُ صَيْخَدٍ ^(٦)
 ٥٨٥ يُحِطُّ مِنْ أَصْنَافِهِمْ كُلِّ تَانِي ^(٧)
 وَكُلِّ مُطَلٍّ مِنْ صَلَا ^(٨) الْبَيْتِ مُلْبَدٍ

-
- (١) الأبرق: كل غلظ فيه حجارة ورمل وطين .
 (٢) الفلق هنا: الشق من الجبل . والهيـف: شدة العطش .
 (٣) الإمدان: الماء المالح .
 (٤) مماد: مرتو قد جرى فيه الماء واهتز .
 (٥) الثوب المقدد: الخلق .
 (٦) فاتحاً أى عندما زحف لفتح مكة عام الفتح . والصيخد عين الشمس .
 (٧) التاني: القاطن . (٨) الصلا: وسط الظهر .

ثَلَاثَ مِئِينَ^(١) ثُمَّ سِتِّينَ بِكَّهَا
 أَقَامَتْ قُرُونًا فِي عُلَا مُتَفَوِّدٍ^(٢)
 بِأَوْجُهُ شَرٍّ^(٣) مِنْ رِجَالٍ وَشَرَّةٍ
 وَبَسْمَةِ شَيْطَانٍ خَبِيثِ التَّجَسُّدِ
 وَمِنْ جِهَةِ الْبَابِ الَّذِي شَادَ تَبَعٌ
 رَأَى صَنَمًا مِثْلَ الْبَلَاءِ الْمَكْرُودِ^(٤) ..
 رَأَى هُبْلًا وَالْكَرْدَ^(٥) مِنْهُ مُطَوَّلٌ
 وَزِينَتُهُ فِي شَعْرِهِ الْمَتَقَرِّدِ^(٦)

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنماً لكل حيٍّ من أحياء العرب صنم قد شددت أقدامها بالرصاص . فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب ، فجعل يهوى به إلى كل صنم منها فينخر لوجهه — وفي لفظ لقفاه — يقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . حتى مر عليها كلها . وبكها أى فرقها وفسخها ودقها .

(٢) تفود فوق الجبل فهو متفود : أشرف .

(٣) الشر : الشرير فى قول يونس . والشرة : الشريرة .

(٤) المكروء : المجموع والمجوعول كشبهة واحدة .

(٥) الكرد : العنق وأصلها .

(٦) الشعر المتقرد : المتجعد .

٥٩٠ فَأَوْسَعَهُ طَعْمًا فَهَيَّأَهُ مُبْلَقَةً^(١)

وَسَاثِرُهُ مِثْلُ الْبَعِيرِ الْمُقَرَّدِ^(٢) !
وَقَالَ أَلَا دَكُّهُ دَكًّا بِكُفْرِهِمْ^(٣)
فَدُكَّ بِالْفِ مِنْ فُؤُوسٍ وَمِثْلِكَ^(٤)
وَإِذْ هَدَنَ^(٥) اللَّيْلُ الْبَهِيمُ ظِلَامُهُ
وَأَلَّقَ مِنْ أَجْنَامِهِ عِنْدَ أَسْعَدِ^(٦)
مَشَى الْمُصْطَفَى حَتَّى أَتَى الْيَنْتَ مُذْجًا
وَمِنْ خَلْفِهِ يَسْعَى عَلَى كَمُسْعِدِ^(٧)

(١) البلقة كالبلق سواد في بياض .

(٢) المقرد : الذي انتزع منه قرادة ، وكما أن القراد يترك في الجسم آثاراً كالجروح . فقد ترك الطعن آثاراً في هبل .

(٣) ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر به بعد ذلك فكسر . وكان يقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . فقال الزبير بن العوام رضى الله عنه لأبي سفيان : قد كسر هبل . . أما إنك قد كنت في يوم أحد في غرور حين تزعم أنه قد أنعم . فقال أبو سفيان : دع هذا عنك يا ابن العوام ، فقد أرى لو كان مع إله محمد صلى الله عليه وسلم غيره لكان غير ما كان !

(٤) الملسك : شبه مدق يدق به .

(٥) هدن : سكن .

(٦) الأسعُد : اسم لبرج الحمل .

(٧) المسعد هنا : المعاون .

وَأَوْفَقَهُ مِنْ فَوْقِهِ وَهُوَ صَامِدٌ
 فَيَا لَعَلِّي فَوْقَ جِرْمِ^(١) مُحَمَّدٍ
 ٥٩٥ يَقُولُ لَهُ : « لَمْ يَبْقَ إِلَّا كَبِيرُهُمْ
 فَأَلْقَاهُ^(٢) إِذَا أَلْفَيْتَهُ غَيْرَ مُوتَدٍ »

(١) الجرم : الجسد . والسياق عن علي كرم الله وجهه قال : انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا حتى أتى السكبة . فقال اجلس . فجلست إلى جنب السكبة . فصعد صلى الله عليه وسلم على منكبى ثم قال انهض فنهضت . فلما رأى ضعفى عنه قال اجلس . فجلست . ثم قال صلى الله عليه وسلم : يا علي . . اصعد على منكبى . . ففعلت . . وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي : اصعد على منكبى واهدم الصنم . فقال : يا رسول الله ! اصعد أنت فأتى كرمك أن أعلوك . فقال : إنك لا تستطيع حمل ثقل النبوة . . فاصعد أنت . فجلس النبي صلى الله عليه وسلم فصعد على كرم الله وجهه على كاهله ثم نهض به . . قال علي : فلما نهض بي فصعدت فوق ظهر السكبة خيل لى أتى لو شئت لملت أفق السماء . . وفى رواية انه قال : كان حالى أنى لو شئت أن أتناول الثريا لفعلت . .

(٢) أى فألقاه . والرواية أنه عند صعوده قال له صلى الله عليه وسلم : ألقى صنمهم ألا كبر — وكان من نحاس وقيل من قوارير أى زجاج . وفى رواية : لما ألقى الأصنام لم يبق إلا صنم خزاعة موتداً بأوتاد من حديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عاجله . فعالجته وهو يقول : إيه إيه . . جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . فلم أزل أعاجله حتى استمكننت منه فقتلته فتمكسر .

وَيَهْتَفُ: «جاء الحق!» شُكْرًا وَإِنِّهَا
 تَرْجِعُ مِنْ أَصْدَائِهَا عِنْدَ تَقْتَدِ^(١) ...
 فَنَارَتْ نِيَارًا^(٢) غُرَّةُ الْبَيْتِ يَوْمَهَا
 وَقَدْ بَرَّتْ مِنْ سُخْفِ هَذَا التَّعَدُّ
 وَفِي عَمِّهِ^(٣) كَانُوا عَلَى الْبَيْتِ صَوَّرُوا
 بُيُوتَيْنِ مِنْ فَوْقِ الْمَشِيدِ الْمُرْدِ^(٤)
 بِأَحْمَرٍ مِنْ صِبْغٍ وَأَصْفَرٍ فَاقِعٍ
 وَأَرْخِيَّةٍ^(٥) تَحْكِي رَخَاوَةَ أَقْفَدِ
 ٦٠٠ بِأَيْدِيهِمُ الْأَزْلَامَ^(٦) - يَا وَيْحَ جَهْلِهِمْ!
 وَوَقَفْتُهُمْ فِي النَّاسِ وَقْفَةً أُمْلَدِ^(٧)

(١) تقتد: قرية بالحجاز أو رَكِيَّة.

(٢) نارت نياراً: أضاءت إضاءة.

(٣) العمه: انعدام الرأي.

(٤) المرد هنا: الذي جعل أملس مستوياً.

(٥) الأرخية: ما أرخى من شيء. والأققد: مسترخى العنق أو غليظه ومن

يمشي على صدور قدميه من قبل الأصابع ولا تبلغ عقباه الأرض.

(٦) الأزلام: السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها.

(٧) الأملد من الناس: اللين الناعم.

فَهَذَاكَ إِبْرَاهِيمُ تِلْوُ ذِيحِهِ
وَتَمَّةُ إِسْمَاعِيلُ كَأَمْتَالِدِ^(١)
وَمَزَيْمُ فِي فَرْعٍ^(٢) مِنْ اللَّيْلِ فَاحِمٍ
وَعَيْسَى لَدَى أَعْتَابِهَا كَأَمْلَهْدِ^(٣) ...
وَمُوسَى بِمُهْدٍ^(٤) وَالْجَهَامُ يُظْلُهُ
وَإِسْحَاقُ فِي صَفْحٍ^(٥) مِنْ الْبَيْتِ مُفْرِدٍ
فَأَلَقَى رَسُولُ اللَّهِ أَمْرًا بِمَحْوِهَا
إِلَى عُمَرَ - طُوبَى لَهُ فِي التَّمَهْدِ^(٦) ...
٦٠٥ كَطَوْدٍ مِنَ الْإِيمَانِ يَمْشِي وَظِلُّهُ
كَأَزْدٍ^(٧) مِنَ الْأَسَادِ فِي الْغَيْلِ مَمْعَدٍ

-
- (١) ثمت أدخل عليها التاء كإدخالهم إياها على ثم . والمتألد : المتحير .
(٢) الفرع : الشعر التام الذي لم يداعبه المقص بالتقصير .
(٣) المفلهد : الغلام الحادر السمين راقح الحلم .
(٤) المهدي : النشز من الأرض أو ما انخفاض منها في سهولة واستواء .
والجهام : السحاب لا ماء فيه .
(٥) الصفح : الناحية . ومفرد : منفرد .
(٦) التمهيد : التمكن تسمية بالمصدر .
(٧) الأزدي : لغة في الأسد . والغيل : الأجمة . ومعد : يجذب العدو جذباً .
وقد محاً عمر رضي الله عنه الصور ، وترك صورة إبراهيم عليه السلام .
فقال صلى الله عليه وسلم : يا عمر ! ألم آمرك ألا تترك فيها صورة ؟
قاتلهم الله حيث جعلوه شيخاً يستقسم بالأزلام . . (ما كان إبراهيم
يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان
من المشركين) .

تحويل القبلة

لِقِبْلَةٍ دِينَ اللَّهِ خَبَاءُ فَصَاحَتِي
 وَمَا هَدَرْتُ مَا قِيلَ فِي تَعْتِ مُمَجَّدٍ^(١)
 وَأَرْجُو بِهَا طَبْعًا^(٢) لَدَى الْخَالِدِ حَالِيًا
 فَقَدْ مَرَّ^(٣) مِنْ دُنْيَايَ عَيْشُ الْمُمَدَّدِ
 تَمَاجَدْتُ^(٤) لَمَّا صُنْتُ فِيهَا وَلَمْ أَزَلْ
 أَصْـوَعُ حَدِيثَ الشَّاعِرِ الْمُتَمَهِّدِ^(٥)
 وَفِي جَهْمَةٍ^(٦) وَاللَّيْلُ بِالصُّبْحِ حَالِمٌ
 بِكَيْتٍ .. وَمَنْ يَسْهَدُ مِنَ الْحُبِّ يَكْبِدُ^(٧) ..

-
- (١) أجمده فهو ممجد مثل مجده .
 (٢) أى أرجو بمدحها ووصفها وتكريمها . والطبع : النهر الكبير .
 (٣) مرَّ : صار مُرًّا . والمُمدَّدُ : الذى يمدده غيره أى يماطله .
 (٤) تماجدت : ذكرتُ مجدى .
 (٥) المتَمَهِّدُ : المتمكن .
 (٦) الجَهْمَةُ : أول تأخير الليل أو بقية سوادٍ من آخره . ويضم .
 (٧) يكبد : يألم .

٦١٠ وَإِنِّي لَمُمْتَادٌ ^(١) رِضَاهَا وَعَفْوَهَا
 بِذِلَّةٍ شَيْبٍ بَاكِرِ النَّادِ مُجْهِدٍ ^(٢)
 إِلَيْنَا صَلَاتِي فَالسَّبِيلَةُ ^(٣) وَجْهَهَا
 وَلَيْسَ سَبِيلِي فِي حَيَاتِي بِمُخْلِدِي ^(٤)
 إِلَّا قَدْ ^(٥) هِيَ الدُّنْيَا ، وَسُفْلُ عُلُوِّهَا
 وَمَا يُدْخِرُ مِنْ رِفْدِهَا وَيَكُ يَنْفَدُ ..
 وَمَنْ يَمَّ الدُّنْيَا تَأَلَّدَ ^(٦) قَلْبُهُ
 ضَلَالًا فَفِيهَا خَلَّةٌ الْمُتَمَدِّدِ ^(٧)
 وَمَا مَغْدَتْنِي ^(٨) لَذَّةُ الْعَيْشِ مِثْلَهَا
 أَظَلَّتْ بَعْضُنِي فِي فَمِ الْجَذْبِ أَمْرَدٍ ^(٩) ..

-
- (١) مُتَاد : مُسْتَعِظ .
 (٢) النَّادُ : النَّزْوَةُ . وَأَجْهَدُ الشَّيْبُ : كَثُرَ وَأَسْرَعَ .
 (٣) السَّبِيلَةُ كَالسَّبِيلِ أَيْ الطَّرِيقِ .
 (٤) مُخْلِدِي : جَاعِلُنِي خَالِدًا .
 (٥) الْإِلَاقُ : الْبَرْقُ الْكَاذِبُ الَّذِي لَا مَطْرَ لَهُ . وَالسُّفْلُ نَقِيعُ الْعُلُوِّ .
 (٦) يَمَّ : قَصَدَ . وَتَأَلَّدَ : تَحَيَّرَ .
 (٧) الْمُتَمَدِّدُ : الْهَاطِلُ . تَمَدَّدَ : مَاطَلَهُ .
 (٨) مَغْدَتِي : غِذَاؤُهُ وَنَعْمَتُهُ .
 (٩) الْغَصْنُ الْأَمْرَدُ : الَّذِي جَرَدَ مِنْ وَرَقِهِ .

٦١٥ تَجَلَّاهُ وَجْهَهُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ (١)
 وَقَرَّدَ (٢) فِي عُرْفِ الْإِلَهِ كَمُنْدَدٍ
 وَلِلَّهِ شَرْقٌ مِنْ جِهَاتٍ وَمَغْرِبٌ
 وَلَكِنَّمَا وَجْهُهُ الْهُدَى فِي التَّزَوُّدِ (٣)
 بِمَكَّةَ صَلَّى النَّاسُ ثُمَّ يَشْرَبُ
 إِلَى الْقُدْسِ فِي سَاكُوتِهِ الْمَتَهُودِ (٤)
 بِمِيدَانِهِ (٥) أَنْجَادُ دِينٍ وَحِكْمَةٍ
 أَطْلَتْ عَلَيْهِ فِي عُلَا مُتَأَبِّدٍ (٦)

(١) أراد اليعربى الآية الكريمة : « وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمُّ وَجْهُهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » . وقيل إن ذلك محمول على النفس في السفر أو تعذر معرفة القبلة .

(٢) قرَّد اسم جبل . ومُنْدَد : موضع من مواضع العرب .

(٣) يريد التزود بالتقوى .

(٤) الساكوت : السكوت . والمتهود هنا : المطمئن الساكن . وقد

ظلت القبلة نحو بيت المقدس من بدء شريعة الصلاة إلى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة على حد بعض الأقوال ، وإلى جمادى الآخرة في رأى الجمهور الأعظم ، وقيل غير ذلك .

(٥) بميدانه : بمحذاته .

(٦) المتأبد : الذى صار أبدياً .

وَمِنْ سَبِيلٍ ^(١) مَا حَوْلَهُ مِنْ مَحَاقِلٍ
 وَيَرْفُلُ فِي زَيْتُونِهِ الْمُتَعَمِّدُ ^(٢)
 ٦٢٠ إِلَيْهِ سَرَى فَوْقَ الْبَرَقِ « مُحَمَّدٌ »
 بَعَزْمِ نَبِيٍّ وَابْنِثَاقٍ مُوَجِّدٍ ^(٣)
 وَمَيْدَى ^(٤) لِقَاءِ اللَّهِ حَلَقَ فِي السَّمَاءِ
 وَلَمْ يَلْقَ فِيهَا مِنْ رِثَاجٍ مُؤَصِّدٍ ^(٥)
 وَصَلَّى إِمَامًا وَالنَّبِيُّونَ خَلْفَهُ
 فَيَا لِمَقَامٍ فِي السَّرَى مُتَرَدِّدٍ ^(٦) !
 يُلْقِنُهُ الْخَلَّاقُ دِينًا وَحِكْمَةً ^(٧)
 وَمَا كَانَ وَجْهُهُ اللَّهُ بِالْمُتَبَعِّدِ

(١) السَّبِيلُ : السُّبُلُ ، والمحَاقِلُ : المزارع .

(٢) المتعمد : الطرى .

(٣) المؤجد : المقوى .

(٤) ميدى : من أجل .

(٥) الرِّثَاجُ : الباب العظيم أو المخلق ، والمؤصد : المخلق .

(٦) متردد : مهتز نعمة .

(٧) ثابت من الكتاب والحديث أن المصطفى صلى الله عليه وسلم رأى في

ليلة الإسراء ما هو مذكور من آيات ربه وأوجه عقابه وثوابه ،
 وتلقى أصول الصلوات الخمس وأوقاتها ، إلى غير ذلك مما اختص به الله
 عز وجل نبيه الكريم .

عَلَى أَنْ يَنْتَ اللَّهُ أُولَى بِأَحْمَدٍ
 وَإِنْ يُنْسَ يَنْتَ اللَّهُ فِي النَّسْكِ يَأْمَدُ^(١) ..
 ٦٢٥ لَدِيدَاهُ^(٢) نُورٌ ، وَالنَّوَابُ عَطَاؤُهُ
 وَيَقْبِسُ مِنْ لَاهُوتِهِ الْمُتَفَرِّدُ
 وَشَاهِدَةٌ^(٣) مِنْ تَحْتِهِ قَرُوهَا قَرَى
 مَشِيدٌ^(٤) وَإِنْ كَانَ الذَّرَى مِنْ تَكْلُدِ
 مَلَأَ^(٥) نَحْوَهُ مَلُوءًا عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ
 حَجِيجٌ مُنِيبٌ ، أَوْ عَلَى ظَهْرِ مُلْبَدٍ^(٦)
 أَثِيتٌ^(٧) كَيَوْمِ الْحَشْرِ أَتَعَبَ مَنْ كَبَا
 وَقَلْبٌ لَهُ مِنْ لَذَّةٍ غَيْرِ مُكْهَدٍ^(٨)

-
- (١) يَأْمَدُ : يَغْضَبُ .
 (٢) لَدِيدَاهُ : جَانِبَاهُ .
 (٣) الشَّاهِدَةُ هُنَا : الْأَرْضُ . وَالْقَرَى : الْقَصْدُ وَالتَّنَجُّعُ . وَالْقَرَى : الضِّيَافَةُ
 وَطَعَامُ الضَّيْفِ .
 (٤) مَشِيدٌ : نَاعِمٌ . وَالتَّكْلُدُ : الْغَلْظُ وَالشَّدَّةُ .
 (٥) مَلَأَ مَلُوءًا : سَارَ سَيْرًا شَدِيدًا .
 (٦) أَلْبَدُ الْفَرَسِ : شَدَّةُ الْرُكُوبِ . فَهُوَ مُلْبَدٌ .
 (٧) أَثِيتٌ : كَشِيفٌ .
 (٨) أَكْهَدُ فَهُوَ مُكْهَدٌ : تَعَبٌ .

وَأَنَّ لَطَفَ فِي السَّمَاءِ تَقَلُّبًا
 وَوَجْهًا تَرَاى مَدَّهُ فِي التَّنَجُّدِ^(١)
 ٦٣٠ فَنِي فَلَقِ^(٢) أَوْ فِي ظَهْرِيَّةِ إِلَاقِ
 وَفِي اللَّيْلِ يَبْنِي قَبْلَةَ الْمُتَوَكَّدِ^(٣)
 وَلِلْوَحْيِ إِبَانٌ وَلِلَّهِ حِكْمَةٌ
 وَلَيْسَ يُبَيِّنُ الْأَفْقُ إِنْ قُلْتَ أَجِيدُ^(٤) .
 تَمَهَّلْ رَسُولَ اللَّهِ غَيْرَ مُذَكَّرٍ^(٥)
 فَإِنَّ أَوَانَ الذِّكْرِ عِنْدَ الْمُؤَمِّدِ^(٦) ..
 أَجَلٌ أَنْتَ تَهْوَى أَنْ تَرَى الْبَيْتَ قَبْلَةَ^(٧)
 فَقُلْ مَا تَرَى عِنْدَ التَّوَسُّلِ وَازْدَدَ

-
- (١) مَدَّهُ : مداه . والتنجُّد : الارتفاع .
 (٢) الفلق : الصبح أو ما انفلق من عموده أو الفجر . والإلق : المتألق .
 أى اليوم الذى تألقت شمسهُ .
 (٣) المتوكَّد : المتأكد .
 (٤) أجمدت السماء : أصبحت . وأجيد أى كن صحواً . يريد أن يقول ان
 الوحي وموعده شأن من شؤون الله تعالى ، كالصحو والغمام ، ولايكفى
 أن تقول للغمام انقشع لينقشع ويصحو الجو .
 (٥) أى غير مذكر بوجوب التمهَّل ، تأدباً لمقام النبي الكريم .
 (٦) الذكر : القرآن . والمؤمِّد : الذى يُبَيِّنُ الأمد وهو الله تعالى .
 (٧) ورد فى كتب السيرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن تكون
 قبلته الكعبة .

وَقَدْ شَرَكُمُ^(١) ذَابُ الْيَهُودِ وَعَابُهُمْ
وَإِنَّ الَّذِي يُؤْتِي النُّبُوَّةَ يُنَادِ^(٢)

٦٣٥ وَكَدَتْ^(٣) تَبَاعًا لِإِخْلِيلَ وَآلِهِ
فَأَنْتُمْ لَهُ كَالْمَحِّ فِي وَسْطِ غَرْقَدِ^(٤)

وَتَكَرَّهُ أَنْ تَسْتَدِيرَ الْبَيْتَ وَجْهَهُ^(٥)

مَقَامُ عَالَاءٍ فِي سَمَاءٍ مُبَجَّدِ^(٦)

فَقُلْتُ إِبْرِيْلُ : وَدِدْتُ لَوْ أَنَّنِي

إِلَى قِبْلَةٍ أُخْرَى أَصَلَّى يَمْنَدَدِ^(٧) .

(١) شركم : عابكم . والذاب : اللزم . والعاب : الوصمة إذا بلغه صلى الله عليه وسلم أن اليهود قالوا : يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا . وفي لفظ قالوا للمسلمين : لو لم تكن على هدى ماصليتم لقبلتنا فاقتديتم بنا فيها .
(٢) يناد : يحسد .

(٣) كدت هنا بمعنى أردت . ففي قول أنه صلى الله عليه وسلم كان يجب أن يستقبل الكعبة محبة لموافقة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكرهة لموافقة اليهود ، ولقول كفار قريش للمسلمين : لم تقولون نحن ملة إبراهيم وأنتم تتركون قبلته وتصلون إلى قبلة اليهود !

(٤) الغرقد : بياض البيض فوق المح .

(٥) وجهه أى ناحيته . وقد كان صلى الله عليه وسلم لما هاجر إذا استقبل صخرة بيت المقدس يستدير الكعبة . فشق ذلك على قلبه .

(٦) المبعجد : المقيم .

(٧) يندد : اسم آخر للمدينة المنورة .

وَفِي نَهْرٍ ^(١) مَدَّ النَّهَارُ بِأُفْقِهِ
 وَثُمَّ غَمَامٌ كَالْقَطِيعِ ^(٢) الْمُنْدَدِ
 إِلَى أُمِّ بَشَرٍ ^(٣) سَارَ طَهَ وَصَحْبُهُ
 وَكَانَتْ أَعَدَّتْ مِنْ ثَمَارٍ وَمُعَقَّدٍ ^(٤)
 ٦٤٠ وَحَانَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالشَّمْسُ جَذْوَةٌ
 وَأَطْرَافُهُمْ بُلَّتْ بِمَاءٍ مُمَهَّدٍ ^(٥)
 فَنَصَّ ^(٦) أَمِينُ اللَّهِ جِبْرِيلُ آيَةً
 إِلَى الْمُصْطَفَى فِي لَهْفَةٍ الْمُتَنَشِّدِ ^(٧) ..

- (١) تقول نهار أنهر ونهر مبالغة في نعت النهار بالضياء . ومد النهار : ارتفع .
- (٢) المندد : الذي نددته مندد أى فرقه . كناية عن أنه سحب صيف .
- (٣) هى أم بشر بن البراء بن معرور من بنى سلمة ومن خيار المسلمين الصالحات وكانت صنعت لرسول الله صلى الله وسلم وليمة .
- (٤) معقد : مطبوخ .
- (٥) البلب هنا من أثر الوضوء . والماء الممهد : الفاتر من حرارة الجو .
- (٦) نص : رفع . والآية قوله تعالى : « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ » . وما تبعها من آيات القبلية الشريفة .
- (٧) المتنشد : الذى يتنشد الأخبار ليعلمها .

بِهَا ضَاءُ يَنْتُ اللَّهُ فِي الدِّينِ قِبْلَةً
 لِكُلِّ قَرِيبٍ فِي صَلَاةٍ وَأَبْعَدِ
 وَأَخِرُ صَفٍّ صَارَ لِلنَّاسِ أَوَّلًا
 وَمَنْ يَكُ ذَا حِرْصٍ عَلَى الْوَحْيِ يَأْفِدُ^(١)
 وَأُطْلِقَ نَعْتُ الْقِبْلَتَيْنِ تَيْمُنًا
 عَلَى مَسْجِدٍ فِي يَثْرِبِ الْخَيْرِ مُفْرَدٍ^(٢)
 ٦٤٥ فَمَا لِيَهُودٍ وَالْأَلَى ضَلَّ وَبِهِمْ^(٣)
 بِقِبْلَتِنَا . ؟ بَلَّ وَبِهِمْ فِي التَّنْقِيدِ^(٤) ...

(١) أفد من باب تعب : عجل . والذي حدث على وجه التفصيل هو أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بأصحابه في مسجد هناك ،
 فلما أتم ركعتين نزل جبريل فأشار إليه أن صل إلى الكعبة واستقبل
 الميزاب . فأستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة ، واستدار
 النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فقد تحول من مقدم المسجد
 إلى مؤخره . قيل وكان ذلك وهم راكعون . هذه هي الرواية المشهورة
 وفي رواية أخرى أن هذا التحول في القبلة كان بمسجده صلى الله عليه
 وسلم بالمدينة .

(٢) أفرده فهو مفرد : عزله فهو معزول أى معزل .

(٣) الوبه : الفطنة .

(٤) التنقيد : تمييز الدراهم وغيرها ، فهو اختصاصهم .

يَقُولُونَ : مَا وَلَّهُمْ عَنْ سَبِيلِهِمْ
وَفِيهِمْ مِنَ الْبُشْرَى وَجِيعَةٌ أَكْبَدُ (١) ...
أَلَا فَلْتَكُنْ فِيهِمْ لِهَابًا (٢) وَغُصَّةً
تَوْؤُبُ .. وَإِنْ يُسْتَرَخَ عَنْهَا تَزِيدَا
مَذْمَةً ذِي أَيْدٍ لَدَى الشَّعْرِ نَابِغٍ
يَحْطُ نُضًا — أَرَأَيْتَ مِنْ قَرِيضٍ بِقَرْمَدٍ (٣) ..
يُمَحْضِنَا الْخِلَاقُ قَلْبًا وَقَالِبًا
وَأَيْسَ عَصَى مِنْ عِبَادٍ كَتَيْبٍ (٤)
٦٥٠ وَإِنْ لَوْدَتِ (٥) نَفْسٌ سَجَا الْكُفْرُ دُونَهَا
وَأَخْبَثُ نَفْسٌ فِي الْوَرَى نَفْسٌ أَقْوَدُ (٦)

(١) الأكد : من نهض موضع كبده . وذلك من الحسد ونكاية الله بهم .
يشير إلى قوله تعالى : « سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ
عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

(٢) الهاب : اللهب . (٣) القرمد هنا : الزعفران .

(٤) كتيبد : كذاول ينقاد بسرعة . قال تعالى « وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ

عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ

وَإِنْ كُنْتُمْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ

إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ » .

(٥) لود : لم يمل إلى عدل ولا انتقاد لأمر .

(٦) الأقود : الشديد العنق كناية عن العناد .

أَيَّرَزُقْنَا الْخَلَاقُ مِنْ كُلِّ مَا كَدِ^(١)

فَنَبْخَلُ فِي إِيْمَانِنَا بِالتَّكْدِ؟

وَنَدْفَعُ مَعْدَ^(٢) الْعَيْشِ بِالْمَعْدِ مِنْ نَهْيِ

وَنَجْهِمْ^(٣) إِقْبَالَ الدُّنْيَا بِالتَّبَعِ دِ؟!

مَنَاسِكُ الْحَجِّ

وَبَسْمَلِ^(٤) فِي صَلَاقِ الْجِهَادِ مُحَمَّدُ

فَلْيَتَّبِعْهُ عَرَبَاءُ يَهْتَفِ التَّشْهيدُ

فَضَا^(٥) بِهِمُ الْإِيْمَانُ فِي الْيَمِينِ رُقْمَةً

بِكُلِّ أَخِي بَأْسٍ وَطَرَعِ أَنْجِدِ^(٦)

(١) ما كد : دائم لا ينقطع.

(٢) المعْد : الناعم . والمعد : الضخم الغليظ والغلظ .

(٣) نَجْهِمْ : نستقبل بوجه كريبه .

(٤) بسمل : قال بسم الله الرحمن الرحيم . والصلق : الصوت الشديد .

(٥) فضا : اتسع .

(٦) طلاع أنجد : ضابط للأمور .

٦٥٥ أَنَاسِيَّةٌ ^(١) آنَسْتُ فِي الْهِيتِ زَحْفَهُمْ
وَفِي إِرَمٍ ^(٢) تُفْضِي إِلَى صَفْحٍ مَّابِدٍ
لَهُمْ أَهْلَةٌ ^(٣) الْإِسْلَامِ لَا أَهْلَةُ الْحِمَى
وَطَفْنُهُمْ فِي الْكُفْرِ طَفْنُ الْقَفْنَدِ ^(٤)
مَشَوْا بِكِتَابِ اللَّهِ فِي نَجْدِ أَرْضِهِمْ
وَتَهْمَتَهَا ^(٥) مَا بَيْنَ رَضْوَى وَمُنْشَدٍ
وَجَاسُوا خِلَالَ الرُّومِ حَرْبًا وَجَزِيَّةً
إِذَا هُمْ أَبَوَا فِي اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ
وَحَارُّوا ^(٦) إِلَى كِسْرَى يَفْلُونَ مُلْكَهُ
وَمِنْ بَعْدِ كِسْرَى فِي دِيَارِ الْمَهَنْدِ ^(٧)

(١) الأناسية: الأناسي . وآنستُ : سمعت والهيئت : الغامض من الأرض .

(٢) إِرَم : مدينة أو لعلها كانت إذ ذاك أطلال مدينة لقبيلة عاد . وهي

ذات العباد المشهورة . والصَّفْح : السفح . ومأبد : اسم جبل .

(٣) الأهْلَةُ : الأهل يقول إن كل مسلم منهم وكل كافر ليس منهم دون
نظر إلى حدود الأوطان .

(٤) القفند : القوى العظيم الألواح المتين التركيب .

(٥) التهمة : لغة في تهامة . ورضوى جبل قرب المدينة المنورة . ومنشد :

موضع بينها وبين ساحل البحر . والمراد أنهم مشوا بكتاب الله في
السهل والجبل .

(٦) حاروا : رجعوا .

(٧) أي في الهند وإليها ينسب السيف المهند .

٦٦٠ بِأَكْمَلِ دِينٍ قَامَ فِي الْأَرْضِ دَاعِيًا
 إِلَى الصَّوْبِ ^(١) تَنْزِيلًا عَلَى خَيْرِ مُوفِدٍ
 فَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ الَّتِي عَمَّ نُورُهَا
 وَأَصْبَحَ بَيْتُ اللَّهِ كَعْبَةً سَرْمَدٍ ^(٢)
 يَلِيقُ ^(٣) بِهِ مَنْ لاقَ بِاللَّهِ قَلْبُهُ
 وَيَهْوَى إِلَيْهِ وَهُوَ مِنْ وَجْدِهِ صَدٍ ^(٤)
 وَيُؤْنِئُهُ الرَّحْمَنُ فِي كُلِّ مَوْسَمٍ
 بِبَحْرِ خَضَمٍ مِنْ حَجَّيجٍ مُزَوَّدٍ
 أَرَادَ بِهِ رُكْنًا مِنَ الدِّينِ قَائِمًا
 وَخَلَدَهُ رِزْقًا لِبَيْتٍ مُخَلَّدٍ
 ٦٦٥ هُوَ الْحَجُّ . مَا أَصْفَاهُ لِلنَّاسِ فُرْصَةً ^(٥)
 وَأَيْسَرَهُ فِي مَحْوَ ذَنْبٍ مُسَهَّدٍ

(١) الصَّوْبُ : لغة في الصواب .

(٢) السَّرْمَدُ : الدائم . أى كعبة دين دائم إلى يوم القيامة .

(٣) يَلِيقُ : يَلِصُقُ .

(٤) صَدٍ : ظامئ .

(٥) فُرْصَةُ النهر : ثَلْمَتُهُ الَّتِي يَسْتَقِي مِنْهَا .

عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يَا خَيْرَ طَائِفٍ
 بِهَذَا الْمَنَارِ الْأَخْرَوِيِّ الْمُحْتَسِدِ ^(١) ..
 لِعَشْرِ ^(٢) خَتَمَنَ الدِّينِ مِنْ بَعْدِ هِجْرَةٍ
 إِلَى يَثْرِبٍ فِي مَوْئِلٍ ثُمَّ مُوَبَدٍ ^(٣)
 عَلَى رَأْسِ آلَافٍ ^(٤) كَمَا الِيمُ مَائِجٌ
 يُجْمَعُ فِي وَادٍ وَيَعْلُو بِمَنْجَبٍ ^(٥)
 وَفِي رَكْبِهِ أُمَاتُنَا ^(٦) فِي هَوَادِجٍ
 تَسِيرُ الْهُوَيْنَا فِي رِعَايَةِ مُجْمَدٍ ^(٧)

(١) خَتَمَدَهُ فَهُوَ مُحَمَّدٌ : اخْتَارَهُ لَخُلُوصِهِ وَفَضْلِهِ .

(٢) الَّذِي عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ هُوَ أَنَّ حِجَّةَ الْوُدَاعِ الَّتِي قَصَدَهَا الْيَعْرَبِيُّ كَانَتْ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَفَرَضَ الْحُجَّ كَانَ سَنَةَ سِتٍّ — وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعَشْرٍ وَبِالْقَوْلِ الْآخِرِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ، وَمَنْ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ حِجَّةَ الْوُدَاعِ كَانَتْ عَلَى الْفُورِ . وَخَتَمَنَ الدِّينَ أَيَّ تَمَّ بِهِ نَزُولُ الْوَحْيِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . (٣) مُوَبَدٌ : مُسْفَرَدٌ .

(٤) عِنْدَ خُرُوجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحِجَّةِ الْوُدَاعِ أَصَابَ النَّاسَ بِالْمَدِينَةِ جَدْرِيٌّ أَوْ حَصْبَةٌ مَنَعَتْ كَثِيرًا مِنْهُمْ مِنَ الْحُجِّ مَعَهُ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ مَعَهُ جَمُوعٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . قِيلَ كَانُوا أَرْبَعِينَ أَلْفًا وَقِيلَ سَبْعِينَ أَلْفًا وَتِسْعِينَ أَلْفًا إِلَى الْمِائَةِ وَالْعِشْرِينَ أَلْفًا أَوْ أَكْثَرَ . (٥) الْمَنْجَدُ : الْجَبِيلُ .

(٦) أُمَاتٌ كَأُمَمَاتٍ جَمْعُ أُمَّ . وَأُمَمَاتُنَا أُمَمَاتُ الْمُؤْمِنِينَ هُنَّ نِسَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ مَعَهُ فِي الْهُوَادِجِ .

(٧) بِمُحَمَّدٍ : أَمِينٌ بَيْنَ الْقَوْمِ .

٦٧٠ تَطَيَّبَ أَزْكَى النَّاسِ طَيِّبًا وَجَلُودًا^(١)
وَأَحْرَمَ يَسْعَى كَالْجَنَى^(٢) الْمَتَجَرِّدِ..
فَبَزَّ جَمَالًا حُسْنُ يُوسُفَ فِي الْوَرَى
وَفَاقَ وَسَامًا كُلَّ غَضٍّ وَأَمْلَدَ
وَفِي الْعَرَضِ^(٣) الْقَصُوءَ وَالْخَلْقُ حَوْلَهَا
مُشَاةً وَرُكْبَانًا وَمِنْ كُلِّ جَرْهَدٍ^(٤)
أَرَنَ^(٥) بِهِمْ جَوْزُ الْفَلَاةِ مِنَ الصَّدَى
إِذَا مَا تَنَادَى الرَّهْطُ أَوْ قِيلَ أَوْسَدِ^(٦) !

(١) الجلوة : لمعان الوجه والزينة . وقد كان خروجه صلى الله عليه وسلم
نهار الخميس است بقين من ذى القعدة سنة عشر بعد أن ترجل وادّهن
وصلى الظهر ؛ وبعد ما طاف بفسائه اغتسل وتطيب بذريعة هي نوع
من الطيب مجموع من أخلاطه المختلفة ، ثم أحرم وتجرد في إزاره
وردائه ولم يغسل الطيب بل كان يرى في مفارقة ولحيته الشريفة

(٢) الجنى : كل ما يحنى من فاكهة وغيرها . والمتجرد هنا : الذى خرج من
لفائفه . شبه المصطفى صلى الله عليه وسلم في حال إحرامه وتجرده من
ثيابه بالفاكهة تخرج من لفائفها عند نضجها .

(٣) العَرَضُ : الوادى : والقصواء : راحلته صلى الله عليه وسلم .

(٤) جَرْهَد كَجَرْهَد : سيار نشيط .

(٥) أَرَنَ : صاح . والجَوْزُ : وَسَطُ الشَّيْءِ ومعظمه .

(٦) أَوْسَد : أسرع في السير .

يَشِيمُونَ^(١) بَرَقًا فِي مَصَابٍ وَمَشْرِقًا
كَمَا نَضَّتِ الْحُسْنَاءُ سِثْرَ الْمُوصَّدِ^(٢) ..
٦٧٥ مَلَائِكَةُ الْآنَاسِ^(٣) وَالْحَجُّ دُونَكُمْ
تُوفُونَ فِي إِيْتَائِهِ حَقَّ مُجْمِدِ^(٤)
عَلَى هَذَبٍ^(٥) تَمْشُونَ إِنْ سَارَ سَائِرُ
عَلَى غَبَسٍ^(٦) مِنْ ذَنْبِهِ الْمُتَجَسِّدِ ..
وَمِنْ ذِي طَوِي^(٧) تُلْفُونَ بَكَّةَ وَالصَّفَا
تَأْتِقُ فِي نَجْدٍ مِنْ الدِّينِ مُنْهَدِ^(٨)
أُمُونًا^(٩) عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَأَهْلِهِ
وَزَمَزَمُ تَرَوِي غُلَّةَ^(١٠) الْمُتَوَرَّدِ

-
- (١) يشيمون : ينظرون ويرقبون . والمصَاب : حيث يقع المطر .
(٢) الموصَّد : الخدر .
(٣) الآناس كالآناسي .
(٤) حق مجمّد هنا أى حق الله تعالى الذى أجمده على عباده أى أوجبه .
(٥) الهذب : الصفاء والخلوص .
(٦) الغبس : الظلمة .
(٧) هو موضع فى طريق مكة .
(٨) منهد فى هذا المقام بمعنى معظّم عالٍ قدره .
(٩) أمونا : مؤتمنة .
(١٠) الغلة : حرارة العطش . والمتورد : الذى طلب الورد .

وَفِي عِنْدٍ ^(١) عِنْدَ الْحُطِيمِ جَلَالَةٌ
 رَنَتْ لِحَجِيجٍ خَاشِعٍ مُتَحَشِّدٍ
 ٦٨٠ هِيَ السَّكْبَةُ الشَّمَاءُ يَا أَهْلَ يَثْرِبِ
 تَهِيًّا بِالْأَحْضَانِ لِلْمُتَوَجِّدِ ^(٢) !
 رَدُّوْهَا ضَحَى فَالَرَّكْبُ قَدْ جَاءَ ضَاحِيًا
 صَبِيحَةَ لَيْلٍ فِي الْمَشَارِفِ أَنْقَدِ ^(٣)
 وَجَازَتْ كَدَاءً ^(٤) أَنْضَرُ الْعَيْسِ غُرَّةً
 وَأَكْثَرُ غَيْدِ الْعَيْسِ زَهْوًا بِمَحْفَدِ ^(٥)
 تَحْنُ إِلَى بَابِ السَّلَامِ وَعِنْدَهُ
 تَرْجَّلَ طَهَ فِي مُنَاخِ التَّوَرْدِ ^(٦)

(١) العند : الجانب ، والحطيم قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الجدر
يعنى جدار حجر السكبة .

(٢) المتوجد : الشاكي .

(٣) الليل الأنقد : الذى لم يئمه النائم كله .

(٤) كداء أو ثنية كداء هو الموضع الذى دخلوا منه مكة ، وهى التى ينزل
منها إلى المعلاة مقبرة مكة وتسمى أيضاً بالحجون . وأنضر العيس غرة
هى القصواء راحلته صلى الله عليه وسلم .

(٥) المحفد فى هذا الموضع : أصل السنام .

(٦) التورد : الاشراف على الماء وغيره عند القدوم .

بِكَفَّيْنِ لِلَّهِ الْعَلِيِّ دُعَاهُمَا
 وَوَجَدَ إِلَى مَكْنُونَةِ الْمُتَوَحِّدِ ^(١)
 ٦٨٥ فَطَافَ ثَلَاثًا رَامِلًا ^(٢) ثُمَّ أَرْبَعًا
 بِسَيْرٍ رَفِيقٍ خَطْوٍ غَيْرِ مُجَوِّدٍ ^(٣)
 وَقَاضَ بِهِ دَمْعُ الْهَوَى عِنْدَ أَسْعَدٍ ^(٤)
 لَهُ الْمَجْدُ مَا دَامَتْ حَيَاةٌ لِأَسْعَدِ
 وَصَلَّى لَدَى وَجْهِ الْمَقَامِ ^(٥) وَزَمَزَمًا
 أَتَاهَا بِإِقْبَالِ الْأَخَا ^(٦) الْمُتَوَدِّدِ
 يَقُولُ لَهَا إِنِّي أَجَادُ ^(٧) إِلَى اللَّقَا
 وَأَنْهَلُ مِنْ سَلْسَالِكَ الْمُتَجَوِّدِ ^(٨)

(١) أراد السكبة المشرفة . والمتوحد هو الله عز وجل فهو الأوحد والمتوحد
 (٢) أى أنه صلى الله عليه وسلم رمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة فأتى سبعة
 أشواط والرمل : الهرولة .

(٣) غير مجوّد : غير مسرع .

(٤) أى عند الحجر الأسود .

(٥) صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين عند المقام قرأ فیهما بقل
 يا أيها الکافرون وقل هو الله أحد . وجعل المقام بينه وبين السكبة .

(٦) الأخ : لغة فى الأخ . (٧) أجاد : أشتاق .

(٨) المتجود : الذى يتخير الجيد من كل شئ .

سَلَامٌ عَلَى مَاءِ سَلَامٍ عَلَى طَلِيٍّ ^(١)
 وَذَوْبٍ جُجَانٍ سَائِغٍ مُتَنَوِّدٍ ^(٢) ..
 ٦٩٠ وَصَوَّبَ الصَّفَا سَارَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
 فَرَقَّ هَسِيدِسٌ ^(٣) مِنْ نِجَادٍ وَأَوْهَدٍ
 وَحَيًّا الْحَسَى ^(٤) بِالمَاءِ بَجَلًا كَأَنَّمَا
 يُعِيدُ لِقَاءَ مَنْ زُلَالٍ مُوَهَّدٍ ^(٥)
 سَعَاهُ ذَمِيلًا ^(٦) أَوْ عَلَى لِبْسٍ رَحِيلٍ
 وَقَدْ زُحِمَ الْمَسْعَى بِسَيْرٍ مُحِيدٍ ^(٧)

-
- (١) الطلى : اللذة .
 (٢) متنوّد : متحرك .
 (٣) الهسيس : الكلام الخفى . والأوهد : الوهاد وهي الأرض المنخفضة .
 (٤) الحسى : ماء يغور فى الرمل ويوافق تحته صلابة فاذا كشف عنه الرمل وجد قريباً . وبجلاً أى رمياً .
 (٥) موهد : ممهد .
 (٦) سعاه أى سعى السعى ما بين الصفا والمروة . والذمیل : سير سريع .
 واللبس : الكسوة . فانه صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى الصفا قرأ
 إِنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ من شعائر الله . . ابدأوا بما بدأ الله به . فسعى
 بين الصفا والمروة على قدميه، فلما تكاثر الناس حوله ركب راحلته وأتم
 السعى سبعاً . وقد رقى الصفا واستقبل الكعبة مكبراً موحداً وفعل على
 المروة مثل ذلك . وأمر من لم يكن معه هدى بالإحلال وأن يجعلها
 عمرة فقط دون الحج .
 (٧) السير المحيد : الذى جعلت فيه حيود أى ميل من شدة الزحام .

وَفِي أَقْوَسٍ ^(١) مُعْشَوِشٍ هَدَىٰ أَحْمَدُ

كَمَا شَدَّتْ عَدَا مِنْ فُحُولٍ وَوُلْدٍ ^(٢)

فَلَمَّا اعْتَلَىٰ رَكْبُ النَّبِيِّ ^(٣) مِنَّا مَنِي

وَأَنْقَدَ ^(٤) مِنْهُ مَا بَدَأَ غَيْرُ مُنْقَدٍ

٦٩٥ أَتَىٰ عَرَفَاتَ الْيُمْنِ سَبْطًا ^(٥) يَفَاعُهَا

وَفِيهَا الْحَصَىٰ دُونَ الشَّمَاعِ كَخَرْدٍ ^(٦) ..

تَلَبَّثَ طَهَ سَاعَةً تَحْتَ قُبَّةٍ ^(٧)

مِنَ الشَّعْرِ الْإِبِلِيِّ ^(٨) عِنْدَ التَّوَفْدِ

(١) الأقوس : المشرف من الرمل . والهدى : ما يهذى إلى الحرم من النعم .
وكان صلى الله عليه وسلم قد ساق معه ثلاثاً وستين بدنة .

(٢) الولد : جمع الولود .

(٣) منا : مقابل وحذاء .

(٤) أنقد : أورد . أى أورد منه ما بدا فى غير ذلك الوقت غير موزق .

(٥) سبط : سهل حسن . واليفاع : الأرض المتسعة مع ارتفاع .

(٦) الخرد : اللالى لم تشقب .

(٧) هذه القبة من الشعر كانت أعدت للبصطفى صلى الله عليه وسلم هناك
ليستريح فيها .

(٨) النسبة إلى الإبل إبل . وسكنت لضرورة الشعر . والتوفد : الإشراف
على الشئ أو المكان .

وَزَالَتْ ذُكَاكُ^(١) وَالْوَرَى ثَمَّ لُجَّةٌ
يُجَاكُ إِلَى لُجٍّ مَكُوبٍ وَمُوفِدٍ^(٢) ..
وَفِي الشَّيْمِ^(٣) أَقْوَامٌ وَشُذَّانُ أُمَّةٍ
يُهِلُّونَ بِالتَّحْمِيدِ لَا بِالتَّحْمِيدِ^(٤)
فَشَدَّتْ لَهُ الْقَصَوَاءُ حَتَّى أَتَى بِهَا
رَجَاً^(٥) الشَّهْبِ فِي أَوْجٍ مِنَ الْحَقِّ مُجْهِدٍ
٧٠٠ أَلَا لَيْتَنِي لَمْ أَخَى إِلَّا سَوِيْعَةً
تَمَلَّتْ بِهَا الْأَذَانُ آيَاتِ أَحْمَدٍ
وَفِي الْأَفْقِ لَوْنُ الْأَرْجُوانِ وَعَسَجَدُ
تَأَلَّقَ حَتَّى لَاحَ كَالْتَّوَقُّدِ ..
رَأَتْ أُمٌّ مِنْ قَبْلِ مُوسَى وَصَالِحاً
وَعِيسَى وَجِيهاً فِي حَيَاةٍ وَمَوْلِدِ

(١) ذكاء من أسماء الشمس .

(٢) موفد في هذا الموضع بمعنى مرتفع .

(٣) الشيم : النظر . وشذان أمة أى ما تفرق منها .

(٤) التحمد : المنُّ وأن يُرى المرءُ الناسَ أنه محمود .

(٥) الرجا : كل ناحية . والشَّهْب : المستوى من الأرض في سهولة .

وأجهد الحقُّ وغيره فهو مجهد : ظهر .

وَنُوحًا عَلَى رَأْسِ الْخَوَالِدِ^(١) فَلَمَّكَهُ
وَدَاوُدَ فِي الْهَيْجَاءِ كَالْمَتَوَرِّدِ^(٢)
وَأَيُّوبَ فِي لَهَبِ^(٣) الْغِيَارِ يَمْجُهُ
مِنَ الْمَاءِ حُوتٌ هَامِدًا غَيْرَ مُنْشَدٍ^(٤)
٧٠٥ وَشَاهَدَتِ الْأَرْبَابَ تَهْوِي صَرِيعةً
بِعَمَلِ إِبْرَاهِيمَ فِي يَوْمِ أَوْهَدٍ^(٥) ..
وَلَكِنَّهَا لَمْ تَذْكُرْ مِثْلَ وَقْفَةٍ
لِطَهَ النَّبِيِّ الْيَثْرِيِّ^(٦) الْمُحَمَّدا
سَيَّابَةً^(٧) جَنَّاتٍ مَشَتْ فِي عُرُوقِهِمْ
وَشَرِعةً^(٨) دِينَ خَالِدٍ الذَّكْرِ أَوْ كَدِ..

(١) الخوالد : الجبال . أى عند ما غمر الطوفان الأرض ومشى السفينة من فوق رؤوس الجبال .

(٢) المتورد : الأسد . لأنه عليه السلام كان قوياً جباراً فى الحرب .

(٣) اللهب : اللهب . والغيار : مغيب الشمس .

(٤) أى غير معروف أو غير مسترشد عنه .

(٥) أوهد كأحمد هو يوم الإثنين .

(٦) قوله اليثري هنا نسبة إلى يثرب ، لأن المصطفى صلوات الله عليه جعل المدينة وطنه الثانى بعد الهجرة وعاد إليها بعد حجة الوداع كأنما هى مسقط رأسه .

(٧) السَّيَّابَةُ : الخمر . (٨) الشَّرِعة : الشريعة .

فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ يَخْطُبُ فِي الْوَرَى
 بِحِكْمَةٍ صَيُوبٍ ^(١) وَإِسْبَاحٍ مُتَّسِدٍ
 فَيَذْكُرُ تَحْرِيمَ الدَّمَاءِ وَنَحْوَهَا
 مِنْ الْمَالِ وَالْأَعْرَاضِ ذِكْرَ الْمُنْدَدِ ^(٢)
 ٧١٠ وَفَيْدٍ ^(٣) مَا أَرْبَى الرَّبَا مِنْ سَبَائِكَ
 تُكَدِّسُ مِنْ ذُوبِ الْخَنَى ^(٤) الْمُتَلَكِّدِ
 وَلَمْ يَنْسَ أَزْوَاجَنَا هُنَّ نِصْفُنَا
 يُرْفَرُ فِينَا كَالْحَمَامِ الْمَهْدِهِ ^(٥)

- (١) الصَّيُوبُ : الصَّائِبُ . والمتَّسِدُ : المتَّانِي .
 (٢) من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » .
 (٣) فيد : أمات . لأنه صلى الله عليه وسلم وضع ربا الجاهلية أى ألغاه وأبطله .
 (٤) الخنى : الفحش والمتلكد : الذى يلزم بعضه بعضاً أو الذى غلظ لحنه . فقد قال فى خطبة الوداع : « ألا إن كلَّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع . وربا الجاهلية موضوع . وأول ربا أضع ربا العباس ابن عبد المطلب » .
 (٥) هدهد الحمام : هدر . ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالنساء خيراً وقضى لهنَّ بالرزق والكسوة بالمعروف على أزواجهن ، وقال فى خطبته : « فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف » .

فَمَكَّنَ أَسْبَابَ^(١) الشَّقَى كَأَن قُطِّعَتْ
وَدَعَّمَ صَرْحَ الدِّينِ دَعْمَ الْمَخْلُودِ
وَلَمَّا صَفَا نَفْسًا وَأَيَّقَنَ أَنَّهُ
عَلَى مَا يَرَى مِنْ مَأْتَمٍ غَيْرُ مُهْمَدٍ^(٢)
تَسَاءَلُ: «هَلْ بَلَغْتُ؟» قَالُوا: أَجَلُ أَجَلٍ
بِهَتَفٍ حَجِيجٍ فِي الْمَنَاسِكِ مُحْشَدٍ^(٣)
٧١٥ نَصَحَتْ وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ مُخْلِصًا
إِلَى أُمَمٍ عَنْ حُرْمَةِ الدِّينِ ذُوْدَا
فَاشْهَدَ^(٤) رَبَّ الْعَرْشِ وَاللَّهُ شَهِدُ
بِرَغْمٍ كَفُورٍ خَائِسٍ^(٥) أَوْ مُهْمَدٍ

-
- (١) الأسباب هنا : الحبال .
(٢) غير مهمد أى غير ساكت على ما يكره .
(٣) أحشد القوم : اجتمعوا .
(٤) ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال فى آخر خطبة حجة الوداع : « وإنيكم
لتسئلون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت
ونصحت . فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويخفها إلى الناس :
« اللهم فاشهد . . اللهم فاشهد . . اللهم فاشهد ! » .
(٥) الخائس : الغادر . والمهمد فى هذا المقام : المكذب .

كَذَلِكَ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ عَهْدِ أَحْمَدٍ
مَهِيمًا عَرِيقًا فِي جَلَالٍ وَخَفِيدٍ^(١)

تَسِيلُ لَهُ الْأَفْلَاجُ^(٢) مِنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
فَيَنْدُو مُحِيطًا مِنْ أَنْامٍ مُجْرَهَدٍ^(٣)

يُبَارُونَ بِالْغُفْرَانِ مَنْ تَاهَ بِالْذُّنَا
وَيَحْظُونَ فِي تَطَوُّافِهِمْ بِالْتَّرُّودِ^(٤)

٧٢٠ وَإِذْ يَلْتَقِي جَمْعٌ لَهُمْ فِي مَنَاسِكٍ
تُعِدُّ نَعِيمَ الْخُلْدِ لِلْمُتَوَفِّدِ^(٥)

تَجِدُ أُمَمًا بِالْحَبِجِّ تَقْضِي لِبَانَةً
وَمُؤْتَمَرًا مِنْ كُلِّ نَجْدٍ مُنْجَدٍ^(٦)

(١) المحفد هنا : الأصل والمحتد .

(٢) الأفلاج : جمع فَلَاحٍ وهو النهر الصغير . شبه بها قوافل الحج التي تأتي من كل قطر من أقطار العالم الإسلامي .

(٣) أى من خَلَقٍ مسرع .

(٤) التروُد : الاهتزاز نعمة .

(٥) المتوفد : المشرف على شيء أو مكان .

(٦) النجد : الدليل الماهر والشجاع الماضى فيما يعجز غيره . والمنجد : المجرب .

دُونِ الصِّفَا^(١) أَضْفَى بِهِاءٍ وَخُلَّةً
 بِكُلِّ وَدِيدٍ^(٢) عَالِمٍ مُتَوَكِّدٍ
 فَدَيْتُهُمْ مِنْ كُلِّ مَغْضُورٍ^(٣) غُرَّةٍ
 وَمِنْ كُلِّ شَيْخٍ هَيْبَانٍ^(٤) وَعَكْرَدٍ
 وَآلَيْتُ أَحَدُوا رَكْبَهُمْ فِي فَرَائِدٍ
 مِنَ الدَّرَرِ الْحُسْنَاءِ وَالْقَوْمِ شُهَدَى
 ٧٢٥ أَلَيْسُوا خِيَارَ النَّاسِ سَارُوا أَحِبَّةً
 كَأَرْمِيَةٍ^(٥) تُؤْتِي الصَّرَى مِنْ تَحَشُّدٍ
 وَهَمَّتْهُمْ حَذَاءٌ فِي نَيْلِ إِزْبَةٍ
 وَصَيُّورٍ^(٦) أَمْرُهُمْ لَهُ فِي تَجَرُّدٍ
 يُرِيدُونَ هَبْشًا^(٧) مِنْ مَكَانٍ تَأَمَّمُوا
 مَنَاسِكَهٖ مِنْ كُلِّ ذُخْرِ مُعْتَدٍ

-
- (١) دوين الصفا : دونه . والحلة : الصداقة .
 (٢) الوديد : الخليل . والمتوكد : القائم المستعد للأمر .
 (٣) مغضور : مبارك .
 (٤) الهيبان لغة في الهائب . والعكرد : الغلام المتقارب الحلم أو السمين .
 (٥) الأرمية : جمع رَمَى وهو السحاب . والصَّرَى : الماء المجموع .
 (٦) صَيُّور الأمر : مصيره وما يؤول إليه .
 (٧) الهبش : الجمع والكسب . أى من الثواب .

وَدِرْجًا تَقِيهِمْ شَرَّ إِصْرِ مُدَرَّعٍ
إِذَا مَا مَشَوْا لِلْحَشْرِ يَوْمَ التَّعْمُدِ

عَلَى كُلِّ آبَالٍ وَكُلِّ حَدِيدَةٍ^(١)
تُقَلِّبُ مِنْ كُشْبَانٍ ظَفْنٍ عَصَوْدٍ^(٢)
٧٣. وَفَوْقَ مُتُونِ الرِّيحِ دَانَتْ لِأَنْسَرٍ
مُحَلَّقَةٍ فَوْقَ الْأَفَا^(٣) الْمُتَوَفِّدِ..

بِهِمْ كَبَدٌ^(٤) فِي الْجِسْمِ وَالْقَلْبِ شَاكِرٌ
وَيُخَلِّبُ مِنَ الْأَبَاهِمِ شَدُوْ مُنْشِدٍ
فَمِنْ جَاوَةِ وَالسَّنْدِ تُلْفِي أَمَانِلًا
وَمِنْ جِدٍّ^(٥) كَنْجٍ كَالْخِيَالِ الْمَهْدَدِ

(١) أراد بالحديدة السيارة .

(٢) العصود : الطويل .

(٣) الأفأ : القطع من الغيم أو الذى يفرغ ماءه ويذهب . والمتوفد فى هذا الصدد : المتسابق .

(٤) الكبد : المشقة .

(٥) الجدُّ : شاطئ النهر والكنج : نهر هندى معروف . والخيال المهدهد هو الذى يخيّل للإنسان .

وَمِنْ أَجْمٍ لِلزُّنْجِ جَزَلٍ ^(١) مُجَدَّلٍ
 وَمِنْ مَصَدٍ ^(٢) فِي الصِّينِ أَذْبٍ مُورِدٍ
 وَذَلِكَ تَرْكِيٍّ وَتَأْ ^(٣) مَغْرِيَّةٌ
 وَهَذَانِ مِنْ صُقْعٍ الْخَلَا ^(٤) الْمُتَجَمِّدِ...
 ٧٣٥ مَحَاشِرُ آنَامٍ ^(٥) عَلَى سَفْحٍ سَنَمٍ
 وَفَيْضُ نُضَارٍ مِنْ ضُحَى مُتَرَدٍّ ^(٦)
 وَثَمَّ حَبِيبُ اللَّهِ قَدْ رَقَّ كَالسَّدى ^(٧)
 يَرِقُّ لِأَعْنَاقٍ مِنَ النَّوْرِ ^(٨) هُجْدٍ...

(١) جزل : غليظ .

(٢) المصد : الهضبة العالية . والأذب : العجب — أى عجيب . ومورد
أى تفتح عليه الورد .

(٣) تا : يشار بها إلى المؤنث مثل « إذا » للمذكر .

(٤) الخلا : رطب الحشيش . والمتجمد الذى جمده الثلوج ، أراد سكان
المناطق الباردة .

(٥) الآنام : الخلق كالآنام . والسمن : الارتفاع .

(٦) ضحى مترد : فى الرأد وهو ارتفاع الشمس وانبساط الضوء .

(٧) السدى : ندا الليل .

(٨) النور : الزهر . وهُجد أى نُؤم ليلا .

أَلَا أَيُّهَا الْحُجَّاجُ قُومُوا فَأَحْرِمُوا^(١)
 وَيَا أُخْتَ دَأْمَاءَ^(٢) الْغَرَانِيقِ أَزِيدِي!
 وَيَا مَنْ نَوَيْتُمْ عُمْرَةً^(٣) إِنَّهَا رِضًا
 وَجِيدٌ تَقْوَى الْمُؤْمِنِينَ كَأَجُودٍ
 فَطُوفُوا بَيْتَ اللَّهِ سَبْعًا وَهَرُولُوا^(٤)
 وَيَا كَعْبُ . طَابَ الْحُجُّ يَا كَعْبُ فَاشْهَدِي
 ٧٤ . وَقَدْ نَهَلُوا مِنْ أَسْعَدٍ^(٥) لَدَّ مِنْهَلًا
 لِكُلِّ أَخٍ فِي اللَّهِ هَيْنٍ^(٦) مُعْبِدٍ

-
- (١) أى ادخلوا فى الإحرام بشروطه من مواقيته وكل ذلك موضح فى كتب المناسك .
 (٢) الدأماء : البحر . والغرانيق : طيور بحرية .
 (٢) العمرة : الحج الأصغر ، ومناسكها كناسك الحج تماماً إلا فيما يختص بالوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ومنى ، وهى غير مقيدة بوقت معين ، بل يمكن الاعتماد فى جميع أيام السنة .
 (٤) الهرولة : الخطو السريع أو الركض الخفيف ، وتسنى للطائف حول الكعبة طواف القدوم أو الأفاضة فى الأشواط الثلاثة الأولى حالة كونه مضطجعا أى جاعلا رداءه تحت إبطه اليمنى ، معرباً كتفه ومنكبه وتسنى الهرولة أيضاً للساعى بين الصفا والمروة بين الميئين الأخضرين .
 (٥) أى الحجر الأسود كما تقدم .
 (٦) الهين : لغة فى الهين أى السهل الخلق . والمعبد : المتخذ عبداً لله .

وَحَلَفَ مَقَامٍ لِلْخَلِيلِ تَحَشُّوْا
مُؤَاكِبَةً^(١) لِلْعَتَقِ فِي مِثْلِ مُحَمَّدٍ

فَلَمَّا مَشَوْا فَوْقَ الْعَذَابِ إِلَى الصَّفَا
أَعَدُّوا لَهُ فِي سُقْعِهِ مَسِيرَ مُحَمَّدٍ^(٢)

كَمَا حَفَدَتْ زَوْجُ الْخَلِيلِ عَلَى النَّقِ^(٣)
وَمَنْ يَتَأَمَّمْ خَلَّةَ الدِّينِ يُحْمَدِ

شَعَائِرُ إِسْلَامٍ بِهَا الْقَلْبُ يَنْتَشِي
إِذَا كَانَ فِي فَجٍّ طَرُوحٍ^(٤) مُبَعَّدِ

(١) المؤاكلة : الملازمة . والعق : الكرم والجمال . يشير إلى سنة الطواف

التي تصلى خلف مقام إبراهيم إحياء لجمال الذكرى وجمال الأثر تنفيذاً
لقول الله تعالى : « وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » .

(٢) العذاب : ما استرق من الرمل . والسقع : افضة في الصقع والناحية .

والمحفد : المحمول على الحفد والأسراع . تخيل الشاعر حالة طريق
المسعى قديماً حنيناً منه إلى القدم . أما الآن فقد تطورت الحال فأصبح

المسعى من الصفا إلى المروة مبطلاً ببلاط « الموزايكو » مظلاً بمظلة
تحول دون ضربات الشمس ، مفصلاً بجازر يقسمه نصفين أيمن
للذهاب إلى المروة وأيسر للراجع إلى الصفا تخفيفاً للازدحام .

(٣) النقي : كشيبي الرمل .

(٤) الطروح : من أوصاف البعد .

٧٤٥ وَمِنْ مَكَّةَ يَمْضِي الْحَجِيجُ إِلَى مِنَى

بِمُصْطَخِبٍ كَالْمُزْلَعِبِ^(١) الْمُعَرِّدِ

وَفِي عَرَفَاتِ النُّورِ وَالْحَمْدِ وَالرِّضَا

وَشَافِيَةِ الْجُرْحِ الَّذِي لَمْ يُضْمَدِ

يَقُولُونَهَا لَبَّيْكَ .. وَالْعَرْشُ فَوْقَهُمْ

يُجَاوِبُهُمْ : لَبَّيْكُمْ خَيْرَ أَعْبَدِي^(٢) ا

يَقُولُونَهَا لَبَّيْكَ سَعْدِيكَ وَالرُّبَا

تُرَدِّدُهَا : آمِينَ ! عِنْدَ التَّصَعُّدِ

وَمِنْ عَرَفَاتٍ يَقْصِدُونَ هَشَاشَةً

لِإِزْدَافِ الْخَيْرِ الْأَغَرِّ الْمُقْنَدِ^(٣)

٧٥٠ بَهَارٌ حَوَاشِيهِ وَإِنْ كَانَ حَوْلَهُ

كُنُودٌ عَزَازٍ مِنْ حَزِينٍ وَفَدَفَدٍ^(٤)

(١) المزْلَعِب : السيل الجارف . والمُعَرِّد : النافذ من كل شيء يهدف إليه .

(٢) أَعْبَد : جمع عبد مثل عبيد وعباد .

(٣) الْمُقْنَد : المسكر . تقول سويت مقنود ومقنود أي محلى بالقند وهو حلاوة السكر أو ما يصنع من السكر .

(٤) الْبَهَار : الطيب أو ضرب منه . وَالْكُنُود : الكفور . وَالْعَزَاز : الأرض الغليظة الصلبة . وَالْحَزِين : أرض ذات حجارة مديية . وَالْفَدَفَد : ما جمع الارتفاع والصلابة والغلظ . وكل هذا وصف لأرض المشعر الحرام بمزدلفة .

وَمَشْعَرُهُ الْوُدُّ الْحَرَامُ إِيَّابَهُ
 لِكُلِّ مُنِيبٍ ضَارِعٍ الْكَفِّ مَرْتِدٍ^(١)
 يُعِدُّونَ حَصْبَاءَ^(٢) الشَّيَاطِينِ عِنْدَهُ
 يَقُولُ إِلَى الْمَأْثُورِ فِي الدِّينِ مُسْنَدٍ
 وَيَقْضُونَ لَيْلًا حَافِلًا فِي تَبْتُلٍ
 وَنَجْوَى وَأَحْلَامٍ أَطَافَتْ بِقَثْرِدٍ^(٣)
 وَيَوْمٌ مَنَى يَأْمَا أَحْيَلَاهُ مَنَسِكَا
 يُرْحَبُ بِالْخَلْقِ السَّعِيدِ الْمُهَيْدِ
 ٧٥٥ لَهُمْ لَجَبٌ إِذْ يَخْذِفُونَ عَدُوَّهُمْ
 بِسَبْعِ جِمَارٍ ثَاقِبَاتٍ كَمَسْرَدٍ^(٤)

(١) الود : الوديد والخليل . والمنيب : التائب . والمرتد : الرجل الكريم

(٢) تلتقط الحصباء أو الحصيات التي ترجم بها الجمرات الثلاث بمنى من

مزدلفة وعددها تسع وأربعون أو ست وخمسون بحجم الفولة ، ترجم

جمرة العقبة بسبع منها يوم النحر . وترجم ثلاثها كل بسبع في اليومين

التاليين لمن تعجل وفي الأيام الثلاثة التالية لمن تأخر .

(٣) القثرد : الكثرة من الناس .

(٤) يخذفون : يرمون بالأصابع . والجمار والجمرات : جمع جمرة وهي

الحصاة : والمسرد : المثقب ويقال المخرز .

فَتَهَوَّى عَلَى الشَّيْطَانِ تَجَسَّثُ رَأْسَهُ
 كَمَا اجْتَسَّتِ السُّدْرَاتِ ضَرْبَةً مِعْضَدٍ ^(١)
 فَإِنْ لَمْ تَنْلِ مِنْهُ لَدَى الرَّجْمِ مَقْتَلًا
 دَهَيْتُهُ بِمَا يَسْعَى بِهِ سَعَى أَحْرَدٍ ^(٢)
 وَعِيدُهُمْ عِيدَانِ : عِيدُ ضَحِيَّةٍ
 وَعِيدُ التَّأْخِيخِ ^(٣) الْحَجِيجِ الْمَرْفَدِ
 غَرَوْتُ ^(٤) لَهُمْ فِي هَالَةٍ مِنْ مَلَاخَةٍ
 تَعَهَّدَهَا الرَّحْمَنُ لَا مِنْ تَعَهَّدِ
 ٧٦٠ وَإِذَا مَا يُقَالُ رَكْبُ الْحَجِيجِ لِمَكَّةَ
 وَدَاعًا وَيَلْبَسُ كُلُّ ثَوْبٍ مُجَسَّدٍ ^(٥)

-
- (١) السُّدْرَاتِ : جمع سُدْرَةٍ وهى شجرة النبق . والمعْضَدُ : سيف يمتن
 فى قطع الشجر .
 (٢) الْأَحْرَدُ مِنَ الْمَطَايَا : ما يابس عصبه خَلْقَةً أو من عقال ونحوه فيخبط
 إذا مشى .
 (٣) التَّأْخِيخُ : قول المعجَّزِ المستطيب : « أخ أخ » . والمَرْفَدُ : المعظم
 والمصْطَرِ سِيدًا .
 (٤) غَرَوْتُ : عجلت .
 (٥) الثَّوْبُ الْمُجَسَّدُ : المصبوغ بالزعفران ونحوه من الصبغ الملون . كناية عن
 خلع لباس الإحرام وارتداء الملابس العادية بمختلف الألوان .

تَرَ الزَّاعِبَ ^(١) النَّشْوَانَ فِي سَرَبٍ يَثْرِبُ
فَقَوْدٍ يُزَكِّي كُلَّ يَتِّ مُصَمَّدٍ ^(٢)

أَحْكَامُ عَامَّةٍ وَحُرُمَاتُ لَبَيْتٍ

لِنِعْمِ الْبَنَى ^(٣) فِي الذِّكْرِ مِنْهُ مَنَاسِكٌ
وَجَادَ بِخَيْرٍ لِلْمُتَلَبِّينَ مُرْصِدًا

(١) الزاعب : السيل المتدافع . شبيهه به ركب الحج لضخامته وتدافعه .
والسرب : الطريق . ويثرب : المدينة المنورة . يقول إن الحجاج يندفعون
بعد الفراغ من مناسك الحج بركبهم الضخم الجسيم نحو مدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم اندفاع السيل العظيم . وشدد الرجل إلى المسجد
النبوي سنة اتباعاً لنص الحديث الشريف : « لا تشد الرحال إلا إلى
ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » .
وزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سنة . والأحوط
للدين أن ينوى الإنسان شد الرحل إلى المسجد النبوي ، فإذا حيَّاه
بصلاة ركعتين في الروضة المطهرة نوى زيارة القبر الشريف فيحصل
بذلك على ثوابين : ثواب شد الرحل وثواب زيارة القبر : أما الذي
ينوى شد الرحل إلى القبر فيخشى أن يحرم من ثواب شد الرحل
إلى المسجد .

(٢) البيت المصمد : كل بيت يُصمد إليه ويُقصد .

(٣) البنى : كل مبنى . أراد به البيت الحرام .

وَمُلْتَزِمٌ^(١) فِي صُفْحِهِ طَابَ ثَرَّةٌ
لَبَدْرٍ عَلَى رَنْدٍ^(٢) الْفَلَاحُ مُتَوَقِّدٌ
إِذَا فَاضَ رِزْقُ الْمَرْءِ عَنْ زَادِ أَهْلِهِ
وَرَاحِلَةٌ فَالْوَيْلُ لِلْمُتَرَدِّدِ^(٣) ...
٧٦٥ وَمَنْ يَكُ ذَا رُبْحٍ وَعَيْنٍ مُغَلَّةٌ
يُؤَجِّرُهَا فِي تَفْعِلِهِ^(٤) لَمْ يُحْرَمِدِ
وَمَنْ حَجَّ مِنْ مَالٍ حَرَامٍ^(٥) فَحَجَّه
صَحِيحٌ وَإِصْرُ الْإِثْمِ لِلْمُتَحَمِّدِ

(١) الملتزم : المكان الواقع بين الحجر الأسود وباب الكعبة . وهو من مقدسات البيت وعلى رأس أماكن إجابة الدعاء . والصُّفْحُ : أحد الجانبين . والنثرة : أحد منازل القمر . كأنما البيت بدر والملتزم أحد منازلها .

(٢) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . ومتوقد هنا بمعنى مضى .
(٣) القاعدة في الحج أن من ملك زاداً وراحلة تبلغه بيت الله الحرام زائداً عن نفقة من تلزمه نفقتهم مدة ذهابه وإيابه وفاضلا عن حاجياته الضرورية كمسكنه وآلات حرفته يعتبر مستطيعاً ، فالحج واجب عليه .

(٤) لم يحرمه أي لم ينج في أمر حجه ويمحك فيه .
(٥) الذي يحج بمال حرام يكون حجه صحيحاً وعليه الإثم كالذي يسرق ثوباً ويصلي فيه فصلاته صحيحة وعليه إثم السرقة . والإصر هنا : الثقل . والمتحمد : الممتن الذي يرى الناس أنه محمود الفعل .

وَمَنْ كَانَ مُسْطِيماً أَدَاءَ دِيُونِهِ
 وَإِنْفَاقَهُ فِي حَجِّهِ لَمْ يُرْشَدْ^(١)
 كَذَلِكَ صَحَّتْ عَنْ مَرِيضٍ^(٢) نِيَابَةٌ
 وَعَنْ مَيِّتٍ فِي وَهْدَةٍ^(٣) الرَّمْسِ مُهْجِدٍ
 وَلَا حَجَّ لِلْأَنْثَى بِبَايِدٍ^(٤) مُحْرَمٍ
 وَبَعْلٍ ، فَمَا أَنْثَى بِغَيْرِ مُذَوِّدٍ^(٥) ؟
 ٧٧٠ فَإِنْ خَالَفَتْ صَحَّتْ مَنَاسِكُ حَجِّهَا
 وَبَاءَتْ بِذَنْبٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مُرْصَدٍ

(١) رَشْدُهُ كَأَرْشَدِهِ . أَيْ لَمْ يَحْتَجْ لِمَنْ يَرْشُدُهُ إِلَى مَا يَنْبَغِي فَعَلَهُ . ذَلِكَ أَنَّ
 الْمَدِينِ الَّذِي لَا يَمْلِكُ مَا يَسُدُّ بِهِ دِينَهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْحَجُّ سِوَاءَ أَنْ كَانَ
 الدِّينَ حَالاً أَوْ مُؤَجَّلاً ، حَتَّى وَلَوْ رَضِيَ صَاحِبُ الدِّينِ بِتَأْخِيرِهِ إِلَى مَا بَعْدَ
 الْحَجِّ ، لِأَنَّهُ قَدْ يَحِلُّ الْمَوْعِدُ وَلَا يَجِدُ مَا يَسُدُّ بِهِ الدِّينَ ، وَقَدْ يَمُوتُ
 فَيَسْقِي الدِّينَ فِي عُنُقِهِ . أَمَّا الْمَدِينُ الَّذِي يَمْلِكُ مَا يَكْفِي لِسَدَادِ دِينِهِ وَحِجِّهِ
 فَلَا يَسْمَى مَدِيناً وَيَجِبُ عَلَيْهِ الْحَجُّ .

(٢) جَازَتْ فِي أَحْكَامِ الْحَجِّ النِّيَابَةُ فِيهِ عَنِ الْمَرِيضِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ السَّفَرَ
 لضعف صحته ، وعن الميت .

(٣) الوهدة : الأرض المنخفضة . ومهجد أى نائم .

(٤) بايِد : غير . أى لا يجوز للمرأة أن تحج بغير زوج أو محرم كالأب والأخ
 والعم والخال .

(٥) المذود : الذى يزود عما يملك أى يدافع عنه ويحميه .

وَنَجَلَّتْ إِنْ يُحْرَمَ فَكُنْ أَنْتَ ضَامِنًا
لَفِدَيْتِهِ فِي طُهُرِ قَلْبٍ وَمَرُودٍ^(١)
وَلَا تَكُ مِمَّنْ هُمْهُمْ ثُمَّ مُتَعَةً
وَزَهْوٍ بِأَلْقَابٍ ، فَذُو الزَّهْوِ يَوَغُدُ^(٢)
أَلَا إِنْ حَجَّ الْبَيْتِ دِينَ فَرَوْهُ
حَلَالًا - وَسِرًّا اسْتَعْتِ^(٣) فِي مَتْنٍ مُرْقَدٍ
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ سُنَّةَ يَثْرِبِ
فَلَا تَكُ عِنْدَ الْفَرَضِ كَالْمُتَرَعِدِ^(٤)

- (١) المرود : الرفق والاتئاد تسمية بالمصدر .
(٢) يوغد : يصير ضعيف العقل دنيئاً . فمن الناس من لا يدفعهم لأداء فريضة الحج إلا لقبه ، ولا يرغبهم فيه إلا متعة البدن ونزهته .
(٣) استعت : لهجة من لهجات العرب في اسطعت . والمتن ما صلب من الأرض وارتفع في استواء . والمرقد : الطريق الواضح . فقد وجب تحرى الحلال في المال الذي تحج به . والله طيب لا يقبل إلا طيباً .
(٤) المترعد : المترجرج . فمن الناس من يترك الحج لأنه لم يتيسر له المال الكافي لزيارة مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويظن أن الحج بغير الزيارة يعد ناقصاً مما كان سبباً في الإعراض عن هذه الفريضة الكبرى . نعم إن شد الرحل إلى المسجد النبوي قربة وسنة ، ولكنها مستقلة لا ترتبط بالحج وقد تؤدى في أى وقت من أوقات العام . أما الحج فأوقاته معلومة وشهوره محدودة وهو أحد أركان الدين الخمسة .

٧٧٥ وَلَا خَيْرَ فِي عَقْدِ النِّكَاحِ لِحِجَّةٍ

بِنَيَّْةٍ تَطْلِقُ كَالْقَاءِ مَشْفِدٍ^(١)

كَذَا زِينَةِ الْأُنْثَى كَأَنَّ سَفَارَهَا

رَحِيلُ جَمَالٍ لِلْهُوَى مُتْرَصِّدٍ

وَطَهْرُ لِحَجِّ الْيَنْتِ قَلْبِكَ وَالنَّوَى^(٢)

وَسِرِّ فِي مِثَانٍ^(٣) اللَّهُ غَيْرَ مُسَمِّدٍ

وَأَلَمٌ بِتَفْصِيلِ الْمَنَاسِكِ كُلِّهَا

فَإِنَّ ثَوَابَ الْحَجِّ يَزْكُو لِْمُجُودِ^(٤)

(١) المشفد: واحد المثافيد وهي بطائن الشيا ب . والمعنى أنه من المنكر —

بل هي إحدى الكبر — أن تعقد المرأة عقدها على رجل عند اعتزام الحج وهي تنوى أن يطلقها بعد عودتها كأنها تريد أن تتحاي به على وجود محرم معها .

(٢) النوى: ما نويت من قرب أو بعد . فن المنكرات ما يعتمد إليه بعض

الناس من مظاهر واحتفالات هي أبعد ما تكون عن التقوى وخلوص النية .

(٣) المِثَان: الأراضى الصلبة المرتفعة في استواء . والمسمِّد من سَمَد الرجل

بمعنى أطاه يريد أن يقول سر في طريق الله . المستقيم دون تعرج إلى سبيل غيره يلهيك عنه .

(٤) أجود الشيء فهو مجود: جعله جيداً . إذ أن القليلين جداً من الحجاج

هم الذين درسوا مناسك الحج قبل الشروع فيه . أما الأثرية فتعتمد على المطوفين الذين قد يهملون سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولا يحملون الحجاج على اتباعها . مما يحرم الحاج شرف القدوة برسول الله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم .

فَإِنْ عُدْتَ كَانَ الْعَوْدُ فَيْضًا مِنَ الشَّقَى
وَلَيْسَ حُشُودًا كَالْبَدَا^(١) الْمَتَزَبِّدِ

٧٨٠ . وَدَعْ بِدْعًا لَيْسَتْ مِنَ الدِّينِ وَاعْتَصِمْ
بِأَخْرَاكَ فِي دَهْرٍ مِنَ الْعُمُرِ أَرْوَدِ^(٢)

عَلَى هَوْدَةٍ^(٣) مَنْ حَجَّ إِنْ سَارَ سَائِرِ
وَمَنْ يَكُ فِي شَيْمٍ^(٤) الْمَلَائِكِ يَنْهَدِ

يُسُوسُ^(٥) شَيْطَانُ فَتُلْفِيهِ صَامِدًا
وَلَيْسَ لَدَى الْإِيمَانِ بِالْمَتَزَرَّدِ^(٦)

(١) البدأ : السَّالِح . والمتزبد : الغاضب المتهدد . من الحجاج من إذا
رجع إلى بلده تجمعت الوفود حوله لاستقباله ووقع منها ما لا يمت إلى
الإيمان بصلة .

(٢) الأروْدُ للدهر : ذو الغدير أو المستبدّ الغالب على أمره .

(٣) الهودة : السَّنام .

(٤) الشَّيْمُ : النظر . وينهد : يرتفع ويكرم . أى أن من يكون قبله أنظار
الملائكة يرفع الله شأنه ويكرمه .

(٥) يسوس : يسوّل ويزيّن .

(٦) المتزرد في اليمين : الذى يتسرع في حلفها غير مبال بما تجلب عليه
من الإثم .

إِلَى حَرَمٍ سِيرِي فِي الْعَفْوِ ^(١) حِجَّةً
 أَيَا عَنَسُ ^(٢) .. وَالسَّيَّارُ لَيْسَ بِمُوفِدٍ
 نَسَأْتُكَ ^(٣) مِنْ شَوْقٍ إِلَى مَرْتٍ بَكَّةٍ
 بِرَغْمِي ... فَلَا تَأْسَى وَلَا تَتَزَنَّدِي ^(٤) ...
 ٧٨٥ حَرَامٌ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي تَنْهَبُ الْفَلَا
 لِنَبْلُغَهَا مِنْ بَعْدِ سَيْرٍ مُرَوِّدٍ ^(٥)
 وَذُو حِبْرَاتٍ ^(٦) ثُمَّ غُرِّ هِجَابُهُ
 إِذَا رُمْتُ فَحَلًّا مِنْ قَطِيعٍ مُزَبَّدٍ ^(٧) ..

-
- (١) العفو: الجاه والنشاط. وجمة الشيء معظمه. يقول أنه برغم طول
 قصيدته وتسياره فمعظم نشاطه لا يزال مدخراً.
 (٢) العنس: الناقة الصلبة. والموفد: المسرع.
 (٣) نسأتك: زجرتك أو ضربتك بالمنسأة وهي العصا. والمرت: الأرض
 ليس فيها شيء من النبات.
 (٤) لا تتزندی: لا تغضبني.
 (٥) مرود: محمول على الرود أي التهل.
 (٦) الحبرات: الأثواب الموشاة. أراد البيت الحرام لأنه مكسو بالموشي
 من الثياب. والهجان: الإبل البيض السكرام.
 (٧) مزبد: زبد شفقته أي خرج منه الزبد. يشوّق بذلك ناقته على المسير.

لِتَوْرَابِهِ^(١) الدُّرِّيَّ يَا عَنَسُ حُرْمَةً
وَأَحْجَارُهُ فِي ظِلِّهِ كَالْمُخْلَدِ^(٢)
إِلَى الْحَشْرِ تَبْقَى نَمِّ مَشْهُورَةِ الطُّلَى
بِمَاءِ الْغَمَامِ مِنْ طَحَاءٍ^(٣) وَأَرْمَدٍ
وَمَنْ يَلْتَقِطُ شَيْئًا غَدَا الْجَمْرِ فِي الْحَشَا
إِذَا هُوَ لَمْ يَسْأَلْ بِحِرْصٍ وَمُرُودٍ^(٤)
٧٩٠ أَلَيْسَ أَمَانَ اللَّهِ وَالسَّكَنِ^(٥) أُمَّةٌ
مَضَتْ قَدْماً فِي خَالَةِ الْمُتَزَهِّدِ!

(١) التوراب : التَّسْرِب .

(٢) المخلد هنا : المقيم لا يبرح . فمن أحكام الحرم تحريم نقل تراب مكة أو أحجارها إلى خارجها .

(٣) مشهورة أى منقوشة . والطلَى : الأعناق ، والطحَاء : ما ارتفع من الغمام

وحمل الماء وكشف وأطبق . والأرمد : ما كان على لون الرماد من السحب . أى أن الأحجار أصبحت كأنها منقوشة من أثر هطول الأمطار

عليها من الغمام المرتفع الكشيف المطبق أو من السحاب الرمادى اللون

(٤) المرود : الرفق والاتئاد والتحمل . ذلك أن من وجد في حرم مكة لقطة

لم يحل له أن ينتفع بها أبداً بل لابد من تعريفها دائماً حتى يظهر

صاحبها وفي مكة الآن مستودع تابع لإدارة الأمن العام تحفظ فيه

مفقودات الحجاج ويعان عنها في الصحف ، فمن وصف مفقوده تسلمه

من ذلك المستودع .

(٥) السكن : أهل الدار .

وَبَكَّةٌ لَا تُؤْوِي مَدَى الدَّهْرِ كَافِرًا
وَإِنْ يَدُنْ مِنْهَا كَافِرٌ وَنِكَ يُسَادُ^(١)
وَلَا قَبْرَ فِي هَذَا الْجَنَابِ لِمُشْرِكٍ^(٢)
فَإِنَّ وَدِيدَ الشَّرِّكَ لَيْسَ بِمُرْفَدٍ
وَلَا ذَبْحٍ^(٣) مِنْ هَدْيٍ وَتَكْفِيرٍ مِنْكَ
يُمَارَسُ إِلَّا فِي الرَّحَابِ الْمَزِيدِ^(٤)
هُوَ الْحَرَمُ الْجَوَادُ^(٥) لَا ذَبْحَ لِلَّذِي
أَقَامَ لَدَيْهِ وَامِقًا كَالْمُهَنْدِ^(٦)
٧٩٥ أَيَذْبَحُ وَالذُّنْيَا إِلَيْهِ مُفِيضَةٌ
وَهَلْ مُسْتَحِقُّ الزَّادِ كَالْمُزَوِّدِ؟

-
- (١) يساد : يُخَنِّقُ أَيْ يُقَتِّلُ .
(٢) أجل هذا حكم الحرم . ولا ينش منه لنقله لمكان آخر .
(٣) ذبح الهدايا والكفارات المتعلقة بالحج والعمرة لا يكون إلا في حرم مكة .
(٤) المزيد هنا : المنمى .
(٥) الجواد : الكثير الجود .
(٦) المهند هنا : الذي هبّده المرأة أى أورشته عشقاً . كناية عن الزواج أو الإقامة فمن أحكام الحرم أنه ليس على المتمتع أو القارن في حجه ذبح إذا كان من أهل الحرم .

وَيَدْخُلُهُمُ الْغُرَّانُ بَيْضًا بَيَّاضًا
 كَسِرْبِ رَبَابٍ ذَائِبِ السَّبْحِ مُزِيدٌ^(١)
 أَجْنَهُمْ^(٢) نُورٌ مِنَ اللَّهِ بِاسِطٌ
 جَنَاحَيْهِ ، وَالْإِخْرَامُ لَيْسَ بِمُجْرِمٍ^(٣)
 وَصَلَّى لَدَيْهِ النَّاسُ فِي النُّورِ وَالذُّجَى
 وَمَسْجِدُ يَتِ اللَّهِ غَيْرُ مُزْنَدٍ^(٤)
 وَمَثْوَبَةُ الْخَيْرَاتِ فِيهِ مَزِيدَةٌ
 وَمُرْتَكِبُ الْآثَامِ كَالْمُسْتَهْبَدِ^(٥)

-
- (١) الغرّان : جمع الأغر وهو الأبيض . والرباب : الأبيض من السحاب وقوله ذائب السبح كناية عن تبخره واختفاء أجزاء منه حال مروره . والمزبد هنا : الذي اشتد بياضه . يصف الحجاج حالة كونهم محرمين بملايس الإحرام .
- (٢) أجنهم : سترهم .
- (٣) الحرمد هنا : المتغير اللون .
- (٤) مزند : متضيّق صدره . يشير اليعربى إلى صحة الصلاة في الحرم في أى وقت من أوقات الليل والنهار بينما هي مكروهة في غيره عند شروق الشمس وعند غروبها .
- (٥) المستهبد : الذى يحنى الهيد أى الحنظل أو حبه . فكما أن الله تعالى يضاعف الحسنات فى حرمه فإنه يضاعف السيئات كذلك . .

٨٠٠ وَإِيَّاكُمْ وَالصَّيْدَ ، فَالَوْحَشُ آمِنٌ
 لَدَى الْبَيْتِ شَرُّ الصَّائِدِ الْمَتَّهِدِ (١)
 يَحُولُ كَمَا يَهْوَى ، وَيَخْدِي (٢) وَيَنْتَشِي
 وَيَقْضِي سَعِيداً نَحْبَهُ مِثْلَ أَحْصَدِ (٣)
 وَلَا قُتْرَاتٍ (٤) ثُمَّ لِلرَّيِّمِ وَالطَّلَا
 تُخَالُ كَثِيباً مِنْ هَشِيمٍ مُخْضَدِ (٥)
 وَحَلَلَتْ الْأَطْيَارُ مِنْ كُلِّ سَابِجٍ
 وَسَبَّ (٦) فَرَّخُ النَّسْرِ أَوْ لَمْ يُسَبِّدِ
 أَلَمْ يَطِبِ الْمَغْنَى (٧) بِذَاراً وَحَلَباً
 وَشَاسِبِ (٨) زَرْعٍ فِي مَحَاقِلِ أَيْبَدِ!

-
- (١) المتهدد : المخوف .
 (٢) يخدي : يسرع .
 (٣) الأحصد من النبات ما جف وهو قائم .
 (٤) القترات : جمع قترّة وهى بيت الصائد الذى يختبئ فيه ليختل الصيد .
 والطلا : ولد ذوات الظلف .
 (٥) مخضد : مقطّع .
 (٦) سبّد الفرخ : بدا ريشه وشوك .
 (٧) المغنى : المنزل . والحلب : نبات صحراوي تخرج منه عصارة كاللبن .
 (٨) الشاسب : اليباس والمهزول . ومحافل الأيبد : حقول نبات زرعه
 كالشعير مُسَمَّنٌ للنسجم .

٨٠٥ وَكُلُّ الَّذِي فِي مُحَرَّمِ اللَّهِ نَابِتٌ
وَمَا نَادَ^(١) مِنْ أَشْجَارِهِ لَمْ يُخْضَدْ
كَذَا يَثْرِبُ لَا قَطَعَ فِي نَبْتِ قَاعِهَا
وَأَغْصَانِهِ أَوْ فِي النَّخِيلِ الْمَرْهَدِ^(٢)

خاتمة

شَهَرْتُ لِدِينِ اللَّهِ شِعْرِي مُهَنْدًا
وَلَيْسَ كَشِعْرِي مِنْ بَرْنَدِ^(٣) وَمُبْعَدِ
وَلَوْ كُنْتُ ذَا دِينَ سِوَى دِينِ أَحْمَدِ
لَأَضَلَّتْ^(٤) عُمْرِي ضَلَّةً مِنْ تَأَلَّدِ

(١) ناد : تمايل من النعاس .

(٢) النخيل المرهدة : المقدَّر ما عليه .

(٣) السيف البرند : الذي عليه أثر قديم . ذلك لما في شعر اليعربي من طابع
يميل إلى القدم : والمبعد : البعيد الأسفار .

(٤) أضل فلان عمره إذا ذهب عنه فراح يفترقه . والتألد : التحير تسمية
بالمصدر .

يَسْأَلُنِي عَقْلِي وَلِلْعَقْلِ سُؤْلُهُ
فَأَحْرِفُهُ عَنْ سَيْرِهِ الْمَتَسَدِّدِ^(١)

٨١٠ وَتَظْمَأُ نَفْسِي فِي فَيَافٍ مِنَ الصَّدْيِ
فَأُسْقَى ضَلَالاً مِنْ سِقَاءِ مُؤَمِّدٍ^(٢)

أَلَيْسَ مِنَ الْآنَاسِ مَنْ يَعْبُدُ الدُّمَى
وَيَعْبُدُ نَاراً لِلْكِبَاءِ^(٣) الْمَرْمِدِ
وَحُرِفَتِ التَّوْرَةُ حَتَّى لَقَدْ غَدَتِ

تَنْفَرُ أَحْجَاءُ^(٤) وَتُثَلَّى بِمَسْرَدٍ
وَعِنْدَ النَّصَارَى اللَّهُ ثَالُوثٌ وَالِدٌ
وَلَيْسَ يَصْحُحُ الْخَلْقُ الْمُتَوَلِّدُ

وَعِنْدِي أَنَا رَبِّي هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ
وَنَحْنُ حَرَآ^(٥) مِنْ مُلْكِهِ الْمُتَعَدِّدِ

(١) المتسدد : المستقيم .

(٢) السِّقَاءُ المؤمِّدُ : الذي ما فيه جرعة ماء .

(٣) الكِبَاءُ : ضرب من العود والدخنة . والمرمِد : المجمعول في الرماد .

(٤) الأحجاء : العقول والفيطن . . والمسرد : اللسان .

(٥) حرآ : ناحية .

٨١٥ وَأَشْهَدُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ خِتَامُهُمْ

« مُحَمَّدٌ » الْمُخْتَارُ مِنْ بَيْنِ أَسْعَدِ^(١)

وَأَرْكَانُ دِينِي - بَعْدُ - مَا يَعْلَمُ الْوَرَى

صَلَاةً بِهَا يُنْبَوُ^(٢) إِلَى الْأَرْضِ مَسْجِدِي

وَفَرَضُ زَكَاةٍ تَمْحَقُ الْفَقْرَ وَالْدَّوِي^(٣)

وَتَجْعَلُ لِلْمَحْرُومِ فَائِضَ مَخْضَدِ^(٤)

وَصَوْمٌ عَسَى نَدْرِي تَضَوُّرَ جَائِعٍ

وَأَهْنَأُ نَفْسٍ لِلْفَقِيرِ الْمُرْعَدِ^(٥)

وَحَجٌّ بِهِ ظِمٌّ^(٦) الْمَوْلَى يَرْتَوِي

وَيُطْفِئُ حَرًّا فِي الْحَشَى كَالْتَّبَرُّدِ^(٧)

(١) يريد بقوله المختار من بين أسعد : المفضل على سائر الأنبياء الذين كان كلُّ منهم سعداً ويُمنأ للذين آمنوا معه .

(٢) يعنو : يخضع ويذل . والمسجد هنا : الجهة لأنها تصيب الأرض عند السجود .

(٣) الدوى : المرض .

(٤) المَخْضَدُ : الكثير الأكل - كناية عن الغنى .

(٥) المرْعَدُ : الملحف في السؤال .

(٦) الظمُّ : الظمأ .

(٧) التبرُّدُ : الاستمتاع في الماء البارد ليبرد من حرِّ الأجسام .

٨٢٠ وَدِينِي هُوَ اللَّحْبُ^(١) الْمُؤَدَّى إِلَى الْهُدَى

وَلَيْسَ ضَلَالًا مِنْ كِتَابٍ مُؤَلَّدٍ^(٢)

تَجَرَّدَ ذَلَقًا^(٣) بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ

وَنَافَعَ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ كِمِذْوَدٍ^(٤)

وَسَيَّرَ أَقْوَامًا تَبَتَّرَ^(٥) شَمْلُهُمْ

إِلَى الصَّدْرِ كَأَنَّهُ بَيْنَ عَانٍ^(٦) وَخُرْدٍ

وَكَأَنَّهُ سَرَّاحًا^(٧) فِي بَطَاحٍ يَمُنُّهَا

مِنَ التَّبَلِّ^(٨) إِرْكَاسُ الْوَنَى الْمُتَرَعَّدِ

إِذَا عَبَسَ^(٩) الْأَزْمَانُ عَبَسَ وَجْهَهُمْ

وَأَبُوا بِمَالٍ فِي خَنَى النَّفْسِ مُجْهِدٍ^(١٠)

(١) اللحب: الطريق الواضح . (٢) الكتاب المولد: المفتعل ،

(٣) ذَلَقًا: حَدًّا . (٤) المِذْوَدُ هُنَا: مَا يَدَافِعُ بِهِ .

(٥) تَبَتَّرَ: تَقَطَّعَ .

(٦) العاني: الأسير . والخرد: الذي طال سكوته أو قل كلامه استحياءً من ذل .

(٧) السَّرَّاح: الذئاب . وَيَمُنُّهَا: يَضْعُفُهَا .

(٨) التَّبَلُّ: الشَّار . والإرْكَاس: التَّنْكِيسُ وَالْقَلْب . والونى: الضعف والفتور والإعياء . والمترعَّد الذي أخذته الرعدة .

(٩) عَبَسَ: كَبَسَ .

(١٠) المال المجهد: المفرق المُفْسَق .

٨٢٥ خَمْرَةٌ ^(١) أَبْدَانُهُمْ تَحْتَ كُبْسٍ
 وَعِنْدَ أَثَافِي ^(٢) لِنَارٍ مُوقَدٍ...
 أَجَلُ هُوَ دِينُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالنُّهَى
 يَدِينُ بِهِ مَنْ حَبَّه ^(٣) غَيْرَ مُوجَدٍ
 وَأَسْعَدَ ^(٤) نَفْسًا بِالتَّسَامُحِ فِي الْوَرَى
 وَأَرْشَدَهَا صَوْبَ الطَّرِيقِ الْمُسَدِّ
 وَعَنْ وَقَدٍ ^(٥) لِلنَّارِ نَزَهَ أُمَّةٌ
 تُكْرَمُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْخَشْرِ أَجْرَدٍ ^(٦)
 فَقَدْ لَقِيَ الْإِيمَانُ وَيَسًا ^(٧) وَجَنَّةً
 يَقُولُ لَهَا اخْلَاقُ أَيْنَعَتِ فَاخْلُدِي

-
- (١) خَمْرَةٌ : ثملة والكُبْسُ أراد بها الجبال الكُبْسُ أى الصلاب الشداد
 (٢) الأثافي : حجارة توضع عليها القدور ونحوها . والنار تذكر وتؤنث .
 (٣) حبه : أحبه . وغير موجد أى غير مكره عليه .
 (٤) أسعد هنا : ساعد ووافق .
 (٥) الوقد : اتقاد النار .
 (٦) اليوم الأجرد هو التام .
 (٧) لقي ويساً : لقي ما يريد .

٨٣٠ وَلِلْكَفْرِ : أَيُّسُ^(١) اأَنْتَ فِي النَّارِ خَالِدٌ
وَإِنَّكَ فِيهَا كَالشَّحِيمِ^(٢) الْمَهْرَدِ...

جُهَادَايَ^(٣) بَثُّ الْحَمْدِ إِذْ هَمَّ طَائِفِي
بِتَرْدِيدِ نَجْوَايَ الَّتِي لَمْ تُرَدِّدِ
وَقُلْتُ لَهُ : أَسَلَمْتَ أَمْ تِلْكَ خَدْعَةٌ^(٤) ؟
فَقَالَ : إِلَى الْخُلَاقِ أَسَلَمْتُ مِقْوَدِي
وَقَامَ يُصَلِّي فِي فِنَائِي مُرَدِّدًا
دُعَاءَ كَمَا يَهْمِي شَجَى الْمُتَهَجِّجِ
يَقُولُ : أَرَبَّ الْبَيْتِ رُحْمَاكَ بَيْنِي^(٥)
وَمَا زِلْتُ فِي حَتْرٍ^(٦) فَكُنْ أَنْتَ مُسْعِدِي

(١) أَيُّسُ : اسكت .

(٢) الشَّحِيم : السمين . والمهرد : الذي أنعم إفضاءً مجهً حتى تهرأ .

(٣) جهاداي : قصاراي . وطائفه هو صاحبه من الجن .

(٤) الخدعة كاخدعة والفتح أفصح .

(٥) بَيْنِي : اعتمدني بالتحية . قاله الأصمعي .

(٦) الحتر : العطاء القليل .

٨٣٥ دَعَوْتُكَ يَاذَا الْأَيْدِ (١) فِيمَا بَلَوْتَنِي
 مِنْ الضَّرِّ أَنْ تُعْنَى بِعَبْدٍ مُشَرَّدٍ
 مَشَتْ فَوْقَهُ الْأَحْدَاثُ مِنْ بَعْدِ صَامِتٍ (٢)
 فَأَلْفَجَ (٣) فِي بَوْنٍ وَيَنْتِ مُحَرَّدٍ
 وَيَارَبُّ لَا تَضُنَّنِي عَلَى بَسَائِغِ
 مِنْ الْأَمَلِ الْمَوْصُولِ إِنِّي كُؤْمَرَمِدٍ (٤)
 وَجَنَّبَ خُطَايَ الْفَاحِشَاتِ فَإِنَّهَا
 مِنْ الْبَغْيِ وَأَجْعَلْ جَنَّةَ الْخَالِدِ مَقْصِدِي
 وَبِي ظُلْمًا وَالْوَهْجُ فَوْقِي غِيَايَةَ (٥)
 فَهَلَّا جَعَلْتَ الْكَوْثَرَ الْعَذْبَ مَوْرِدِي

-
- (١) الْأَيْدُ : القوة .
 (٢) الصَّامِتُ : المال إذا كان ذهباً وفضة .
 (٣) أَلْفَجَ : افتقر . والبَوْنُ : الفضل والمزية . وأراد بالبيت المحرد المتواضع والأصل أنه إذا كان البناء مُسَمَّأً — وهو الذي يقال له كوخ أو خُرٌّ بُشَّتْ — فهو محرد . وعن القاموس المحرد كمعظم : الكوخ المسنن والمعوج والبيت فيه حراذير القصب .
 (٤) المرمد : المهلك .
 (٥) الغيابة : كل شيء أظلك فوق رأسك كالسحابة والغبرة والظلمة ونحوها .

٨٤٠ وَأَدْعُوكَ يَا رَحْمَنُ أَنْ تَنْشُرَ الرِّضَا

عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ نَشْرَ الْمُسَدِّ

وَصُنْهَا غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنْ كُلِّ مُعْتَدٍ

وَأَرْغِدْ لَنَا الدُّنْيَا بِرِزْقِ مُعْلَهَدٍ^(١)

وَشَرَّفْ مَقَامَ الْبَيْتِ فِي كُلِّ قَادِمٍ

مِنَ الدَّهْرِ أَوْ بَابٍ مِنَ الْغَيْبِ مُوَصَّدٍ

وَأَيِّدْ إِمَامًا ضَاءَ فِي الْبَيْتِ عَرْشُهُ

رَفِيعَ الذَّرَى فِي زَبْرِجٍ^(٢) مِنْ مُؤَجَّدٍ

لَهُ خَيْرٌ، وَالْقَلْبُ وَرَدٌ^(٣)، وَفِي الثَّقَى

مِثَالٌ، وَيُؤْتِي الْمَالَ غَيْرَ مُتَلَدٍ^(٤)

٨٤١ وَمَاهَنْدَتٌ^(٥) يَمْنَاهُ فِي بَرٍّ عَامِدٍ

وَأِرْبَةً مُعْتَرٍ^(٦) لَدَى السُّؤْلِ أَعْقَدٍ

(١) الرزق المعلهد : الذي حسن غذاؤه .

(٢) الزبرج : الزينة والمظهر الجليل . والمؤجد : الموقوئى ، وهو الله

سبحانه وتعالى . (٣) ورد : جرى .

(٤) غير متلد : غير جامع مالا .

(٥) هندت : تأخرت . والعامد : القاصد .

(٦) المعتر : الذي يتعرض للسؤال ولا يسأل . والأعقد الذى به عقدة فى اللسان .

أَلَا فِي حِمِي الْجَبَّارِ شَرْقٌ وَمَغْرِبٌ
 يَدَيْنُ بَدِينِ اللَّهِ فِي مَوْطِنٍ نَدِ
 أَلَا فِي يَدِ الْوَهَّابِ نَجْوَى قُلُوبِنَا
 يُحَقِّقُ مِنْ آمَالِهَا كُلَّ مَقْصِدِ
 أَلَا فِي يَدِ الْغَفَّارِ شَاهِينٌ^(١) حُوبِنَا
 يُبَدِّدُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ الْمُبَدِّدِ^(٢)
 وَأَحْسِنَ إِلَى مَنْ كَانَ لِلْبَيْتِ شَاعِرًا
 بَرْتَبَةً حَسَّانَ^(٣) الْجَوَادِ الْمَجُودِ
 ٨٥٠ ثَمَانُ مِئَيْنِ^(٤) ثُمَّ خَمْسُونَ بَعْدَهَا
 كَمَا قُدِحَتْ فِي اللَّيْلِ نَارٌ بِأَزْنِدِ^(٥)

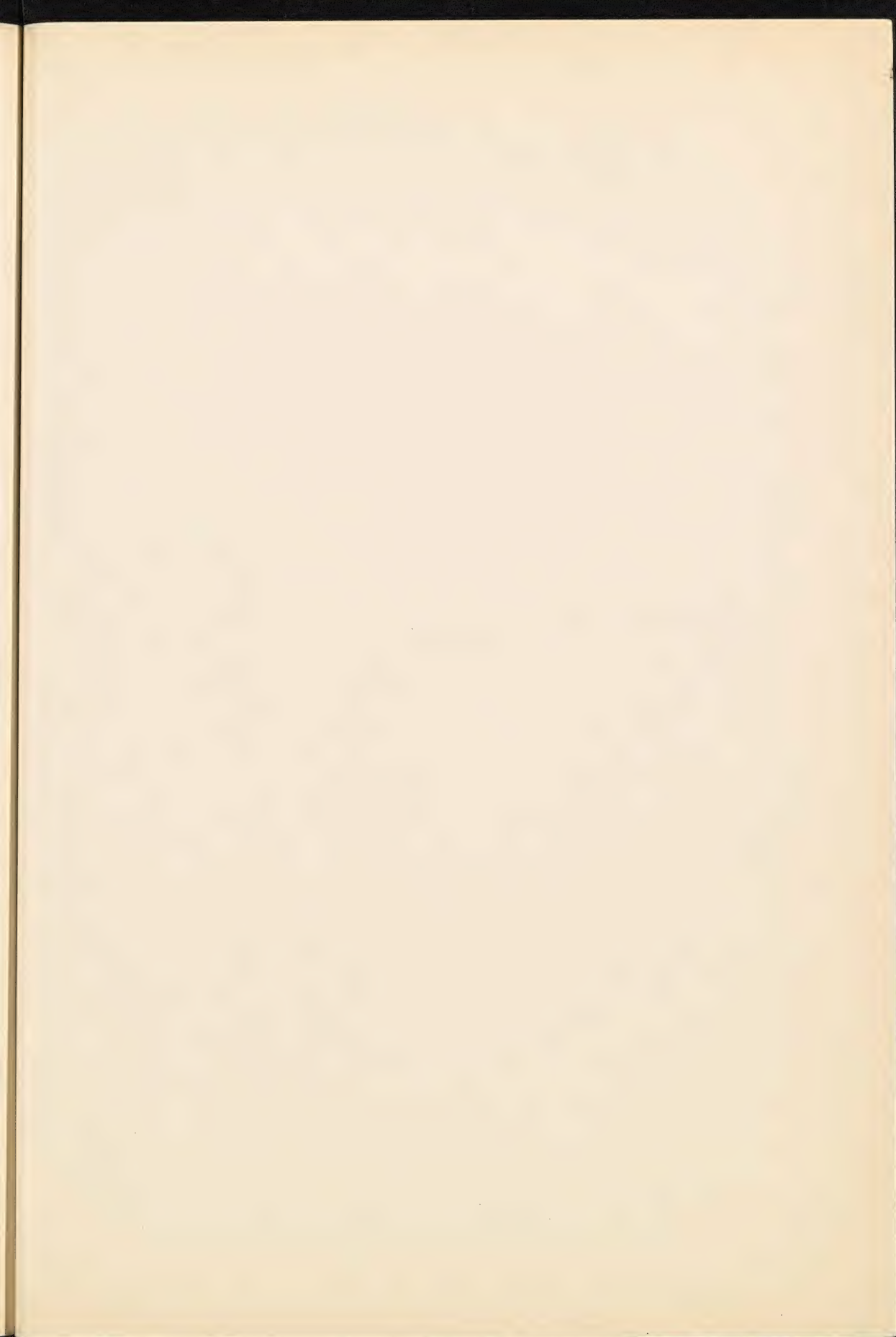
(١) الشاهين . الميزان الكبير . والحبوب : الإثم .

(٢) كأنى باليعربى يطمع فى أن يبديد الله سبحانه وتعالى ذنوبه وذنوب
 أمة محمد يوم الحساب ، وهو طموح إلى الغفران محمود .

(٣) هو حسان بن ثابت شاعر المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(٤) ثمان مِئَيْن : لغة فى ثمانمائة .

(٥) أزند : جمع زَند وهو الحجر الذى تقدح به النار .



خَادِمُ بَيْتِ اللَّهِ



عَلَى أَطْهَرِ الْأَرْضِ^(١) قَدْ قَامَ طَاهِرٌ
 وَأَقْدَسُ نَيْتٍ مَا عَلَيْهِ السَّائِرُ
 لَنَا سَتَرٌ^(٢) غُفْرَانُهُ مِنْ ذُنُوبِنَا
 وَنَبْرَاسُنَا الْهَادِي نَبِيٌّ مُهَاجِرٌ
 نَفَى كُلَّ شَيْطَانٍ وَكُلَّ مُوسَوِسٍ
 وَكُلَّ جِدَالٍ عِبَّائِهِ السَّرَائِرُ
 وَكُلَّ قِتَالٍ بَيْنَ أَخَوِ^(٣) وَأَخَوِهِ
 فَمُنْهَزِمٌ فِي هُوجٍ حَرْبٍ وَظَافِرٌ
 هُنَا فَتَوَسَّلَ يَا الَّذِي جِئْتَ كَعَمْبَةٍ
 رَأَى جَنَّةَ فِيهَا وَمَا شَاءَ نَاطِرُ
 أَنْبَتَ^(٤) إِلَى رَبِّ بَنُوبٍ وَخَشِيَّةٍ
 وَرَبُّكَ لِلذَّنْبِ الَّذِي خِفْتَ غَافِرُ

(١) الأرض : جمع الأرض .

(٢) السَّيَر : السَّيَر .

(٣) الأخو : لغة في الأخ .

(٤) أي أقبلت وتبت . والنوب : القرب .

هِيَ «السَّكْبَةُ» الْحَسَنَاءُ يَرْفَعُ رُكْنَهَا
 «خَلِيلٌ» .. نَبِيٌّ فِي بُنَى ^(١) الصَّخْرِ مَاهِرٌ
 بَوَانٍ ^(٢) لَهَا تَبْقَى إِلَى يَوْمِ حَشْرِ نَا
 وَكُلُّ الَّذِي مِنْهَا إِلَى الْحَشْرِ ظَاهِرٌ ..
 وَيَرْفَعُ «إِسْمَاعِيلُ» .. مَنْ كَادَ ذَبْحُهُ
 يَكُونُ لَنَا مَا شَاءَ فِي الْخَلْقِ آمِرًا
 ١٠ عَلَيْهِ سَلَامٌ اللَّهُ جَدًّا «لِأَحْمَدِ»
 بِهِ وَبَطَهُ زَالَ كُفْرٌ وَكَافِرٌ ..
 وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْوَضِيعَ مَكَانَهُ
 وَيَقْلُمُ ضَعْفَى أَقْوِيَاءَ .. أَكْبَابُ
 وَأَسْتَغْفِرُ الْخَلَاقَ .. عَلَّقْتُ بَاقِيًا
 مِنَ الشَّعْرِ فِيهِ الْقَوْلُ وَالصَّنْعُ فَأَخِرًا
 أَلَا لَمْ يَقُلْ عُرْبٌ وَلَا الرُّومُ مِثْلَهَا
 وَوَدَّ لَوْنِي ^(٣) كُنْتُ فِيهِمْ أَكْسِرُ ..

(١) البنى : كل ما بنيته .

(٢) البواني : القواعد .

(٣) أى لو أنى . هكذا كتبها اليعربى . وهو إملاء لا يوقع فى الخطأ .

وَخَادِمٌ « يَنْتِ اللَّهَ » بِمَدِّ « سُعُودُنَا »
 وَعَهْدُهُ لَهُ فِي غُرَّةِ الشَّرْقِ زَاهِرٌ
 ١٥ لَهُ النَّصْرُ مِمَّنْ يَمْنَحُ النَّصْرَ لِلَّذِي
 يَقُولُ : أَنَا لِلسَّيْفِ فِي اللَّهِ شَاهِرٌ
 وَظَلْتُ أَنَا الْمِصْرِيُّ أَمْدَحُ تَاجَهُ
 وَأَنْظِمُ مَا لَمْ يُؤْتَهُ قَبْلُ شَاعِرٌ
 فَقَدْ بَهَّرَنِي مِنْ « سُعُودٍ » مَمْدَحٌ
 قَدْ أَمْدَحْتَ^(١) ، وَالْقَلْبُ بِالذِّينِ مَاهِرٌ .
 فَقُلْتُ : حَيَّانِي ، وَالْقَرِيضُ ، وَمَقُولِي^(٢)
 إِلَى وَطَنِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ مُسَافِرٌ
 ذَرُونَا يَكُنْ جِسْمٌ بِمِصْرٍ ، فَرُوحُنَا
 لَدَى مَلِكِ الْإِسْلَامِ صَبٌّ مُجَاوِرٌ
 ٢٠ نَظَمْنَا لِمِصْرٍ مَا نَظَمْنَا وَمُهْجَةٌ
 غَدَتْ لِمَلِكٍ ذِكْرُهُ الْفَذُّ عَاطِرٌ

(١) أَيْ التَّسَعَّتْ .

(٢) الْمَقُولُ : اللِّسَانُ .

لَهُ وَالِدٌ قَدْ كَانَ فِي « نَجْدٍ » مُلْكُهُ
 وَكَانَ لَهُ خَيْرٌ^(١) هُنَالِكَ وَافِرٌ
 فَنَخَّارَ لَهُ « الرَّحْمَنُ »^(٢) فِي ضَمٍّ يَثْرِبُ
 وَأُمُّ الْقُرَى وَالْبَيْدِ حَيْثُ الْعَمَائِرُ^(٣)
 هُنَالِكَ كَانَ الْحُكْمُ جُأً مِنَ الْهَوَى
 وَلَجَّةٌ^(٤) جَهْلٍ جَمٍّ فِيهِ الْكِبَائِرُ
 فَلَا أَمْنٌ ، وَالْحُجَّاجُ نَهَبٌ لِنَاهِبٍ
 وَفِي الْبَدْوِ قِتَالٌ عَتَّى وَاسِرُ
 ٢٥ وَكَانَ وَحَيْشًا^(٥) حَوْلَ « يَنْتِ » مُحَرَّمٍ
 كَمَا مَسَكَنَ الْبَيْدَاءَ كَالْوَحْشِ كَأَسْرُ
 إِلَى ذَلِكَ الْوَحْشَانِ^(٦) أَقْبَلَ فَارِسٌ
 لَهُ الْقَلْبُ بِالْإِيمَانِ وَالْدِّينِ نَائِرُ

(١) الخير : الشرف والكرم والأصل .

(٢) أى جعل له فيه خيراً .

(٣) العمائر : الأحياء العظيمة في العرب تطبيق الإنفراد عن قومها

(٤) اللجة : الجلبة .

(٥) الوحيش : الوحشى .

(٦) الوحشان : الْمُحْتَمَم .

فَأَوْهَبَ^(١) أَمْنًا ، وَالْعُرُوبَةَ ، وَالتَّقَى
وَزَالَ عُتَاةٌ ، أَرْدَنَّاكَ^(٢) ، جَبَابِرُ ..
جِهَادُكَ يَا « عَبْدَ الْعَزِيزِ » مُخَلَّدٌ
عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ وَاللَّهُ شَاكِرٌ
أَزَلَّتْ عَنِ « الْأَرْضِ الْحَرَامِ » غُشَايَةٌ^(٣)
وَجِئْتَ بِمَا لَمْ يَتَّكِرْهُ الْعَبَاقِرُ !
٣٠ لِرُوحِكَ غُفْرَانٌ ، وَنَدْعُو بِحَسَنَةٍ
بِهَا حَسُنَتْ فِي الْخَالِدَاتِ الْمَنَاطِرُ ..
وَنَجْلُكَ هَذَا - مَنْ نَجَلَتْ^(٤) لِعِزِّنَا
عَلَى مَنَهِجٍ أَنَهَجْتَهُ^(٥) أَنْتَ سَائِرُ
وَمِنْ عِنْدِهِ التَّجْدِيدُ مِنْ وَحْيِ فِطْرَةٍ
تَعَهَّدَهَا بِالْكَيْسِ وَالنَّبْهَةِ^(٦) فَاطِرُ

(١) أَوْهَبَ : أَعَد .

(٢) أَرْدَنَّاكَ : جَمَعَ رَدَى .

(٣) الْغُشَايَةُ : الْغَطَاءُ .

(٤) أَى الَّذِى أَنْجَبْتَهُ .

(٥) أَى أَبْلَتْهُ وَأَوْضَحَتْهُ .

(٦) النَّبْهَةُ : السِّفْطَةُ .

هُوَ النَّبِيُّ^(١) الْمَحْسَنُ تُوجَّ لِلْمَلِي
فَهَلَّلَ شَعْبٌ مُؤْمِنُ الْقَلْبِ ، طَافِرُ
وَقَالَ مَلِيكَ^(٢) : « إِنَّ لِلدِّينِ أَوَّلًا
جِهَادًا لَنَا ، وَاللَّهُ مِنْ بَعْدِ نَاصِرُ
٣٥ « لِكَفَيْهِ رَبِّي مَا مَلَكَتْ فَاِنَهَا
ذَخِيرَتُنَا - بَلْ أَوَّلَ ثُمَّ آخِرُ^(٣) .
لَدَى غَيْرِ ذِي زَرْعٍ غَدَا الْقَاعُ إِذْخِرَ^(٤)
مِنْ الرِّزْقِ تَرْعَاهُ بَطُونٌ .. فَوَادِرُ^(٥) ..
وَإِنْ زَكَاءَ الْعَرْشِ - عَرْشِ « سُعُودِنَا »
يُؤَكِّدُهُ مُلْكٌ عَلَى الْقُدْسِ سَاهِرُ
وَعَمَّ الزَّكَاءَ نَصْرًا وَعِزًّا لِلْمَلِكِ
وَصَيَّرَهُ فِي صُدْرَةٍ^(٦) الشَّرْقِ قَادِرُ ..
صَلَاحًا أَرَى فِي أَهْلِهِ ، فِي عَشِيرَةٍ
تُزَوِّجُ مِنْهَا ، وَالْعُرُوبَ تُصَاهِرُ

(١) النَّبِيُّ : النَّبِيُّ .

(٢) الْإِذْخِرُ : الْكَفَالُ الْأَخْضَرُ .

(٣) الْفَوَادِرُ . جَمْعُ الْفَادِرِ وَهُوَ الْوَعْلُ أَوْ الْفَاقَةُ تَنْفَرِدُ وَحْدَهَا .

(٤) الصُّدْرَةُ : الصُّدْرُ أَوْ مَا أَشْرَفَ مِنْ أَعْلَاهُ .

٤ وَذُرِّيَّةٌ شَبَّتْ عَلَى طَاعَةٍ فَمَا
 يُدْلَلُ مِنْهَا أَوْ يُضَلَّلُ سَادِرٌ^(١) !
 كَمَا يَسَرَّتْ^(٢) أَرْزَاقُ يُسْرِ فَيَسَّرَتْ
 مَعِيشَةً بَدُو كَانَ يَرْوِيهِ مَاطِرُ
 تَفَجَّرَ مِيَالُ بَذْهَبَانِ^(٣) نَابِعِ
 مِنَ الْأَرْضِ ، وَالذُّهْبَانُ لِلْغَيْرِ حَادِرٌ^(٤)
 فَمِنْهُ الَّذِي يَسْتَنْبِطُونَ نُضَارَهُ
 وَمِنْهُ دَفِينٌ إِنْ تَفَجَّرَ غَايِرُ .
 يَقُولُ «سُعُودُ السَّعْدِ: يَا «كَغْبَةُ» الْوَرَى
 بُنُوكِ دُرُوعٌ لِلْحِمَى وَالْمَغَاوِرُ !
 ٤٥ أَفِيكَ شَكَاةٌ ؟ فَالطَّبِيبُ قُلُوبُنَا
 وَأَرْوَاحُنَا يَا «كَغْبُ» وَالْكُلُّ حَازِرٌ^(٥) .

(١) السَّادِرُ : المتحير .

(٢) أى لانت وانقادت .

(٣) جمع ذهب .

(٤) أى وحالة كون الذهب لغير مملكته من البلاد لا يوجد إلا فى الحادر .

تقول جبيل حادر أى مرتفع ،

(٥) أى متأهب مستعد .

وَشَكُّوكَ^(١) شَكُّوَانَا وَبَنِيكَ عَسَجَدَا
 وَلَكِنْ بِصَخْرٍ أَنْتَ بَنَّاكَ^(٢) غَابِرُ .
 إِذَا بَلَيْتَ مِنْ بِلَى^(٣) مَبْنَاكَ صَخْرَةً
 أَتَمَّكَ مِنَ الصَّخْرِ الْجَدِيدِ النَّظَائِرُ
 وَإِنْ قُلْتَ : يَا بَنِي ! فَالْجَيْنُ وَقَاؤُهُ
 وَفَوْقَ لُجَيْنٍ أَوْ ذُؤُوبٍ جَوَاهِرُ !
 بِأَمْنٍ مَا فِي الْأَرْضِ نَأْتِيكَ فَلَسَلِمِي
 وَأَحْسَنِ مَا تَهْدِي إِلَيْهِ الْبَصَائِرُ^(٤) ..
 •• وَذَا « أَسْعَدُ^(٥) » سَعْدَانِ رَبِّي ! - نَصُونَهُ
 وَتُطْلَقُ فِي « الْبَيْتِ الْحَرَامِ » الْمَجَامِرُ
 هِيََا يَنْتَ رَبِّي ! أُبْطِلَ الْمَكْسُ مُجْلَةً
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا تَبَيَّلَ نَاذِرُ

(٥) الشكو : المرض .

(٦) بناك : بناك .

(٧) البلى : القديم البالى .

(٨) أى العقول والفتن .

(٩) هو الحجر الأسود . وسعدان ربى أى نطيعه .

فَيَسَّرَ هَذَا حَجَّ مَنْ كَانَ مُعْسِرًا
 وَصَارَ يَسِيرًا أَنْ تَحِجَّ الْفَقَارُ^(١)
 نَدَى ثَرَى «عَبْدِ الْعَزِيزِ» فَإِنَّهَا
 أَثَارَتُهُ^(٢) إِذْ زَالَ عَنْهُ الْمَعَاذِرُ..

أَبَابُ^(٣) طَهُورٌ لَيْتَ لِي مِنْهُ قَطْرَةٌ !
 إِذَنْ لَا تُتَشَى أَهْلٌ وَأُسْعِدَ سَائِرُ..
 ٥٥ أَلَا يَا نَشَا^(٤) نَجِدِ ! نَشَيْتُ وَمَا طَلَا
 وَلَا تَيَمِّتْنِي مِنْ حِسَانٍ «تُمَادِرُ»
 بَلِ «الْكَعْبَةُ» الْحُسْنَاءُ تَخْلَعُ سِتْرَهَا
 فَتَخْشَعُ أُمُّ لَلْقُرَى وَالْمَنَائِرُ..
 جَمَالٌ وَمَا مِنْ فِتْنَةٍ أَوْ مُؤَسَّوسٍ
 وَثَبَّ^(٥) - حَرَامًا - مَسْجِدٌ وَالْمَغَاوِرُ

(١) الفقائر : الفقيرات .

(٢) الأثارة : المسكرمة المتوارثة والفعل الحמיד . والمعاذر : الحجج التي
 يعتذر بها .

(٣) الأبواب : الماء .

(٤) النشا : نسيم الريح الطيبة . ونشيت : سكرت .

(٥) ثبَّ : جلس متمكنًا .

لِيَغْسِلَ مَلَكٌ مَثَلِ الطُّهْرِ ثَوْبُهُ
 وَآهَالُهُ^(١) - وَالْمَاءُ لِلْغَسْلِ فَاتَرُ
 قَوَاعِدَ « يَدِ اللَّهِ » وَالْجَذَرَ^(٢) فَوْقَهَا
 فَيَنْتَسِمُ الْمَغْسُولُ وَالْمَاءُ صَامِرٌ .
 ٦٠ وَمَا الْمَاءُ ؟ مَاءُ « زَمْزَمَ » الرَّيِّ نَبْعُهُ
 وَزَمْزَمٌ هَذَا مِنْ جَنَانِ مَطَاهِرٍ^(٣)
 وَمَا قَطَرُوا مِنْ رَوْحٍ وَرَدٍ بِرَوْضَةٍ
 تَوَرَّدَ خَدَّاهَا وَ« آذَارُ » بَاهِرٌ
 فَوَارَدَهَا^(٤) إِذْ ذَاكَ أَعْيَانُ أُمَّةٍ
 مِّنَاخِرٍ^(٥) دُنْيَا اللَّهِ وَالْبَيْنُ وَاعِرٌ .
 هُوَ زُعْمَاءُ الْمُسْلِمِينَ دَعَاهُمْ
 « سُعُودُ » الْمُفْدَى - وَالْإِخَاءُ الْأَوَاصِرُ

-
- (١) الْآهَالُ : جَمْعُ الْأَهْلِ .
 (٢) الْجَذَرُ : جَمْعُ الْجِدَارِ .
 (٣) الْمَطَاهِرُ : كُلُّ مَا يَتَطَهَّرُ بِهِ .
 (٤) وَارَدَهَا : وَرَدَ عَلَيْهَا أَيْ عَلَى السَّكْبَةِ الْمَشْرِقَةِ .
 (٥) أَيْ مِنْ آخِرِ . وَوَاعِرٌ : صَعْبٌ .

وَشَرَّفَهُمْ رَبُّهُ بِخِدْمَةِ « كَعْبَةِ »
وَأَصْدَاءِ « لَبِيكِ » تُشِيعُ الْخَنَاجِرُ!
٦٥ أَنِيلُوا مُجِبًا قَطْرَةً مِنْ بَقِيَّةِ
لَمَّا اغْتَسَلْتُمْ .. تَحْلُوا بِذَلِكَ الْمَرَاتِرُ
تُطَهَّرُ يَمَّا قَطْرَةُ الْغُسْلِ مَائِجًا
بِأَمَانِنَا .. فِيهِ الْخَنَى وَالْفَوَاقِرُ^(١) ..

لِصِحَّةٍ مَنْ حَجَّوْا الْمَحَطَّاتُ أَنْشَدْتُ
كَمَا فِي بَحَارِ السُّقْمِ شَبَّتْ جَزَائِرُ
بِهَا أَسْعَفَ الْجَجَاجُ إِذْ سَارَ جَمْعُهُمْ
إِلَى « عَرَفَاتٍ » وَهُوَ بِالْحَشْدِ هَادِرُ
وَتَهْدُودِرُ^(٢) الْأَلْطَافُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
كَأَنَّ قُدُومَ الْمُسْلِمِينَ الْمَهَاجِرُ^(٣) ..

(١) الفواقير : الدواهي الشديدة .

(٢) تهدودر : تنصب وتهمر .

(٣) المهاجر : مواضع الهجرة .

٧٠ فَهَذِي ظِلَالٌ لِمَلِيكَ أَقَامَهَا
 لِيَنْعَمَ بِالرُّوحِ ^(١) الَّذِي تَأَخَّحَ قَابِرُ
 إِذَا شَمَسَتْ ^(٢) شَمْسٌ مُلْحِجٌ تَظَلَّلُوا
 بِسِتْرِ ، وَرَبُّ الْعَرْشِ بِالْعَظْفِ سَاتِرُ
 ظِلَالٌ ^(٣) لَكُمْ يَأْمَلُكُمْ فِي يَوْمٍ حَشِرْنَا
 غَدَاةً يُقِيمُ النَّاسَ بِالْبَغْتِ حَاشِرًا
 جَعَلَتْ جَحِيمَ الْيَدِ بَرْدًا وَشُعَاهَا ^(٤)
 سَلَامًا - وَكَأَنْتُمْ تَمُوتُ تَعْشُو الْبَوَاصِرُ ^(٥)
 أَمِلْ جَنَانٍ مِنْكُمْ رَوْفَةٌ ^(٦) بِمَنْ
 يَزُورُونَ أَرْضَ « اللَّهِ » وَالْحُجُجُ مَائِرُ ^(٧) !

-
- (١) الروح هنا : الراحة
 (٢) شَمَسَتْ له : أبدى العداوة وتنكر. والحج : الحجاج يشير إلى المظلات
 الضخمة المنشأة في منى ومزدلفة وعرفات لوقاية الحجاج من حرارة
 الشمس أيام اشتدادها
 (٣) الظلال : ما أظلك كالسحاب وغيره .
 (٤) أى وشعاعها .
 (٥) جمع الباصرة وهى العين .
 (٦) الروفة : الرحمة .
 (٧) المائر : المائج والمضطرب .

٧٥ تَمَتُّهُمْ بِالْأَمْنِ وَالرَّوْفِ ^(١) وَالنَّدَى

وَكَمْ ذَا أُعِدَّتْ لِلْحَجِيجِ الْخَنَاجِرُ..

وَأَسْيَافُ قُطَاعِ الطَّرِيقِ لِدَوْلَةٍ ^(٢)

بِهَا عَظُمَتْ فِي أَرْضِ « طَه » الْخَسَائِرُ!

بِالِ « سُعُودِ » طَهَّرَ الْبَدُو فَاَنْبَرُوا

يُعِيدُونَ مَا يَنْسَى بِمَوْرِ ^(٣) مَا خَرُ

فَقَدْ قَطَعُوا يَدًا ، وَيَدَيْنِ بَعْدَهَا

فَلَمْ يَبْقَ فِي الْخَضَارِ ^(٤) وَالْبَدُو صَافِرُ!

وَبِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ لَمْ يَبْقَ طَامِعٌ

وَلَا هَدَّدَ الْأَمْنُ الَّذِي سَادَ غَادِرُ

٨٠ بِرَاخِ ^(٥) مِنَ الْأَحْوَالِ عَفَّتْ قَبَائِلُ

وَمَلِكٌ عَلَيْهَا بِالرِّخَاءِ مُجَاهِرُ

(١) الروف : السكون :

(٢) يشير إلى الحكم في الحجاز قبل الفتح السعودي السعيد .

(٣) المور : الطريق المستوى الموطوء . والمآخر : خلاف القوادم — أى الذين في آخر الركب .

(٤) الخضار : جمع الحاضر وهو ساكن الخضرة . والصافر : اللص .

(٥) أى بمتسع هنيء . والراخ : السعة واليسر .

وَأَرْخَصَ لِلْحُجَّاجِ بِالْقِسْطِ مَا كَلَا
فَلَمْ يَرْفَعْ الْأَسْعَارَ فِي السُّوقِ مَا كَرِ
تَرَى حَوْلَهُ دُنْيَا الْفَلَائِ وَمُلْكُهُ
رَخَاءٌ إِذَا مَا قِيسَ بِالْفَيْرِ نَادِرُ
تَقَسَّطَ^(١) شَعْبُ اللَّهِ بِالْحَقِّ رِزْقَهُمْ
وَصَارَ تَقِيًّا مَا تُكِنُّ الضَّمَائِرُ
وَعَادُوا إِلَى مَاضٍ لَهُمْ مِنْ عَفَافَةٍ
فَقُلْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ الْأَوَاخِرِ !
٨٥ زَكَ الْمَاءُ .. فَاضَ الْمَاءُ .. صَارَ مُيَسَّرًا
وَمَا فِي شِرَاءِ الْمَاءِ شُحٌّ يُجَاوِرُ
وَيَذْكُرُ مَنْ حَجَّوْا قُبَيْلَ تَمْكُنِ
لَالِ « سُعُودِ » مَا تَحْكُمُ فَاجِرُ ..
لَقَدْ يَبِيعُ بِالْأَذْهَابِ^(٢) فِي عَصْرِ جَائِدِ
ذَهُوبِ^(٣) ، وَهَذَا النَّهْجُ فِي الْحُكْمِ بَائِرُ

(١) تقسط القوم الشيء بينهم : تقسموه على السواء .

(٢) جمع الذهب .

(٣) الذهب : الذاهب .

إِلَى ذَلِكُمْ تَأْتِ دِيَارُ لِسَاكِنِ
فَمَا بَيْنَ حُجَّاجِ بِمَكَّةَ حَارِ
قَدْ اتَّسَعَ الْمُعْرَانُ - عَمْرَكَ ^(١) خَالِقِي -

وَمَّ بِنَاءٍ فِي الْمَدَائِنِ دَائِرُ
٩٠ وَمَكَّةُ - مَهْدُ «الْبَيْتِ» - فِيهَا مَعَامِرُ ^(٢)

وَفِيهَا مِنَ الدُّورَانِ ^(٣) رَحْبٌ، دُوَاسِرُ
«زَيْبِدَةُ» تَسْقِيهَا زُلَالًا زُلَازِلًا ^(٤)

وَمَاءُ «حُنَيْنٍ» مِنْ نَمِيرٍ مُنَاصِرٍ
فَإِنْ أَنْمَرَ ^(٥) الْحُجَّاجُ مِنْ بَعْدِ رَاحَةِ

وَلَمْ يُتَعَسِ الْأَفْوَاجُ مِنْهُمْ مَحَامِرُ ^(٦)

(١) هذه مثل «لعمرك الله» بالنصب على المصدرية.

(٢) المعامر: المنازل المكتظة بالسكان.

(٣) جمع الدار. والدواسر: الضخم الشديد.

(٤) أي عين زبيدة. والزلازل كالزُّلال وهو العذب الصافي يمر سريعا في الحلق.

(٥) أنمر صادف ماء نَمِيرًا.

(٦) المحامر: اللؤماء.

وَطَوَّفَهُمْ مَنْ أَتَقَنُوا مِهْنَةً لَهُمْ
 وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ مُهْمِلٌ أَوْ مُصَاعِرٌ^(١)
 دَعَوْا لِلَّذِي قَدْ نَظَّمَ الْحَرْفَةَ الَّتِي
 يُسَمِّي إِلَيْهَا جَاهِلٌ وَالْمُحَاكِرُ^(٢)
 ٩٥ أَدِلَّاؤُنَا أَعْضَاؤُهَا فِي مَوَاقِفِ
 مِتَانٍ^(٣) إِلَيْهَا طَائِرَاتٌ ، وَضَامِرٌ..
 بَلَى .. وَبَنَيْتُمْ يَا مَلِيكِي مَصِحَّةً
 بِأَرْضٍ « مَنَى » مِنْ رَوْفِهَا^(٤) الْبُرْءُ صَادِرُ
 كَرِيضَةٍ^(٥) تَبْدُو - وَأَحْوَاضُهَا بِهَا
 مِنَ الثَّلَاجِ مَا يُحْكِي ، وَتُحْكِي نَوَادِرُ..
 إِذَا ضَرَبَتْ شَمْسٌ ضِيُوفًا لَكَفْبَةٍ
 أَوْ انْصَرَعَ الضَّعْفَانُ وَالْحَشْدُ طَاغِرٌ^(٦)

(١) المصاعير لخدّه : الذي يميله عن الناس تهاوياً أو كبراً .

(٢) حاكره : لا يحبه وماراهُ .

(٣) المتان : جمع المتن وهو الظهور .

(٤) الروف : السكون .

(٥) الريضة : الروضة .

(٦) الطاجر : الدافع .

قَرِيبٌ عِلَاجٌ أَوْ فِرَاشٌ مُشَلِّجٌ
 تَرْوُلُ بِهِ عَنْ ذِي لُهَابٍ ^(١) نَخَاطِرُ..
 ١٠٠ لَهُ مَصْنَعٌ لِلشَّلَجِ أَخَذَتْ رَأْفَةً
 وَمَا فِيهِ مِنْ تَلَجٍ قَرِيبٌ مُوَاصِرٌ ^(٢)
 يَلْطَفُ مِنْ حَرٍّ وَيُسَعِّفُ فِي الضَّنَى
 وَيَحْمِلُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بَوَادِرٍ ^(٣)
 فَإِنْ تَاهَ يَوْمَ النَّفَرِ ^(٤) أَوْ بَعْدَهُ قَى
 وَمِنْ قَبْلُ بِالتَّيْهَانِ ^(٥) ضَلَّتْ حَوَاجِرُ
 دَعَتْهُ إِلَى حِضْنِ الْأَمَانِ «مَدِينَةٍ» ^(٦)
 لِمَنْ ضَلَّ فِيهَا رَاحَةً وَالبَشَائِرُ..
 تَذَكَّرْتُ لَمَّا كَانَ يُخْطَفُ تَائِهٌ
 فَيَفْرِسُهُ صَقْرٌ مِنَ الْبَدْوِ صَاقِرٌ ^(٧)..

(١) اللهاب : اللهيب .

(٢) المواصر : المجاور .

(٣) البوادر : المسرعون والمستبقون .

(٤) النفر للحجاج من عرفات : الاندفاع إلى مزدلفة في طريقهم إلى منى .

(٥) التيهان . الضال . والحواجر : النواحي .

(٦) هي مدينة التائمين بمنى .

(٧) صقرٌ صاقر : حديد البصر .

١٠٥ مَشَى خَيْطَفًا^(١) رَكْبٌ لِحُجٍّ بِدَوْلَةٍ
تَعَجَّلَهَا «عَبْدُ الزَّيْنِ» الْمُصَاحِرُ^(٢) !

لَمَنْ هَذِهِ الْأَنْوَارُ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ ؟
فَنَحْنُ نَعِصِرُ مِنْ عُـلُوِّ نُبَاصِرٍ^(٣)
مِلِكٍ أَضَاءَ الْقَلْبُ مِنْهُ بِشُعْلَةٍ
مِنْ الدِّينِ - وَالْوَجْدَانُ نُصَحُّ مُشَابِرُ..
أَضَاءَكَ يَا «أُمَّ الْقُرَى» فَالْدُّجَى «ضُجَى»
وَأَنْتِ بِهَا يَا جَارَةَ «الْبَيْتِ» سَافِرُ
يَجِيئُكَ سَفَّارٌ^(٤) بَلِيلٌ تَقْلَهُمْ
إِلَيْكَ مَطِيٌّ .. طَائِرَاتٌ .. بَوَاحِرُ..
١١٠ فَيُلْفُونَ شَمْسًا أَشْرَقَتْ فِي دُجْنَةٍ
يَرَاهَا مِنَ الْأَبْعَادِ نَجْدٌ وَ«حَاجِرٌ» ..

(١) الخيطف : الذى يمشى سريعاً .

(٢) المصاحر : الذى يقاتل قرنه فى الصحراء ولا يخافه .

(٣) باصِرَ الشيء : أشرف ينظر إليه من بعيد .

(٤) السفار : المسافر .

لآلِ «سُعُودٍ» فِيكَ يَا بَكَّةَ الْهُدَى
 يَدِي^(١) .. وَجَّتْ مِنْ مَلِيكَ مَآثِرُ
 وَأَقْرَأَ^(٢) لَهُ مُسْتَقْبَلًا قَلَّ صَنُوهُ
 وَمِنْ نَفْعٍ^(٣) مِنْهُ عَلَى الْعَرَبِ حَاضِرُ
 وَظَلَّتْ^(٤) مَدَاخِلَهُ وَالنَّدَى جَدًّا
 وَمَا لِي مِنَ الْمَاضِي وَآتٍ مُنَاطِرُ
 تَنْظَرْتُ^(٥) نُورَ الْكُهْرَبَاءِ عَلَى الَّتِي
 عَلَيْهَا مِنَ الْخِلَاقِ نُورٌ .. مَا زِرُ^(٦) ..
 ١١٥ سَعْدِيَّةٌ^(٧) خَلْمًا وَدَمًّا وَآلَةً
 وَدَاعِبَ هَذِهِ اللَّيْلِ مِنْ ذَاكَ صَاخِرُ^(٨)

-
- (١) جمع يد بمعنى المعروف .
 (٢) أقرأ : أقرأ بنطق بعض العرب . والصنو : الأخ الشقيق .
 (٣) النفع : جمع النفع وهو الكثير النفع .
 (٤) ظَلَّتْ : لغة في ظَلَلَتْ بإبقاء الإدغام .
 (٥) تَنْظَرْتُ : تأملت بعيني .
 (٦) المآزر : كل ما سترك .
 (٧) أى الكهرباء ، فشركتها سعودية بحته .
 (٨) الصاخر : صوت وقع الحديد على الحديد .

رَأَيْنَا .. وَشَاهَدْنَا كَثِيرًا .. فَلَمْ نَجِدْ
لِكَمْبَتِنَا - وَاللَّيْلُ بِالضُّوءِ بَاحِرٌ^(١)
وَهَبَّتْهَا إِذْ ذَاكَ صِنُوعًا .. وَإِنِّي
بِيَدِكَ يَا مَوْلَايَ هَذِي مُبَاهِرٌ^(٢) ..

(١) الباحر : المبهوت .
(٢) بيدك أى بماثرتك هذه . والمباهر : المفاخر .

فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٥	يا طویل العمر
٧	تعریفُ الشَّارح
١٠	مُقَدِّمةُ النَّاظم
١٢	کُونُهَا مُعَلِّقَةً
١٣	کَمْ مِنَ الْمُعْمَرِ تَبَقَى
١٤	حِداًءُ المَطَى
١٥	رَنَمَةُ الحَجِّ
١٧	إِلْهَامُ الکُفَّةِ
٢٢	هَجْرَةُ الخَلِيلِ بهَا جَرَّ وَإِسْمَاعِيلِ
٢٦	زَمَزَمٌ
٣٢	رَفَعُ القَوَاعِدِ مِنَ البَيْتِ
٤٢	أَصْنَامُ إبْلِيسَ
٥٧	عبد المطلب وأعادة حفر زمزم

الصفحة	الموضوع
٨٢	ذَهَبُ الكَعْبَةِ وَالنَّذْرُ
٨٩	الْعُرُوبَةُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا
١٨٠	المُعَلَّقاتُ عَلَى الكَعْبَةِ
١١٧	لِلْبَيْتِ رَبٌّ يُحْمِيهِ
١٤٣	إِعَادَةُ بِنَاءِ الكَعْبَةِ
١٥٠	ظُهُورُ الإِسْلَامِ وَتَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ
١٦١	تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ
١٧١	مَنَاسِكُ الْحَجِّ
١٩٤	أَحْكَامُ عَامَةِ وَحُرُمَاتُ الْبَيْتِ
٢٠٥	خَاتَمَةٌ
٢١٥	خَادِمُ بَيْتِ اللَّهِ

المرجو من القارىء الكريم ملاحظة تشكيل الكلمات التالية في مواضعها

ص	السطر	الكلمة	ص	السطر	الكلمة
٤٥	٣	الْحُجَّاجُ	١١٩	١	بَطْشُهُ
٤٥	٣	تَمَسَّحُوا	١٢٢	٣	طَبَّ
٤٨	٣	مُدْخَلُهُ	١٢٨	٣	هَوَزَنُ
٥٤	١	بَحِيرَةٌ	١٣٩	٣	وَتَحْمَشُ
٦٧	١٩	الْحَجَرُ	١٥٢	١٠	أَعْجَدُ
٧٤	٢	أَبْلَدُ	١٥٥	١١	أَصْنَامِهِمْ
٨٥	٨	فَذَّ	١٥٧	٣	دُكُوهُ
٨٥	١٢	تُعَيِّرُنِي	١٥٧	٧	المُصْطَفَى
٩٢	٩	يُؤْغِلُوا	١٦١	١٥	الْجَهْمَةُ
٩٤	٢	قُمْدُ	١٦٦	٤	الْمَتَوَكِّدُ
٩٦	٢	وِخْطَارَ	١٦٨	٣	بَشَرُ
٩٧	١٦	تَجَدَّلَ	١٧٠	٦	يَخْطُ
١١٢	٥	صَفْنُهُ	٢١٧	٢	يَتِ

جدول الخطأ والصواب

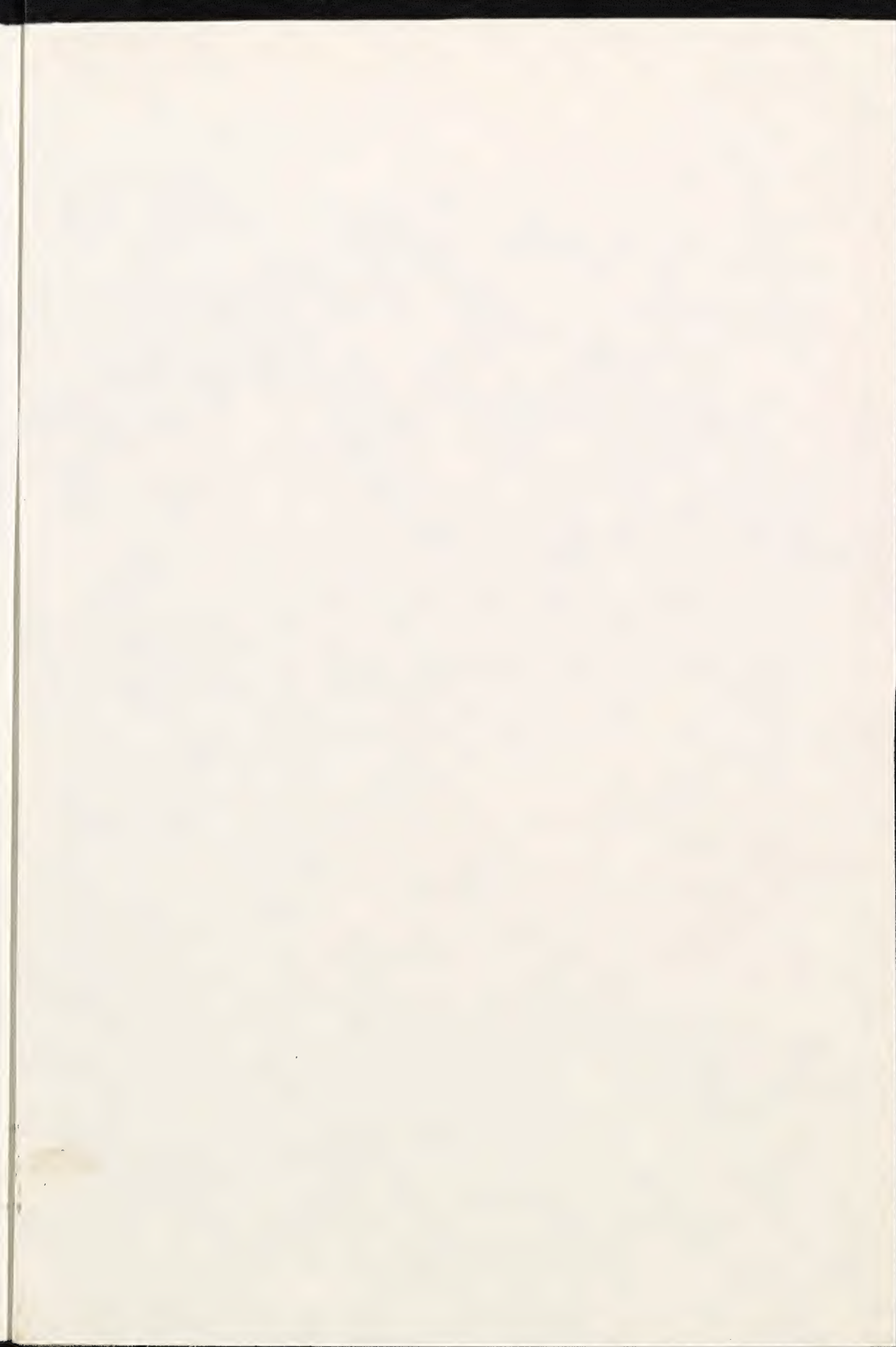
ص	السطر	الخطأ	الصواب	ص	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٢	الأولى	الآلى	٧٤	٤	منه	منهم
٣٩	٧	صحوة	ضحوة	٨٥	٩	هدا	هذا
٤١	١٥	الطبرى	الطبرى	٩٠	١٠	قيتية	قتيبة
٤٦	١٩	المتعبد	المعبد	٩٣	٩	بالقايهم	بالقايهم
٤٨	٢٠	عمرو	عمروآ	٩٦	٩	فهاجت	فهاجت
٥٩	١٧	وصخذ	وصخذة	٩٦	١٤	شيراً	شيراً
٧١	١٠	إل	إلى	٩٩	٩	يزبد	يزيد
٧٣	٢	نضوا	نهضوا	١١٥	١٦	قيّد	قيّد
٧٣	١١	الغم	الغم	٢٢٤	١٧-١٣	٩٠٨٠٧٠٦٥٥	٥٠٤٠٣٠٢٠١

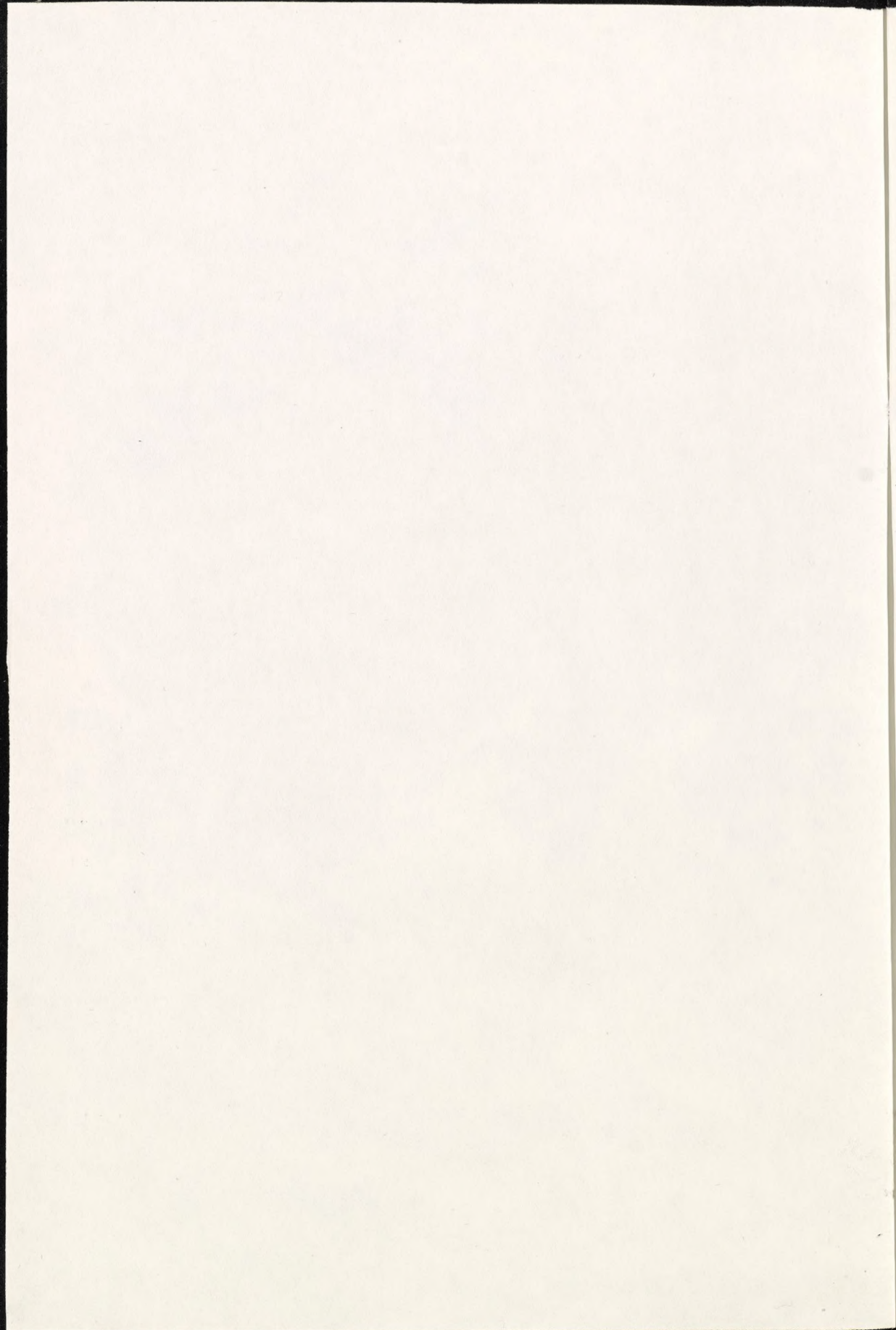
تم بتوفيق الله تعالى طبع هذه « المعلقة الإسلامية » بمطبعة السعادة بالقاهرة في يوم
الأحد مطلع شهر رمضان المبارك سنة ١٣٧٤ هـ ، الموافق ٢٤ إبريل سنة ١٩٥٥ م ٩

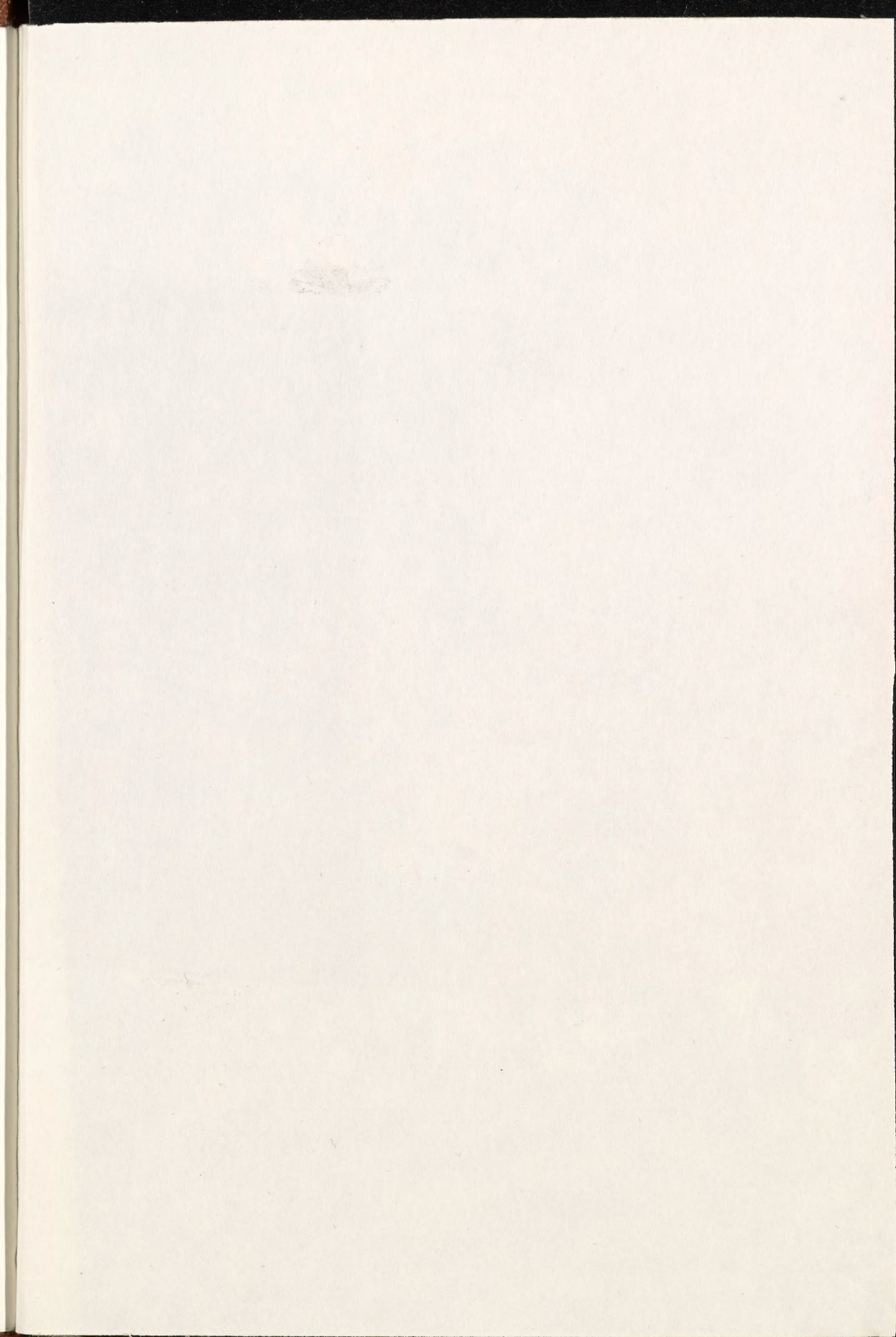
عبد الرحمن

مدير مطبعة السعادة











**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 01725 0930

PJ7642.Z5 T38 1955

al-Muʿall